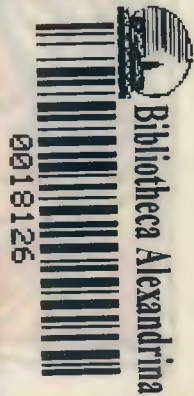


الف ليلة وليلة

حسين جومهر محمد أحمد براق

أمين أحمد العطار

٣



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	398.22
رقم التسجيل	٢٢٤١٢

الف ليلة وليلة

الجزء الثالث

قمر الزمان

N.P.N.C

39822

٥٥٩

كتبه

محمد أحمد براق

حسن جواهر

أمين أحمد العطار

الطبعة الثانية



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina



دار المعارف

الجزء الثالث

صفحة

- جودر ٥
 - بنات بغداد ٧٥
 - قمر الزمان ١١٧
-

رسوم: الفنانة النمساوية ستيللا يونكرز

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.



جودر

(١)

كان لرجل تاجر اسمه عمر ثلاثة أبناء ، قد بلغوا مبلغ الرجال : اسم أكبرهم سالم ، واسم الأوسطهم سليم ، واسم الأصغر جودر . وكان أبوهم يُشركهم معه في تجارته ، ويدربهم على طرقها وأساليبها ، ويُعرفهم ما يجب عليهم معرفته في معاملة الحرفاء ، حتى يثقوا بهم ، ويُقبلوا عليهم ، ويُطمئنون إليهم .

إلا أن هؤلاء الأولاد كانوا على اختلاف في الأخلاق والطباع : فكان سالم وسليم فيهما شراسة ، ولو لم طبع ، وسوء خلق ، واستهانة بشئون الحياة ؛ لا يؤثر فيهما نصائح أبيهما ، ولا حُسن توجيهه ، ولا جميل إرشاده .

أما جودر فإنه كان طيباً، مهذباً، نقي السَّريرة، لطيف العشرة، كريم الطبع، مُطيعاً لأبيه، يتقبل منه توجيهاته: وكان أبوه يُودعه أسرارَه، ويُطلعه على دخيلة نفسه، ويؤثره على أخويه.

وأدَّى هذا الإيثارُ إلى حقد الأخوين الكبيرين على أخيهما الأصغر، ومُحافاته، ومحاوَلَة التَّيل منه حاضِراً وغائِباً.

ولم يخف ذلك على أبيهما، فبدأ يخشى على جودر منهما، وتوقع أنَّهما سينالان من أخيهما، ولاسيَّما إذا أدركه الأجل ومات، فإنه سيخلو لهما الجوّ، ويُحاولان إيذاؤه، والتَّيل منه، ويساعدُهما على ذلك ما هُما عليه من شراسةٍ وفظاظة، وخُلُقٍ غليظ.

فجمع الأبُ قرّاً من الناس وأشهدهم على تقسيم أمواله وتجارته إلى أربعة أقسام، جعل أحدها لنفسه، ثمَّ لزوجته من بعده، وجعل لِكُلِّ ولدٍ من أولاده الثلاثة قسماً، ولم يُعزَّز جودر على أخويه، بل جعلهم كلُّهم سَواء، حتى لا يزيد حقدُهما على أخيهما، ولا تزيد نار البغضاء التي بينه وبينهما اشتعالا.

وحان حينُ الأب بعد زمن قصير، وصُفيت تركته، وأخذ كلُّ واحد من ورثته نصيبه كما قسمَ بينهم أبوهم.

إلا أنَّ سالمًا وسليماً لم يُحسنِ القيامَ على مال أبيهما، ولم يرضيا بهذه القسمة التي قسم بها أبوهما المال بين الإخوة الثلاثة، وفزعا إلى القاضي يشكَّوان له ظلم هذه القسمة، واضطرَّ جودر أن يحتصم إلى القاضي

كما اختصم أخواه ، وظل الإخوة على ذلك الخِصام وقتاً طويلاً ، وأحضر
جودر الشهود الذين شهدوا محضر القسمة ، وأبرءوا ذمتهم بأداء الشهادة
على يَدَي القاضى ، ف قضى بما شهدوا .

إلا أن هذا الخِصام الذى طال شغلهم جميعاً عن استثمار المال ، وظلوا
يُنفقون منه على أنفسهم ، وعلى قَصِيَّتِهِمْ من غير أن يزيدوه شيئاً ؛ فقضى
أكثر المال .

خافوا على المال أن ينفد جميعه ، فاشتغل كل منهم بنفسه ، وقام على
تدبير ما يَبقى من أمواله ، وصرف تجارته حسب رغبته وهواه ، فبسات
حال الأخوين الكبيرين لسوء تصرفهما ، وتحسنت حالة جودر تبعاً
لِدرايته وخبرته ، وكثرة مُمارسته العمل زمن آبيه ، ولِما امتاز به من
العقل الراجح وأُخْلِلق الكريم ، وحسن التصرف ، فزاد حقد أخويه ،
ونفسا عليه نعمته ، ونقما منه أن الله وفقه فأحسن توفيقه ، وأعطاه
فأجزل له العطاء ، وهناه بما أسبغ عليه من ربح وفير ، ومال كثير ؛
ولذلك عادا إلى مُخاصمته أمام القضاء .

وما زال هذا دأبهما : ينتقلان بالشكوى من قاضٍ إلى قاضٍ ،
ويَسْطُطان دعواهما الباطلة بين يَدَي حاكم وحاكم ، حتى ولَّت البقية الباقية
من أموالهما ، وتدهورت حالة أخيهما بسبب هذا الشاغل المتجدد
الذى كان يشغلهم جميعاً عن تنمية الثروة واستِزادة المال
ولم يكف سألماً وسليماً ما حلَّ بأموالهما ، فسلَبَا أمَّهُما مالها بعد أن

اعتَدَيَا عليها بالكلامِ البَذِيءِ ، وأهاناهما إهانات شديدة ؛ ولكنَّ هذا المال لم يلبث أن أَكَلَهُ طَبْعُهُمَا اللَّثِيمُ ، وما نَشَأَ عليه من المَخاصمات والبطالة ودناءة الخُلُقِ ، وسوء التَّدْبِيرِ .

ذهبتْ أُمُّهُمَا إلى جودر باريكِيَّة مُنتَجِبَةٍ ، تشكو عُقُوقَ أَخَوَيْهِ لَهَا ، وما فَعَلَاهُ بِهَا ، من اغتصاب مالها .

فطَيَّبَ جودر خاطرَها ، وقال لَهَا :

— يَا أُمِّي لَقَدْ صِرْتُ فَقِيرًا ، وصار أَخَوَايَ فَقِيرَيْنِ مِثْلِي ، ولا فائدةُ تَعُودُ عَلَيْنَا لو رَفَعْتُ أَمْرَهُمَا إِلَى الْقَاضِي ، وقد ذهبتْ أَمْوَالُنَا جَمِيعًا فِي هَذَا السَّبِيلِ مِنَ التَّشَاخُنِ وَالتَّخَاصُمِ ، فَفَوِّضِي أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ ، وَابْقِيْ مَعِيَ فِي مَنْزِلِي هَذَا ، وَاللَّهُ يَرْزُقُنِي وَإِيَّاكَ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

وَأَقَامَ جودر مع أُمِّه ، وَاصْطَنَعَ صَيْدَ السَّمَدِ ، وَأَخَذَ يَسْمَعِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْبَحْرِ بِشَبْكَتِهِ ، يَتَلَقَّى بِهَا مَا يَجُودُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ الْعَمِيمِ ، بَعْدَ أَنْ فَقَدَ رَأْسَ مَالِهِ الَّذِي خَلَفَهُ لَهُ أَبُوهُ .

وَوَاتَاهُ رِزْقُهُ ، فَيَسِرُهُ اللَّهُ لَهُ فِي كَنَفِ أُمِّهِ بِرَكَّةِ دُعَائِهَا كُلَّ صَبَاحٍ وَهُوَ خَارِجٌ يَحْمِلُ شَبْكَتَهُ ، وَكَفَلَ لهُمَا سُهولةَ الْعِيشِ ، وَكَفَاهُمَا شَرَّ الْعَوَزِ وَالْفَاقَةِ .

أَمَّا أَخَوَاهُ فَقَدْ زَادَتْ حَالُهُمَا سُوءًا عَلَى سُوءٍ ، وَأَصْبَحَا فِي شَرِّ حَالٍ ، يَتَسَكَّمَانِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَيَتَلَقَّيَانِ مَا يَجُودُ بِهِ الْخَيْرُونَ مِنْ فَضْلِ طَعَامِهِمْ ؛ أَوْ قَلِيلِ الْمَالِ الَّذِي لَا يَرُدُّ جَوْعًا ، وَلَا يُنْسِكُ رَمَقًا ،

ولا يَكْسُو عُرْيًا . فَمَاشَا يُرْهِقُهُمَا الْعَسْرُ ، وَيُوجِعُهُمَا الشَّظَفُ ، وَيُؤْلِيهِمَا
الْإِفْلَاقَ .

وَعَلِمَا جِدَّ جُودَرٍ ، وَسَعْيِهِ ، وَمَا مَنَّ بِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقٍ جَارٍ ،
وَعَيْشٍ يَسِيرٍ ، فَقَصَّصَا إِلَى أُمَّهُمَا يَسْتَمِيلَانِيهَا وَيَتَوَدَّدَانِ إِلَيْهَا ، وَيَرْجُوَانِ
عَظْفَهَا ، وَيَسْتَدِرَّانِ حَنَانَهَا ، يَتَبَاكِيانِ مَرَّةً وَيَتَمَسَّحَانِ بِهَا أُخْرَى ،
وَيَشْكُوَانِ مَا بِهِمَا مِنْ بُؤْسٍ ، وَمَا يُعَانِيَانِهِ مِنْ مَرَارَةٍ وَذَلَّةٍ ؛ وَمَا زَالَا
كَذَلِكَ حَتَّى حَنَّ قَلْبُهُمَا لَهَا ، وَرَقَّتْ عَاطِفَتُهُمَا ؛ فَأَوْتَهُمَا ، وَأَظْلَمَتَهُمَا بَشْيَاءُ
مِنْ عَظْفِهَا ، وَصَارَتْ تُطْعِمُهُمَا مِنْ جُوعٍ ، وَتَكْسُوهُمَا مِنْ عُرْيٍ ، وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْ ابْنِهَا جُودَرٍ .

وَيَيْنَمَا هُمَا ذَاتَ يَوْمٍ يَلْتَمِسَانِ مَا قَدَّمَتْهُ لهُمَا أُمُّهُمَا مِنْ طَعَامٍ ، إِذْ يَجُودِرُ
قَدْ دَخَلَ تَفَجَّيْتُ أُمَّهُ ، وَأَطْرَقَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى الْأَرْضِ اسْتِحْيَاءً مِنْ إِطْعَامِ
وَلَدَيْهَا الْعَاظِلِينَ الْعَاقِبِينَ مِنْ كَدِّ وَلَدِهَا الْعَامِلِ الْكَادِحِ الْمُسْكِينِ .
وَلَكِنْ جُودَرُ مَا كَادَتْ تَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى أَخُوهِ حَتَّى هَشَّ فِي وَجْهِهِمَا ،
وَرَحَّبَ بِهِمَا ، وَعَانَقَهُمَا وَهُوَ يَقُولُ :

— مَرْحَبًا بِكُمَا ، لَقَدْ غَيْبْتُمَا عَنَّا ، وَمَا كَانَ لَكُمَا أَنْ تَنْقَطِعَا كُلُّ هَذَا
الْوَقْتِ عَنْ أُمِّكُمَا ، فَنَحْنُ مَا زِلْنَا نَذْكُرْكُمْ . وَتَتَعْنَى أَنْ نَرَائِكُمَا .
فَبَادَلَهُ أَخَوَاهُ عَظْفًا بَطَافٍ ، وَحَنَانًا بِحَنَانٍ ، وَقَدَّرَا شُعُورَهُ الطَّيِّبَ ،
وَاسْتَقْبَلَاهُ بِالْجَمِيلِ .

ثُمَّ أَخَذَا يَمْتَدِرَّانِ عَمَّا كَانَ مِنْهُمَا مِنْ مُضَايَقَةٍ لِأَخِيهِمَا ، وَعُقُوقٍ لِأُمِّهِمَا .

فسكن روع أمهم ، وتبدّد خجلها ، وفرحت فرحاً شديداً لرِضا
جودر عن أخويه ، وابتَهلت إلى الله بالدُّعاء الصالح له . فلما رأى جودر
سُرورَ أمه ، قال لأخويه :

أقيما معنا . فإن خير الله كثير .

وهكذا أقام سالم وسليم مع جودر وأمه آكلين شارين ، يخرجان
وقتما يُريدان ، ويعودان حينما يشاءان ، دون أن يعبأ بالبحث عن عمل ، أو
يسعياً وراء رزق .

أما جودر فقد دبّاب على الخروج مبكراً بشبكته إلى البحر ، وبطلّ
يُجْلهد حتى يُصيبَ رِزقه من السمك ، ثم يبيعه في الأسواق ، ويتّاع
بمنه طعاماً لأمه وأخويه ، ويعود في المساء إلى منزله .

وبقى على هذه الحال زمناً طويلاً .

ولكنّه خرج يوماً إلى البحر على عادته ، وظلّ يُبْلِقي فيه شباكّه ، ثم
يُحْذِبُهَا فلا يَحْذِبُهَا سَمَكاً ، وانصَرَمَ النهار وهو على شاطئ البحر
لا يُصِيبُ شيئاً . ولما مالت الشمسُ إلى الغروب جمع شباكّه وقفل
عائداً خاوي الوفاض .

وكان في طريق عودته الحُبْز الذي اعتاد أن يأخذ منه حاجته من الخبز .
فما كاد الحُبْاز يَلْمَحُهُ مُقْبِلاً حتى أعدّ له الخُبْز وانتظر وُصُولَهُ ليأخذه ،
ولكنّ جودراً نظر إليه ، ولم يُعْرِجْ عليه ، وواصل سيره في طريقه ،
فناداه الحُبْازُ وسأله : ما بالكَ ؟ وما الذي جعلك تُغيّرُ عادتك ؟ فلم تُعْرِجْ

بنائنا أخذ خبزك . فصمت جودر ولم يُجِرْ جواباً ، وترجعت في عينه دَمْعَةٌ
فَقَطِنَ الخباز حاله ، فقال له :

— خذ حاجتك يا جودر ؛ وغداً أو بعد غدٍ يُيسِّرُ الله لك ، فأخذ
تقودى .

ثم ناوله الخبز ، ومبلغاً من المال يشتري به إداماً ؛ ففرح جودر ،
وأخذ الخبز والمال .

وذهب فابتاع ما يحتاج إليه أمه وأخواه ، وعاد إلى منزله ، وأعطى
أمه الطعام على عادته ، فأعدته ، وتناول عشاءه مع أخويه ونام
وفي اليوم الثاني بكر إلى البحر ، آملاً أن يعوض الله عليه ما فاتته في
اليوم السابق ، ولكن سوء الحظ حالفه ، فلم يرزقه الله شيئاً ، فظلَّ
ينتقل هنا وهناك ، ويلقي شباكه في أماكن مختلفة دون جدوى .

فلما أمسى المساء قفل راجعاً ، وعرف الخباز أن البحر بخل عليه في هذا
البوم كما بخل عليه أمس ؛ فأعطاه مثل ما أعطاه في اليوم السابق ، وهو
يقول له : لا تبتئس يا جودر ، ولا تحزن ، فإن فرج الله قريب ، وسأخذ
بحقِّ سمكا .

وما زال هذا حال جودر سبعة أيام ، ينتقل من شاطئ إلى شاطئ ،
ومن مكان إلى مكان ، والبحر صنيّن عليه فلا يصطاد شيئاً ، فكأنه أقرص ،
ونفد منه السمك ، وما زال الخباز يُعطيه الخبز والنقود كلما رآه مُقبلاً ،
وجمبته فارغة .

واستولى اليأس على جودر ، وثقل عليه الدين ، وبدأت الدنيا تضيق
أمام عينيه ، وحز في نفسه استدانته من الحُبَّاز دون أن يبدو أمامه أملٌ
في سداد دينه .

فصمَّ على الذهاب إلى بحيرة بعيدة ليُجرب حظَّه فيها .
فلما أصبح الصباح توجه إليها يَحْدُوهُ الأمل ، ويدفعه الرجاء ، وبعد
أن وصل إلى شاطئها ، وهمَّ بنثر شباكها فيها — أبصر رجلاً مغريباً ، يرتدي
حُلَّةً ثميَّة ، ويركبُ بَعْلَةً عليها خُرج مُزركش — قد أقبل عليه ، فلما دنا
منه نزل عن ظهر بَعْلته ، وأقبل نحو جودر ، وقال له :
السلام عليك يا جودر بن مُحر .

فردَّ عليه جودر السلام ، ونظر إليه مستعجباً من أنه يعرف اسمه ،
واسم أبيه .

ولكن المغربي بأدبه قائلاً :

يا جودر بن مُحر ؛ لي عندك حاجة ، ولا يقضيها أحدٌ غيرك ، فإن
وافقتني على قضائها نالكَ مني خير كثير .

فقال جودر : يا سيدي ؛ إنني على استعداد لقضاء حاجتك ، ما دام ذلك
في مقدوري .

المغربي : أقسم لي أنك تفعل ما أطلبه منك .
جودر : أقسم أن أطيعك طاعةً عمياء ما دمتُ مُستطيعاً تنفيذ ما تريد
عند ذلك أخرج المغربي حبلًا رقيقاً من الحرير ، أعطاه لجودر وقال له :

كَتَفْنِي بِهَذَا الْحَبْلِ ، وَشَدَّ وَثَاقِي جَيِّدًا ، ثُمَّ أَلْقَنِي فِي هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ ،
وَاتَنَظَّرُ قَلِيلًا ؛ فَإِن رَأَيْتَنِي أُخْرِجْتَ يَدِي مِنَ الْمَاءِ ، فَاطْرَحِ الشَّبَكَةَ وَاجْذُبْنِي
جَذْبًا سَرِيعًا ، وَإِن رَأَيْتَ رَجُلِي قَدْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَاءِ فَاعْلَمْ أَنِّي مَيِّتٌ ،
فَاتْرَكْنِي وَخُذِ الْبَغْلَةَ وَالْخُرْجَ ، وَامْضِ إِلَى سُوقِ التِّجَارِ ، وَاسْأَلْ عَنِ يَهُودِي
اسْمِهِ شَيْعَةَ . وَأَعْطِهِ الْبَغْلَةَ وَالْخُرْجَ ، وَهُوَ سَيُعْطِيكَ مِائَةَ دِينَارٍ ،
فَخُذْهَا لَكَ ، وَاسْكُتْ هَذَا السَّرِّيَا جُودَرُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْرُحَ بِهِ .

لَمْ يَحْدُثْ جُودَرُ بُدًّا مِنْ تَنْفِيزِ قَسَمِهِ . فَأَوْثَقَ كِتَافَ الْمَغْرَبِيِّ ، وَأَلْقَى بِهِ
فِي الْبُحَيْرَةِ ، وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ يَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ ، وَهُوَ فِي أَشَدِّ الْعَجَبِ ،
وَلَمْ يَمُضِ إِلَّا قَلِيلٌ ، حَتَّى خَرَجَتْ رِجْلُ الْمَغْرَبِيِّ مِنَ الْمَاءِ ، فَأَيَقَنَ
جُودَرُ أَنَّهُ مَاتَ ، فَأَخَذَ الْبَغْلَةَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى سُوقِ التِّجَارِ ، وَسَأَلَ عَنِ الْيَهُودِيِّ
فَدَلَّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا بِيَابِ نَخْرَازٍ كَبِيرٍ . فَلَمَّا رَأَى الْبَغْلَةَ مَعَ
جُودَرٍ عَرَفَهَا وَقَالَ :

— هَلَكَ الرَّجُلُ ، وَمَا أَهْلَكَ إِلَّا الطَّمَعُ وَالْجَشَعُ .

ثُمَّ نَهَضَ فَأَخَذَ الْبَغْلَةَ مِنْ جُودَرٍ وَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِينَارٍ .

فَقَصَدَ جُودَرُ مِنْ فُورِهِ إِلَى الْخَبَازِ فَأَخَذَ مِنْهُ الْخُبْزَ عَلَى عَادَتِهِ ، وَأَعْطَاهُ
ثَمَنَهُ ، وَسَدَّدَ بَعْضَ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ ، وَاسْتَمَهَلَهُ فِي الْبَاقِي لِلْيَوْمِ الثَّانِي .
ثُمَّ أَخَذَ حَاجَتَهُ مِنَ لَحْمٍ وَخُضْرٍ وَفَاكِهِةٍ ، وَأَسْرَعَ عَائِدًا إِلَى أُمِّهِ ، فَوَجَدَهَا
تَطْلُبُ مِنَ وَلَدِهَا الْكَفَّ عَنْ مَطَالِبَتِهَا بِالطَّعَامِ حَتَّى يَمُودَ أَخَاهُ .
فَأَعْطَاهُ مَا جَاءَ بِهِ . فَوَقَعَ أَخَوَاهُ عَلَى الْخُبْزِ وَالْفَاكِهِةِ يَلْتَمِهُمَا وَنَهَمَا التَّهَامَا

من شدّة ما بهما من الجوع ، ولم ينتظرا حتى تطبخ أُمُّهما اللحم والخضر .
 وأعطى جودر أمّه ما بقي معه من النقود ، وطلب إليها أن تعطى
 أخويه ما يحتاجانه من طعام في أثناء غيابه ، حتى لا تُعرض نفسها
 لإهاتهما إذا جاعا .

وفي اليوم الثاني قصد جودر إلى البُحيرة . وما كان أشدّ عجبّه حينما
 أبصر مغربياً آخر يتردى ملابس أغر من ملابس سابقه ، ويعتلي
 ظهر بغلة عليها خُرج مُزركش .
 — نظر إليه فرآه مُقبلاً عليه ، ولما دنا منه أقرأه السلام ، فردّ عليه
 جودر تحيته بأحسن منها .

ثم قال المغربي : هل جاءك بالأمس مغربي راکب بغلة مثل
 هذه البغلة ؟

فلم يسع جودر إلّا إنكار رؤيته للمغربي خوفاً من أن يسأله عن
 مصيره ، ويتهمه بإغراقه .

فقال : ما رأيتُ أحداً يا سيدي .

فقال المغربي : إنه أخى ، وقد سبّقتني إلى هذا المكان أمس .

فقال جودر : لا أعرف خبره .

فقال المغربي : أما أوّقتّه أنتَ بحيل من حرير ، وقذفت به إلى
 البحر ، وقال لك : إن خرجت يداي فارم الشبكة وانتشلتني ، وإن
 تخرج رجلاي أكن ميتاً ، فاتركني ، وخذ البغلة واذهب إلى اليهودي

شيمعة ، فإنه حينَ يراك ، يعرفُ خبري ، فيأخذ البغلةَ والخرج ،
ويُعطيكَ مائةَ دينار ، وقد فعلتَ معه ما طلب منك ، وخرجتُ رجلاً ،
فتوجَّهتَ أنتَ إلى اليهودي ، وأعطيتَه البغلةَ والخرج ، وأخذتَ
المائةَ الدينار ؟

فقال جودر : وإذا كنتَ تعرف ذلك ، وتعلمه علم اليقين ،
فلماذا تسألني ؟ !

قال : أريد أن تفعل بي كما فعلتَ بأخي أمس .

وأخرج له جبل الحرير . وطلب منه أن يوثقه به ، ويُلقيه في الماء ،
وإن حصل له ما حصل لأخيه يتركه ، ويذهبُ إلى اليهودي ، فيأخذُ
منه مائةَ دينار .

أخذ جودر حبل الحرير وأوثقه به ، وقذفه في الماء ، وهو لا يفهم
لهذا الحبل معنى . وبعد قليل ظهرت رجل المغربي . فأخذ جودر البغلة ،
وسار إلى اليهودي وهو يقول لنفسه : لعلَّ الله يسوق إلى كلِّ يومٍ
مغريباً مخبواً لقيه في الماء ، وأخذ المائةَ الدينار ؛ ولكنَّ هذا الأمر لا بُدَّ
أن يكون وراءه سرٌّ لا أفهمه الآن .

فلما رآه اليهودي قال : مات الآخر ؟

أجاب جودر : نعم .

فقال اليهودي : هذا جزاء الطمع .

ثم أخذ البغلة ، وأعطاه المائةَ الدينار .

فأخذها جودر ، وتوجّه إلى أمه ، وأعطائها إياها . فقالت له :

يا ولدى من أين لك هذا ؟

فأخبرها . فقالت :

بالله عليك يا بني ، لا تذهب بعد الآن إلى هذه البحيرة ، فإنني أخاف عليك من هؤلاء المغاربة .

فقال : يا أمي ؛ أنا لا أرميهم إلا استجابة لرغبتهم ، وتحت تأثير إلحاحهم الشديد ، وهو عمل يسير ، وأكسب منه مائة دينار ، وأنا متأكد أن وراءه سرّاً ، سينكشف لي بعد زمن قريب أو بعيد ، ولن يتألمني منه أذى ، لأنني لم أفكر في إيذاء أحد ، والله يدفع عني إذا أريد بي شرّاً ؛ يا أمّاه ؛ أنا لن أقطع عن الذهاب إلى هذا المكان ، حتى أرى ما سيكون .

وفي اليوم الثالث ذهب جودر إلى البحيرة ، وإذا بمغربي ثالث قد أقبل ، وقال لجودر :

السلام عليك يا جودر بن عمر .

فردّ عليه جودر السلام ، وهو يقول لنفسه : من أين يعرف هؤلاء المغاربة اسمي واسم أبي ؟ !

فقال المغربي : هل جاز هذا المكان مغاربة قبلي ؟

فقال جودر : نعم ، جازه اثنان قبلك .

قال المغربي : إلى أين ذهبا ؟

جودر : أوثقتُهما بحبل من حرير ، وألقيتهما في هذه البحيرة فغرقا
والعاقبةُ لك إن شاء الله .

فضحك المغربي ، وقال : كلُّ حيٍّ وما كُتِبَ له ، ولن يُصيبنا
إلا ما كتب الله لنا .

ثم أَرَدَفَ قائلاً : يا جودر : افعل معي كما فعلت مع أخوتي من قبل .
وأخرج له حبل الحرير ، فأدار جودر الحبل حوله ، وأوثقَ كتابه
وألقى به في الماء .

وبعد قليل أخرج المغربي يديه ، وقال : إرْمِ إلى الشبكة يا جودر
ابن عمر .

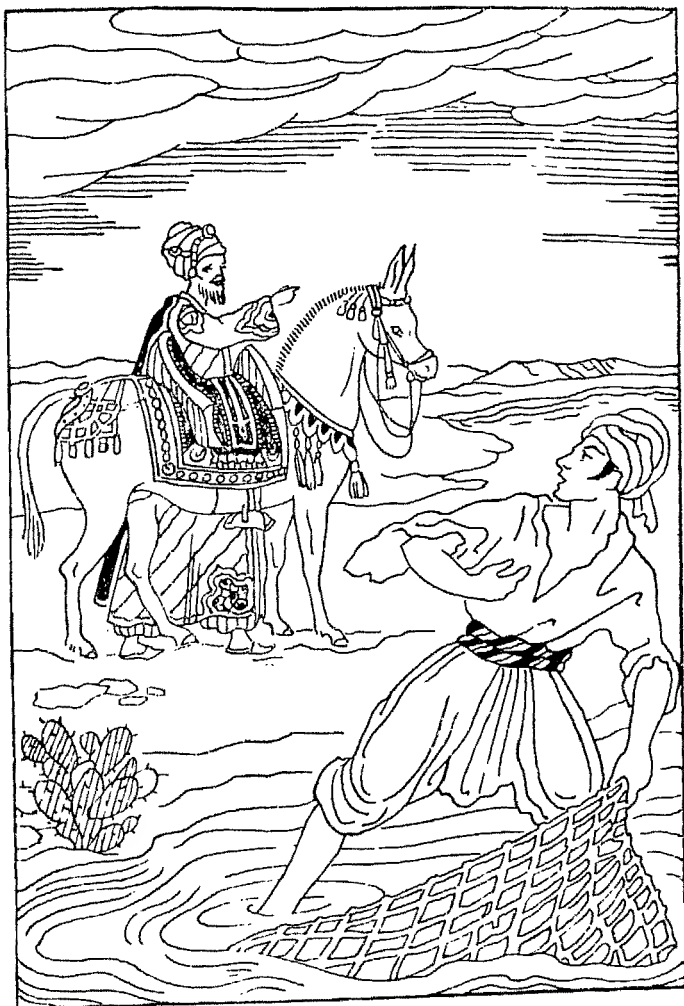
فأسرع جودر إلى الشبكة وألقاها في الماء ، فتملّقَ بها المغربي ،
فإذا هو قابض في يديه على سمكتين لونهما أحمر مثل المرجان ، وأشار
لجودر نحو الخرج ، وقال له :

— أخرج العُلبتين اللتين في الخرج ، وافتحهما .

فأخرج جودر العلبتين وفتحهما ، فوضع المغربي كلَّ سمكة في علبة ،
وأغلقها عليها ، وقد مكّنته نوبة من الفرح الشديد . ثم أقبل على
جودر فمأنته وقبله ، وهو يقول :

— لولا أنك ألقيت الشبكة سريعاً ، وأخرجتني — لمث غرقا .

فقال جودر : الحمد لله على نجاتك يا سيدي ، وإن كان فيها خسارة لي ؛
ولكنني أودّ أن تُخبرني : ما شأنك ؟



وما شأن اللذين غرقا قبلك ؟

وما هاتان السمكتان ؟

ومن هو ذلك اليهودى شمعون الذى كان يأخذ منى البعثة والخرج ،
حينما يرانى ، ويعطينى مائة دينار ؟

قال الغربى : اعلم يا جودر أن اللذين غرقا قبلى هما أخواى ، أحدهما
اسمه عبد السلام ، والثانى اسمه عبد الأحد ، وأنا اسمى عبد الصمد ،
أما اليهودى ، فهو أيضاً أخونا ، واسمه عبد الرحيم ، وما هو يهودى ،
بل هو مسلم . وكان والدنا قد علمنا السحر ، وحلّ الرُموز ، وفتح
الكنوز ؛ وكثرت فى ذلك تجاربنا ، نخدمتنا مرّة الجنّ والعفاريت .
وقد خلف لنا والدنا أموالاً وذخائر ، وكتباً ، اقتسمناها فيما بيننا ،
ولكننا اختلفنا على كتاب نادر لا يقدر بشئ ، اسمه أساطير الأولين ،
وبه سائر أخبار الكنوز ، وطريقة حلّ رموزها ، وكان أبونا دائماً على
دراسته حتى وافاه الأجل ، فصار غاية كلّ منا الحصول عليه .

وعرف أستاذنا أينا الذى علمه السحر خبر ذلك الخلاف ، وهو ساحر
عظيم ، اسمه الكاهن الأعظم . فحضر مجلسنا ، وفصل بيننا بقوله :

أنتم أولاد ولدى ، ولا أريد أن أغبن أحداً منكم . فأنتم عندي سواء ،
وهذا الكتاب يأخذه من يثبت قدرته على تحمله ، وجدارته به ، وذلك
بمحاولته فتح كنز الشرذل ، وإبطال أرصاده ، ويأتينى منه بدائرة الفلك ،
والمكحلة ، والخاتم ، والسيف .

فإن من يملك دائرة الفلك . يستطيع بالنظر فيها أن يرى ما بين المشرق والمغرب ، وما يحدث في البلاد كلها : وإذا أراد إبادة مدينة ، وإهلاك أهلها - وجه الدائرة إلى قرص الشمس ، وسلطها عليها ، فسرعان ما تحترق .

وأما المكحلة فإن كل من اكتحل منها استطاع أن يرى جميع كنوز الأرض .

والخاتم له خادم من الجن يخدم ماله ، ويستطيع حائزُه أن يملك ما يشاء .

أما السيف فإن حامله لو جرّده على جيش لهزمه .

يا أولادى ؛ كلُّ من عجز عن فتح الكنز ، وإحضار هذه الأشياء الأربعة - فلا يحقّ له أن يأخذ الكتاب ، أما من يفتحه ويأتى بها - فهو له .

فقبلنا شروط الكاهن الأعظم ، ولكنه استمرّ يقول :

اعلموا ، يا أبنائى ، أن هذا الكنز تحت حكم أولاد ملك الجن ، وكان والدكم قد عالج فتحه ، ولكن أولاد الملك عصّوه ، وفرّوا منه ، واعتصموا ببَحيرة في أرض مصر ، فجاء إلى ، وأخبرنى ذلك الخبر ، فضربت له تقويماً ، فرأيتُ أن هذا الكنز لا يفتح إلا على وجه غلام صياد ، من أبناء مصر ، اسمه جودر بن ثمر ، ويكون له اليد الطولى في القبض على أولاد ملك الجن من البحيرة التى احتموا بها ، وذلك بشدّة وثاق من

سَيَحَالِفُهُ الْحُظُّ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ، وَإِقَائِهِ فِي الْبُحَيْرَةِ، ثُمَّ إِخْرَاجِهِ بِشَبْكَتِهِ إِذَا خَرَجَتْ يَدُهُ مِنَ الْمَاءِ؛ أَمَّا مَنْ تَخْرُجُ رِجْلُهُ — فَلَا يَكُونُ هُوَ صَاحِبَ الْحُظِّ، وَيَمُوتُ. وَتَسْكُونُ مُقَابِلَةُ هَذَا الْعَلَامِ عَلَى ضِفَافِ الْبَحِيرَةِ.

فَقَبِلْتُ أَنَا وَأَخَوَايَ اللِّذَانِ مَا تَأْتِي هَذَا الرَّأْيَ، وَصَمَّمْنَا عَلَى الْمَجَازِفَةِ فِي هَذَا السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ هَلَاكُنَا. أَمَّا أَخُونَا عَبْدُ الرَّحِيمِ فَقَدْ رَفَضَ أَنْ يُشَارِكُنَا، فَاتَّفَقْنَا مَعَهُ عَلَى أَنْ يَتَنَكَّرَ فِي هَيْئَةِ تَاجِرِ يَهُودِي، وَيَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ، وَيَسْمَى نَفْسَهُ شَمِيعَةَ، حَتَّى إِذَا مَاتَ أَحَدُنَا فِي سَبِيلِ مَا نَصَبْنَا أَنْفُسَنَا لَهُ، وَسَمِعْنَا إِلَيْهِ — كَأَنَّ الْعَلَامَ جُودَرَ بِمَائَةِ دِينَارٍ، يُعَاوَدُ الْكُرَّةَ مَعَ الَّذِي يَلِيهِ.

وَهَكَذَا رَأَيْتُ أَنَّ أَخَوَيَّ قَسَلَا فِي الْقَبْضِ عَلَى أَوْلَادِ مَلِكِ الْجِنِّ، فَقَتَلُوهُمَا. أَمَّا أَنَا فَكَانَ الْحُظُّ حَظِّي، فَجَبَحْتُ وَقَبِضْتُ عَلَيْهِمَا.

أَصْنَعِي جُودَرَ إِلَى كَلَامِ الْمَغْرِبِيِّ بِاتِّبَاعِهِ، فَكَانَ كُلُّهُ آذَانًا تَسْمَعُ، وَعَيُونًا تَلْحَظُ، فَتَمَلَّكْتُهُ الدَّهْشَةَ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْعَجَبُ.

فَلَمَّا فَرَّغَ الْمَغْرِبِيُّ مِنْ كَلَامِهِ — أَزْدَادَتْ دَهْشَةُ جُودَرَ وَزَادَ عَجَبُهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْمَغْرِبِيِّ :

— وَلَكِنْ أَيْنَ هُمُ أَوْلَادُ مَلِكِ الْجِنِّ الَّذِينَ قَبِضْتَ عَلَيْهِمْ؟ !

فَقَالَ الْمَغْرِبِيُّ : أَمَّا رَأَيْتَهُمَا؟ ! لَقَدْ سَجَنَهُمَا فِي هَاتَيْنِ الْعُلْبَتَيْنِ.

جُودَرَ : إِنَّهُمَا سَمَكَتَانِ سَحْرَاوَانِ كَأَنَّهُمَا حَجْرَانِ مِنَ الْعَقِيقِ !!

الْمَغْرِبِيُّ : إِنَّهُمَا لَيْسَتَا سَمَكَتَيْنِ، وَإِنَّمَا هُمَا عَفْرَتَانِ فِي شَكْلِ سَمَكَتَيْنِ،

وما بقي عليك الآن يا جودر إلا أن تأتي معي إلى مدينة فاس ومكناس ،
لأفتح عليك الكنز ، ولك عندي بعد ذلك ما تشاء .

جودر : يا سيدي ؛ أنا في عُنتى أمي العجوز ، وأخوأي المتعطّلان ،
أُتفقّ عليهم ، فإن ذهبتُ معك فمن يتكفلُ بهم ؟
المغربي : إني سأعطيك الآن ألف دينار تتركها لأسرتك تُنفق
منها حتى تعود ، ولن يطول غيابك عنهم .

أُغرت ضخامة المبلغ جودر ، فوافق ، وقال للمغربي :
— أعطني ألف الدينار . لأعطيها أمي . فأعطاهُ إيّاها .

أخذ جودر الدنانير ، وذهب بها إلى أمه ، وقدّمها لها ، وقال :
خُذي يا أمي هذه الدنانير ، وأُتفقّ منها أنت وأخوأي حتى أعود
إليكم ، فإنني مُسافر مع مغربي إلى بلاد المغرب ، وسأعود لك بخير كثير .
فبكتُ أمه ، وقالت : يا ولدي ؛ إني أخافُ عليك أذى المغاربة
وسحّروهم ، فقد يعتدون عليك ، أو ينالك منهم سوء .

قال : يا أمي ما على من يحفظه الله بأس ، والمغربي الذي عرفته طيّبُ
النَّفس ، رحيم القلب .

وما زال يمدحه ويُطْرِيه حتى هدأت ، وسكن روْعُها ، واطمأنَّت
نفسها ، فجففت دمعها وقالت له : يا ولدي ؛ اذهبْ مع ما دُمتَ ترغِبُ ،
والله يجرُّ سُرْكَ بعنايته ، ويكلِّؤك برعايته ، ويُعطِّفُ قلب المغربي عليك ،
وقبْلته ؛ فودّعها ، وعاد إلى المغربي ليسافر معه إلى فاس ومكناس لفتح

كنز السمردل ، وإبطال أرصاده ، وفك مغاليقه .

(٢)

ركبَ المغربي بغلته ، وأرْدَفَ جودر خلفه ، وسافرا على بركة الله قاصدين بلاد المغرب .

— وما زالت البغلة تمرُق بهما كالبرق الخاطف ، حتى أوْشكت الشمس أن تغيب ؛ فشمع جودر يجوع شديد ، وصاحت عصافير بطنه ، لأنه لم يأكل طول يومه ، ولم يجدْ مع المغربي شيئاً يؤكل . فقال له : يا سيدي ؛ لعلك غفلت عن أن تجيء لنا بشيء نأْكُله في الطريق .

فقال المغربي : هل أنت حائع يا جودر ؟

فقال جودر : نعم ، مضى اليومُ إلا أقله ، ولم نذُق طعاماً .

فنزل المغربي عن ظهر البغلة ، وتبعه جودر ، فقال له المغربي :

— أيُّ شيء تشتهي أن تأكل يا جودر ؟

قال جودر : أيُّ شيء آكله ؟ ! لقد عضتِ الجوع ، والجائع يشتهي كلَّ شيء ، ويُحبُّ كُلَّ مأْكول ، فأرجو أن تُعجِّلَ بآيِّ شيءٍ أرُدُّ به جَوْعتي .

المغربي : بالله عليك ، قل لي : أيُّ شيء تشتهي ، فأنا مُستطيع الآن أن أقدم لك ما تتمناه على من أنواعِ المأكولاتِ ، وصُنُوفِ الطَّعام .

جودر : يكفيني قطعة من جُبْن ، وكسرة من خُبْز ؛ فبالله عليك . عَجِّل

المغربي : لا ، لا بُدَّ أن تَطْلُبَ شيئاً طَيِّباً . أَطْلُبُ ما تَشَاءُ من قَدِيدٍ وشِواءٍ ، وفاكهةٍ وحَلْواءٍ .

جودر : كلَّ شَيْءٍ لَدَيَّ طَيِّبٌ ، فَعَجِّلْ وَهَاتِ .

المغربي : أَتُحِبُّ الدَّجَاجَ المَطْبُوخَ بِالزُّبْدِ ؟ أَتُحِبُّ اللَّحْمَ المَشْوَى عَلَى السَّقْفُودِ ؟ أَتُحِبُّ الحَمَامَ المَخْلَى مِنَ العِظَمِ ؟ أَتُحِبُّ التَّفَاحَ أَمْ الكَمَثَ أَمْ كِلَيْهِمَا ؟

جودر : نَعَمْ ، نَعَمْ ؛ أَنَا أُحِبُّ كُلَّ شَيْءٍ : وَأَحَبُّ الأَطْعِمَةِ إِلَيَّ ما أَرَاهُ الآنَ أَمَامِي لأُرَدَّ بِهِ جَوْعَتِي .

المغربي : أَتُحِبُّ الأُرْزَ المَلْبُونِ ، وَهُوَ فِي السُّكَّرِ مَذْقُونٌ ؟ أَتُحِبُّ الفَطِيرَ المَسْتَقِي عَسلاً ؟ .

جودر : نَعَمْ ، نَعَمْ ..

وما زال المغربي يَعدُّدُ لَجودرَ الألوانَ المَختلِفَةَ الشَّبهيةَ ؛ مِنْ صُوفِ اللُّحُومِ ، وَأَلْوَانِ الفَاكِهِةِ ، وَأَنوَاعِ الفَطَائِرِ ، وَجودرَ يَسْتَعجِبُ ، حَتَّى أَيقِنَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَهْزَأُ بِهِ ، وَيَسْخَرُ مِنْهُ . وَأخيراً قَالَ لَهُ :

— وَمَنْ أَيْنَ تَأْتِي بِهِذِهِ الأَلْوَانُ ، وَنَحْنُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَمَا جَارُنا دِيَارَ وَلَا نَافِخُ نارٍ ؟ !

فَوَضَعَ المغربي يَدَهُ فِي المِخْرَجِ وَأَخْرَجَهَا تَحْمِلُ طَبَقاً مِنَ الذَّهَبِ ، بِهِ دَجَاجَتَانِ مَحْمَرَتَانِ سَاخَتَانِ . ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ ثَانِياً وَأَخْرَجَهَا تَحْمِلُ طَبَقاً مِنَ الكَبَابِ ؛ وَمَا زَالَ يَضَعُ يَدَهُ فِي المِخْرَجِ ، وَيَخْرِجُهَا بِلَوْنٍ شَهِىَ مِنْ أَلْوَانِ

الطَّعام التي كان يسمع عنها جودر من قبل ، ولم يذوقها بلسانه ، ولم يقع عليها بصره في حلم ولا يقظة ، حتى أخرج ما هيئاً وليمة فاخرة .
فعل المغربي ذلك ، وجودر ينظر إليه مبهوراً مشدوهاً مما رأى .
ثم دعا المغربي جودر لتناول الطعام .

فقال جودر : ولكن ، أخبرني يا سيدي . كيف كان كلُّ هذا الطعام في ذلك الخرج الصَّغير ؟ وكيف هو لا يزال حارّاً ساخناً ، وكأنه خارج من يد الطاهي في هذا الوقت ؟ !

صَحَّحَ المغربي ، وقال : اعلم يا جودر أنَّ هذا الخرج مَسْحُورٌ ، وله خادم ، ولو طلبنا منه في أيِّ لحظة أيَّ لون من ألوان الطَّعام جاءنا به من فَوْرِهِ .

فأقبل جودر على الطَّعام مع المغربي وهو في دَهْشة كادت تُنسيه أنه جائع ، فأكلا هنيئاً مرتين . ولما فَرَّغَا ، أفرغ المغربي ما تَبَقَّى في الأطباق ، وأعاد الأطباق إلى الخُرج ؛ ثم أخرج منه إبريقاً مملوءاً بالماء البارد العَذْب ، فشرَّبا ، واغتسلا ، ثم أعاده .

وبعد أن أخذَا قِسْطاً من الراحة — رَكِبَا البغلة ، وواصلَا السَّير .

وقال المغربي لجودر :

— هل تعلم يا جودر كمَّ قطعنا من الطَّرِيق ؟

جودر : كمَّ ؟

المغربي : قطعنا مسيرة شهرٍ كاملٍ ، ولا يأخذُكَ لذلك المَجَبُّ ، فإنَّ

رَكوبَتَنَا مَا هِيَ إِلَّا مَارِدٌ مِنَ الْجِنِّ . تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْطَعَ فِي الْيَوْمِ مَسِيرَةَ سَنَةٍ ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَهَلَّتْ فِي سَيْرِهَا مِنْ أَجْلِكَ يَا جُودِرَ .

وما زالت البغلة تنهبُ بهما الأرض ، وتطوى بهما القفار . وكلما جاعا ، أو أرادا الراحة - نَزَلَا عَنْ ظَهْرِهَا ، وَأَخْرَجَ الْمَغْرِبِيُّ مِنَ الْخُرْجِ مَا يَشْتَهِيَانِهِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ . ثُمَّ يُوَصِّلَانِ السَّيْرَ ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَدِينَةِ فَاسٍ وَمِكَنَاسٍ ، وَدَخَلَاهَا . فَكَانَ كُلُّ مَنْ رَأَى الْمَغْرِبِيَّ مِنْ أَهْلِهَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، وَيُقَبِّلُ يَدَهُ ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى قَصْرِ الْمَغْرِبِيِّ ، فَتَرَجَّلَا . وَأُنْزِلَ الْمَغْرِبِيُّ الْخُرْجَ عَنْ ظَهْرِ الْبَغْلَةِ وَقَالَ لَهَا : (انْصُرِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ) وَإِذَا الْأَرْضُ قَدْ انْشَقَّتْ وَابْتَلَعَتْهَا .

فَوَجَفَ قَلْبُ جُودِرَ . وَقَالَ :

— الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا فَوْقَ ظَهْرِهَا .

وَدَخَلَ الْمَغْرِبِيُّ وَمَعَهُ جُودِرُ إِلَى قَصْرِهِ ، فَقَابَلَتْهُ ابْنَتُهُ فَرِحَةً مُتَهَلِّلَةً . فَمَا نَقَّهَا أَبُوهَا ، وَقَالَ لَهَا :

— كَيْفَ حَالُكَ يَا رَحْمَةً ؟

قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَبَتَ . وَمَا تَقْصِنِي فِي غَيْبِكَ إِلَّا اسْتِمْتَاعِي بِرُؤْيَاكَ . فَقَبَّلَهَا ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَأْتِيَهُ بِصُنْدُوقِ مُعَيَّنٍ ، فَلَمَّا أَحْضَرَتْهُ أَخْرَجَ مِنْهُ حُلَّةً جَمِيلَةً فَاخِرَةً ، أَعْطَاهَا لْجُودِرَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَرْتَدِّيَهَا . فَلَبَسَهَا جُودِرَ ، فَبَدَا كَأَنَّهُ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .

وَأَقَامَ جُودِرُ مَعَ الْمَغْرِبِيِّ فِي قَصْرِهِ ، وَكَانَ قَصْرًا جَمِيلًا فَخْمًا ، فُرِشَتْ

أَرْضُهُ بِسَجَادِ ثَمِينٍ ، وَتَدَلَّتْ عَلَى نَوَافِذِهِ سِتَائِرٌ مِنْ حَرِيرٍ ، مُزَكَّشَةٌ
بِأَسْلَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَعُلِّقَتْ فِي سَقْفِهِ مَصَابِيحٌ إِذَا أُضِيتْ
جَعَلَتْ الْقَصْرَ فِي نَهَارٍ مُشْمِسٍ ، وَفِيهِ نُحُفٌ وَتَمَايِلٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ
وَالْيَوَاقِيتِ .

بقي جودر في ذلك القصر مقياً نحو عشرين يوماً ، يَرَفُلُ فِي أَبْهَى
الْحَلَالِ ، وَيَكْتَسِي أَنْفَرَ الثِّيَابِ ، وَيَأْكُلُ هُوَ وَالْمَغْرِبِيُّ مِنَ الْأُخْرَجِ
أَشْهَى الْأَطْعَمَةِ .

ثم قال له المغربي يوماً : هَيَّا بِنَا يَا جودر ، فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ هُوَ الْيَوْمُ
الْمَوْعُودُ لِفَتْحِ كَنْزِ الشَّعْرُودِ .

سار جودر والمغربي حتى خَرَجَا إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ، وَامْتَطَى كُلُّهُمَا
ظَهْرَ بَعْلَةٍ ، وَسَارَا يَصْحُبُهُمَا عَبْدَانِ إِلَى أَنْ اتَّصَفَ النَّهَارُ . فَأَشْرَفَا عَلَى نَهْرٍ
جَارٍ . فترجَّلَ الْمَغْرِبِيُّ عَبْدَ الصَّمَدِ عِنْدَهُ ، وَطَلَّبَ مِنْ جودر الْاِقْتِدَاءَ بِهِ .
ثم أشار إِلَى الْعَبْدَيْنِ فَتَقَدَّمَا ، وَأَخَذَا بِلِجَامِ الْبَغْلَتَيْنِ ، وَقَيَّدَاهُمَا . وَمَا
هِيَ إِلَّا هُنَيْهَةٌ حَتَّى كَانَا قَدْ نَصَبَا خِيْمَةً كَبِيرَةً فَرَشَاهَا ، وَوَضَعَا فِي دَائِرِهَا
الْوَسَائِدَ وَالْمَسَانِدَ . جَلَسَ بِهَا الْمَغْرِبِيُّ وَجودر حَيْثُ نَالَا قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ .
وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَا غِذَاءَهُمَا عَلَى عَادَتِهِمَا . أَخْرَجَ الْمُؤَلَّبَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَجَنَ
بِهِمَا السَّمَكَتَيْنِ وَلَتَى مَلِكِ الْجِنِّ . وَأَخَذَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمَا ، وَيُدْمِدِمُ وَيُهْمِّمُ ،
حَتَّى تَعَالَى صَوْتُ السَّمَكَتَيْنِ بِالْاِسْتِغَاثَةِ ، فَقَوْلَانِ : ارْحَمْنَا يَا كَاهِنَ الدُّنْيَا ،
لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، نَحْنُ طَوْعَ أَمْرِكَ .

ولكنّه ظَلَّ يقرأ عليهما، ويُبهمهم ويُسّتم، حتى تَمَزَّقت العُلبتان ،
فصارتا قطعاً تطايرتْ في أرجاء المكان ، وظهر منهما شخصان
مكتوفان يقولان :

— الأمان يا كاهن الدنيا . ماذا تودّ أن تفعل بنا ؟

قال : أودّ أن أُحرِقكما ، أو نُماهداني على فتح كنز الشّمرذل .

قالا : نُماهدُك ، وسنفتح لك الكنز ، ولكن لا بُدّ من حضور

جودر الصيّاد ، إذ لا يُفتح الكنز إلا بحضوره

قال : إن جودر هنا الآن يراكما بعينه ، ويسمّعكما بأذنيه .

فماهداه على فتح الكنز . وطلباً إليه أن يُطلقهما ليُقوما بعمليهما .

فأطلقهما . وأخرج من جرابه قصبّة وألواحاً من العقيق الأحمر وضَمَمها
على مجرّة مملوءة بالفحم ، ونفّخ في القصبّة نفخة واحدة فأوقد ناراً . ثم
وَضَعَ البخور ، وقال لجودر :

— يا جودر ؛ إني سأفُكّك على ما تفعل في أثناء تِلاوتي العزائم

والرُثى ، وإلقائى بالبخور .

قال جودر : نعم ، وسأعمل ما تأمر به ، وألتزم ما ترسمه لي

من حُدود .

قال : اعلم أنّي متى تلاوتُ العزائم والرُثى ، وألقيت البخور — جفّ

ماء النّهر وظهر لك بابٌ من الذهب ، فيه حَلَقَتان من المعدن . فاذهب

إلى الباب واطرفه طرفةً خفيفة ، وانتظر لحظة . ثم اطرّفه طرفةً ثانية

أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى . ثُمَّ اطْرُقَهُ ثَلَاثَ طَرَقَاتٍ مُتتَابِعَةٍ ، وَإِذْ ذَاكَ تَسْمَعُ قَائِلًا يَقُولُ :

— مَنْ يَطْرُقُ بَابَ الْكُنُوزِ . وَهُوَ لَا يَعْرِفُ حَلَّ الرَّمُوزِ ؟!

فَقُلْ : أَنَا جُودِرُ بْنُ عَمْرِو الصَّيَّادِ .

وَحِينَمَا يُسْمِعُ صَوْتَكَ يُفْتَحُ الْبَابُ ، وَيَخْرُجُ شَخْصٌ بِيَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُورٌ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنْ كُنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فُمِدَّ عُنُقَكَ لِأَطِيرِ رَأْسَكَ ؛ فُمِدَّ لَهُ عُنُقَكَ ، وَلَا تَخَفْ ، فَإِنَّهُ مَتَى رَفَعَ يَدَهُ بِالسَّيْفِ وَضَرَبَكَ ، وَقَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَنْ يَنَالَكَ أَذًى ، وَتَكُونُ قَدْ أَبْطَلْتَ رَصْدَهُ . وَإِذَا خَالَفَتْهُ فَإِنَّهُ يَفْتُلُكَ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ ادْخُلْ وَسَتَرِ بِأَبَا آخِرٍ ، فَاطْرُقْهُ يَخْرِجُ لَكَ فَارِسٌ يَرْكَبُ فَرَسًا ، وَعَلَى كَتِفِهِ رُمْحٌ ، فَيَقُولُ لَكَ :

— مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَا يَدْخُلُهُ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ؟!

وَيَهْزُ عَلَيْكَ الرُّمْحُ ، وَيُلَوِّحُ بِهِ مُهْدِدًا ، فَلَا تَخَفْ ، وَافْتَحْ لَهُ صَدْرَكَ ، وَسَيَضْرِبُكَ ، وَلَكِنَّهُ حِينَمَا يَبْدَأُ يُلَوِّحُ بِرُمْحِهِ يَقَعُ فِي الْحَالِ . فَتَرَاهُ جَسَدًا بِلَا رُوحٍ . وَإِنْ خَالَفَتْهُ أَيْضًا قَتَلَكَ .

ثُمَّ ادْخُلْ إِلَى الْبَابِ الثَّالِثِ ، وَسَيَخْرِجُ عَلَيْكَ شَخْصٌ فِي يَدِهِ قَوْسٌ ، وَنَشَابٌ ، وَيَرْمِيكَ بِالْقَوْسِ ، فَإِنْ فَتَحْتَ لَهُ صَدْرَكَ وَقَعَ فِي الْحَالِ ، وَإِلَّا قَتَلَكَ .

وَفِي الْبَابِ الرَّابِعِ يَخْرِجُ عَلَيْكَ سَبْعُ عَظِيمٍ ، يَهْجُمُ عَلَيْكَ فَأَغْرَاهُ .

فلا تخف. ولا تهرب، بل ألقه يدك؛ وستراه يسقط على الأرض
مجدلاً.

وهكذا يتوالى عليك في كل باب من مخوفك ومروءك، فلا تخف
ولا ترتع، بل اصمد لهم جميعاً. وستجد في الباب الخامس عبداً أسود،
يقول لك: من أنت؟ قل له أنا جودر. فيقول: إن كنت ذلك الرجل
افتح الباب السادس. فتقدم، وقل: يا عيسى؛ قل لموسى يفتح الباب،
فيُفتح. فإذا فتح فادخل تجدد لعميانين: أحدهما عن يمين الباب،
والآخر عن يساره، يفتحان فهما يطبقا عليك، فإذا فتح كل منهما فمه،
فضع يدك اليمنى في فم الثعبان الذي على يمينك، وضع يدك اليسرى في
فم الثعبان الذي على يسارك، ولا تخف لأنك إن خفت قتلاك. وادخل
حتى تنتهي إلى الباب السابع، وهناك تخرج عليك أمك. وما هي
بأمك، وتقول لك: مرحباً بك يا بُنى، أقدم حتى أسلم عليك.
فلا سيخضعك كلامها، وقل لها: امسكى بعيداً عني، واخلي عنك
ثيابك، فتقول: كيف يا ولدي أخلع ثيابي، وأصير عارية، وأنا أمك
التي أَرْضعتك في المهدي صبيّاً، وربّتك حتى صرت رجلاً قتيلاً؟!

قل لها: إن لم تخلي ثيابك قتلتك.

وانظر إلى يمينك تجد على الحائط سيفاً معلقاً فخذْه وجرّده من غمده،
وأشهره عليها، وأمرها بخلع ثيابها، وهدّدها بالقتل إن لم تفعل. فتوسّل
إليك وتُخادعك. فلا تسمع لها، واستمر على تهديدها بالقتل حتى تتخلع

جميع ملابسها ، ولا يَبْقَى عليها شيء فَتَسْقُط .

حينئذ تكون قد حُلَّت الرموزُ ، وأُبْطِلت الأرصاد ، وأُمِيتَ على نفسك .

اخطِ بعد ذلك إلى الداخل تجد الذهبَ أ كَوَماً داخلَ الكَنْزِ ، فلا تَأْبَهُ له ، ولا تَمْبَأُ به ، وستَجِد مَقْصُورَةً في صدرِ الكَنْزِ ، وعليها سُورٌ مَسْدُولَةٌ ، فإذا أَرَحْتَ تلك السُّورَ رأيت الكاهنَ الشَّمْرَدَلِ ناعماً على سُريرٍ من الذهبِ المُرَصَّعِ بالجواهرِ واللآلئِ ، فلا يَحُلُبُكَ منظرُ السريرِ ، ولا يَصْرِفُ عَيْنَكَ عن النَّظَرِ إلى الشَّمْرَدَلِ نفسه ، فإنه حينما يَقَعُ بِبَصْرِكَ عليه تراه مُتَقَلِّداً السيفَ ، وبِإِصْبَعِهِ الخاتَمَ ، وبِرِقَبَتِهِ تَدَلِّي سِلْسِلَةٌ بها المُكْحَلَةُ . وعلى رأسِهِ شيء يَلْمَعُ هو كُرَّةُ الفَلَكِ .

انْقَضَ على هذه الأشياءِ الأربعة غيرَ هَيَّابٍ ولا وَجَلٍ ، وانزَعَهَا منه انزِعاً . وإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى شيئاً أو تُخَالِفَ ما أُوصِيْتُكَ به .

فقال جودر : ولكن من يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى كُلَّ هذه الأحوالِ ولا يَخَافُ ؟

فقال المغربي : يا جودر ؛ لا تخف . ما هي إِلَّا أَشْبَاحُ ، وأرصاد الكَنْزِ . وما زال يَطْمَئِنُّهُ ، ويكرر له الوَصِيَّةَ ، ويؤكد له أنه سالمٌ آمِنٌ ، ويُعْرِيه بالجواهرِ السَّيِّئَةِ ، والعطايا الجَزِيلَةِ — حتى قال جودر : لَقَدْ فَهِمْتُ وَعَزَمْتُ ، وتَوَكَّلْتُ على الله .

فأتى المغربي بالبخور في النَّارِ . وأخذ في تلاوة الأورادِ دُونَ انْقِطَاعِ .

فإذا بماء النهر قد غاض ، وبلعته الأرض ، وظهر قاعه ، وجفت أرضه ،
فظهر بابُ الكنز .

نزل جودر إلى الباب وطرقه . فأجابه صوت يقول : مَنْ يَطْرُق
أَبْوَابَ الْكَنُوزِ ، وَلَا يَعْرِفُ حَلَّ الرُّمُوزِ ؟ !

فأجاب جودر في شجاعة واطمئنان : أنا جودر بنُ عمر .

فانفتح الباب . وخرج له شخص جرّد السيِّف عليه ، وقال له :
— مُدَّةَ عُثْقَاكَ .

فوثب قلبه ، وخائنه شجاعته ، أولَ ما وَقَعَ بصرُه على السيِّف
المسلول ، واكته مدَّةَ عُثْقِهِ وهو يُغَالِبُ خَوْفَهُ . فما كاد يضربُه حَامِلُ
السيِّف حتى سَقَطَ على الأرض .

فاطمًا أنَّ قلبه بعضَ الاطمئنان ، وطرقَ الأبواب كلها بابًا بعد باب ،
وكانت كلها تُفْتَحُ له ، فيرى ما نَبَّهَ له صاحبه ، ويَتَذَكَّرُ نصيحته فيعمل
ما أمره . فيَنجُو ؛ ففَتَحَ صدره للفراس صاحب الرمح ، ولصاحب
القوس والنشاب ، ومدَّ يده في فَمِ الأسد . ثم وضعَ كِلْتَا يَدَيْهِ في فَمِ
الثَّمْبَانَيْنِ .

وهكذا استطاع أن يُبْطِلَ أَرْصَادَ الأبواب السبعة . وخرجت له أمه
وقالت : مرحبًا بولدى . فنظر جودر إليها وقد استمجب ، ثم دهش
وارتعب ، وقال لها : مَنْ أَنْتَ ؟

قالت : أنا أُمُّكَ التي حَمَلَتْكَ في بطنها تسعة أشهر ، وأَرْضَعَتْكَ اللَّبَنِ

من نديها وربتها حتى كبرت ، فكم سهرت عليك يا ولدى الليالى الطويلة
وكم تعبت فى تربيتك .

فقال لها : اخلعى ثيابك .

قالت كيف : تأمرنى أن أتجرد من ثيابى يا ولدى ! ؟

قال : اخلعى ثيابك ، وإن لم تخلعها أطحت رأسك بهذا السيف .

ومد يده فأخذ السيف المعلق على الجدار ، وشهره عليها ، وقال :

-- اخلعى وإلا قتلتك .

فطلت المرأة تحاوره وتداوله ، وتتوسل إليه أن يتركها ؛ وظل
هو يهددها ويلوح لها بالسيف ، وكلما خلعت ثوباً يقول : اخلعى الثانى ،
وأخذت تخلع ملابسها ثوباً بعد ثوب ، وكلما تلصكت بالغ فى تهديدها -
حتى لم يبق عليها غير سراويل تستر عورتها .

فقاتت تسترحمه : يا ولدى . هل قد قلبك من حَجَر ؟ ! أليس هذا
حراماً ؟ ! أتريد أن تتعرتى أمك من ثيابها وتتجرد من كل ما تلبس ، حتى
ما يستر عورتها ؟ ! إنها قسوة وغلظة ، إنها جحود لنعمة الحمل والترية ،
إن هذا التدى الذى أضعك ، وإن هذا القلب الذى ما زال يحنو عليك ،
وينعم بنعيمك ، ويشقى بشقائقك - لهما واجب عليك .

تأثر جودر من كلام الأم ، واستخذى أمامها ، ونسي ما أمره به
الكاهن الساحر عبد الصمد المغربى .

فقال : أَصَبْتُ يَا أُمَّاهُ ؟ فلا تخلمي هذه السراويل التي تسترُكِ ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

— ما كاد ينتهي من كلامه هذا حتى صاحت قائلة : قد أخطأت ، فأوجعوه ضرباً ، وأشبعوه لِكْماً بأيديكم ، وَوَكْزاً بأرجلكم . فاجتمع عليه خدام الكنز ؛ وأوسعوه ضرباً ، وأشبعوه لِكْماً وَوَكْزاً ، ثم دفعوا به وألقوه خارج باب الكنز مَغْشِياً عليه ، وأوصدت الأبواب كما كانت .

وأبصر عبد الصمد المغربي بجودر وقد قُذِفَ به خارج الكنز ، فأسرع إليه يحمله ، وصعد به من قرار النهر . ومن ثم لم تلبث المياه أن عادت تجري كما كانت تجري .

وعمل المغربي جهده لإسعاف جودر ، والعناية به ؛ فاما أفاق من غَشِيَتْه قال له :

— ما الذي فعلته يا مسكين ؟ ! وما الذي حدث لك ؟ !

قال : لقد أبطلت جميع الأرصاد ، وحَلَلْتُ كل الطلاسم ، واجتَرْتُ كل الموانع . إلى أن وصلتُ إلى شبيبة أُمى ، فوقع بيني وبينها محاورة طويلة . فأخذت أهدِّدُها لكي تخلع ملابسها كما عرَفَتْنِي . فأخذتُ تخلعُها ثوباً بعد ثوب ، وكلما خلعت ثوباً تَلَكَّأتُ في خلع الذي يليه ، فَأَنَرُها وأنهرُها ، فتنصاع رانمة ، وهكذا حتى لم يبق إلا ما يسترُها ، فبكت ، وتوسَّلت إلى بحملى ورِضاعى ، وسَهَرُها الليالى من أجل ، وعطفها على ، وخَبَّها لى ، فرق لها قلبى ، ورَجَحْتُ دُمُوعها ، وضَعَفُها ، وقَدَّرْتُ

أُمُومَتِهَا ، وَحَنَانَهَا ، فَعَفَوْتُ عَنْهَا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكِدْ أَنْطِقْ بِكَلِمَاتِ الْعَفْوِ
وَالرِّضَا حَتَّى صَاحَتْ :

أَخْطَأُ ، اضْرِبُوهُ ، فَانْهَالِ عَلَى الضَّرْبِ مِنْ أَشْخَاصٍ لَا أَعْرِفُ أَيْنَ
كَانُوا ، وَلَا مِنْ أَيْنَ أَتَوْا ، وَمَا زَالُوا بِى يُضْرِبُونَنِي إِلَى أَنْ أَشْرَفْتُ عَلَى
الْمَوْتِ ، فَأَغْمَى عَلَىَّ ، وَلَمْ أَدْرِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا جَرَى ، حَتَّى اسْتَيْقِظْتُ ، وَانْتَبَهْتُ
مِنْ غَشِيَّتِي ، وَتَفَتَّحَتْ عَيْنَايَ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْمَغْرِبِيُّ آسِيفًا : أَمَا قُلْتُ لَكَ لَا تَخَافُ أَمْرِي ؟ ! أَمَا أَوْصَيْتَكَ
أَنْ تَنْفُذَ تَعْلِيمَاتِي ؟ ! لَقَدْ سَوَّيْتُي وَسَوَّيْتُ نَفْسَكَ . فَلَوْ أَنَّهَا خَلَعَتْ مَا تَبَقَّى
عَلَيْهَا مِنْ ثِيَابِهَا لَكُنَّا قَدْ بَلَغْنَا غَايَتَنَا . أَمَا الْآنَ فَلَا بَدَّ مِنْ إِقَامَتِكَ مَعِيَ إِلَى
مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْعَامِ الْقَادِمِ .

نَادَى الْمَغْرِبِيُّ الْعَبْدَيْنِ فِي الْحَالِ ، وَأَمَرَهُمَا بِإِحْضَارِ الْبَغْلَتَيْنِ ، وَهَدَمَ
الْخَيْمَةَ ، فَفَعَلَا ، وَرَكِبَ هُوَ وَجُودَرُ ، وَعَادَا إِلَى فَاسَ .

(٣)

وَمَضَى الْعَامُ وَجُودَرُ مُقِيمٌ فِي قَصْرِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْمَغْرِبِيِّ ، يَجِدُ كُلَّ عَنَايَةٍ
وَرِعَايَةٍ ، يَأْكُلُ مَا يَشْتَهُي ، وَيَلْبَسُ مَا يُرِيدُ ، وَيَتَنَزَّهُ حَيْثُ أَحَبَّ كَمَا
يُحِبُّ ؛ فَمَا حَلَّ الْيَوْمَ الْمَعْهُودُ . اسْتَصْحَبَ الْمَغْرِبِيُّ جُودَرَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ
وَهُنَاكَ وَجَدَا الْعَبْدَيْنِ فِي انتِظَارِهِمَا ، وَمَعَهُمَا الْبَغْلَتَانِ وَسَائِرُ الْمُعَدَّاتِ ،
فَرَكِبَا وَسَارَا حَتَّى اتَّهَمَيَا إِلَى الْمَسْكَانِ الَّتِي نَزَلَا بِهِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي عَلَى صَفَّةٍ

النهر ، وهناك نصب العبدان الخيمة ، وفرشاها ، وهَيَّ الأرائك والوسائد
والمساند ، وأخرج المغربي السفرة فأكلوا وشربا . ثم أعدَّ قصبته وألواحه
واستعدَّ لإطلاق بخوره ، وإيقاد ناره ، وتلاوة العزائم والرقى ، استعداداً
لفتح الكنز ، وقال لجودر : أأنت في حاجة إلى أن أعيد عليك الوصية
يا جودر ، أم لا تزال تحفظها ؟ قال جودر : يا سيدي لو كنت نسيتُ
الضرب ، أكون نسيت الوصية .

قال المغربي : اعلم إنَّك لو خالفت ، أو أخطأت فلن يخرج حياً ،
وسيقنلك خدم الكنز والموكلون به . وإن هذه المرأة التي خدعتك
ليست أمك كما فهمت ، وإنما هي شبح من الأشباح في صورة الأم .

وباشر المغربي تماويذه ورقاه كما فعل في المرة السابقة ، فجفَّ النهر ،
وظهر باب الكنز ، فنزل جودر إليه وطرقه ، وما زال حتى أبطل الأرصاد
السبعة ، وانتهى إلى أمه . أو إلى شبح أمه . فلما رآته قالت : مرحبا يا ولدي
وفلذة كبدي ، يا من هو في سويداء قلبي : مرحباً بحياتي ، فأنا لا أحياء
إلا به ، ولا أعيش إلا له .

قال : لست بولدك يا خداعة ، لست بولدك يا غرارة . اخلعي
ملابسك .

فصارت تجادلُه وتجادعه وتراوِعه ، وتتوسَّل إليه بالكلام المعسول ،
والدموع الغزيرة ؛ ولكن قلبه استعجر وغلظ فلم يتأثر ، وأخذ يزجرها
وينهرها ويحاشنها في الكلام ، ويهددها ، فلم تجد بداً من خلع ثيابها

ثوباً بعد ثوب ، وكلما حاولت أن تتلكأ نهرها ، وما إن خلعت آخر قطعة من الملابس التي عليها حتى تلاشت وصارت شبيحاً .

خطا جودر إلى الداخل فبهره ما رأى . رأى الذهب أكواماً ، والجواهر تلالاً . فوقف يتفرّجُ عليها مشدوهاً من كثرتها ، معجباً من انعكاس بريقها ، مأخوذاً من شِدَّةِ لَآلِئِها ، ولكِنَّه لم يلبث أن تحوّل عنها ، واتّجه إلى المقصورة ، فأزاح الستار الذي أُسدِلَ على بابها ، ونظر في داخلها . فشاهد الكاهنَ الشَّمرَدلَ صاحبَ الكنزِ راقدًا على سرير من ذهب ، متقلداً السيِّف ، ورأى المكحلة تتدلى من سِلْسِلَةٍ على صدره ، والخاتم في إصبعه ، وكُرَّةُ الفلك فوق رأسه . فاقترَبَ منه وتناول السيِّف وخلع الخاتم ، ثم أخذ المكحلة ، ودائرة الفلك ، وتحوّل عائداً من حيث أتى . وإذا بِقِرْعٍ طُبول ، ونَعَمَ زُمُور ، وأصواتٍ تهتِف : هُتَيْتَ بما أعطيت يا جودر .

وما زال قرع الطبول ، ونعم الزمور ، وصوت الهتاف — يتعالى ، إلى أن غادر الكنز .

وما إن رأى المغربي جودر وهو عائِدٌ إليه ، حتى كفَّ عن إطلاق البخور ، وتلاوة العزائم ، وبادر فأخذه بين ذراعيه وهو يُقبِّلُه ، وكأن الدنيا لا تسعه أشدَّة فرحه .

أعطاه جودر السيِّف والخاتم والمكحلة وكُرَّة الفلك ، التي انتزعها من الشمرَدل ، فأخذها منه متلهِّفاً جَذْلانَ فَرِحًا . ونادى من فَوْره العُبدَيْن .



فأمرهما بتقويض الخيمة ، وإحضار البعلتين ، فنقذا ما أمرا به . ولم يعض قليلٌ حتى كان المغربي وجودر في طريقهما إلى المدينة .

ولما اطمأنَّ بهما المقام في القصر ؛ وفرغاً من تناول طعامهما الذي حوى كلٌ لذيذ شهى ، أخرجهما لخُرُجِ المغربي — قال المغربي لجودر : — يا جودر ، لقد فارقت أرضك وبلاك من أجلي ، وقضيت لي حاجتي ، فصارت لك على أفضال عظام ، وطوّقت عُنُقِي بِجَمِيل لا أنساه ؛ فَمَنْ عَلَى ما تريد . فإن الله تعالى أعطاك . فلا تستخى ، وكل ما رغبت فيه فهو لك .

قال جودر : إن كان ولا بُدَّ من ذلك فأعطني الخُرج .

فأعطاه المغربي الخُرج وقال : خُذْهُ فهو لك ، ولكنه لا ينفعك إلا في الطعام ، ولا بُدَّ لك من عمل ، تشغل به نفسك ، حتى لا يراك الناس فارغاً ، همُّكَ طعامُك وشرابك ، لذلك سأعطيك أيضاً خُرُجاً آخر مملوئاً بالجواهر والنقود . لتُهيَّئَ لك تجارة ، وتصير من كبار التجار وأغنائهم .

فرح جودر لذلك ، وأعطاه المغربي خُرُجَ الجواهر والمال ، وخُرُجَ الطعام ، وعلمه طريقة استعمال الأخير . وأحضّر له عبداً وبغلة ، وقال له :

اركبْ هذه البغلة ، وسيصحبك هذا العبد ، فهو يعرف الطريق ، فإذا ما وصلت إلى دارك — فأترك البغلة للعبد ، وسيعودان إلينا لأنهما

من الجن . ولا تطلع أحداً على سرك قط .
ثم قبله وودّعه ، ووضع له الخرجين فوق ظهر البغلة ، واعتلاها
جودر وانطلقت به بصُحبة العبد .

(٤)

سار جودر في الطريق عائداً إلى وطنه وكلّه حنين إلى أهله ، تكادُ
نفسه تنطلق شوقاً لرؤية أمّه . فلما انتهى إلى بلده ، وهمّ بدُخول
الطريق الموصل لمنزله فوجىء بها جالسة على قارعتيه شعشاء غبراء مُمزّقة
الثياب ، تسأل الناس إحساناً ؛ فبهت وذهل ، وكذب عينيه ، وانحدر عن
ظهر البغلة يتفرّس وجه أمّه ، فإذا بها هي ، فاستطار عقله ، ومدّ يده
يرفعها إليه ، وقد انعقد لسانه عن التفوه بأى لفظ . فما رآته أمّه ، وعرفته
حتى ارتمت عليه متحبة باكية ، فأخذ بيدها ، وعاد بها إلى المنزل ، الذي
وجده خالياً من كلّ شيء ، حتى من الحصير البالى الذى يجلس عليه ،
فأنزل الخرجين عن ظهر البغلة ، وسلمها العبد ، الذى أخذها وعاد إلى
سيده عبد الصمد المغربى ودخل جودر إلى المنزل ، وقال لأمه : يا أمى
أين أخواى سالم وسليم ، أهما ما يزالان على قيد الحياة ، أم مسّهما سوء ،
فلم يستطيعا الإتفاق عليك ؟ !

قالت : يا بنى ، إنهما ما زالا يعيشان .

قال : فلائى شيء تسألين الناس إحساناً

قالت : يا بنيّ ، عضّني الجوع ، ولم أجد ما أمسك به رمقي ، فإما أن
أسأل الناس ، وإما أن أموت جوعاً .

قال : لقد أعطيتك ألف دينار يوم سفرى ، كما أعطيتك قبلها
مائتين ، فكيف نفذ هذا المال في ذلك الوقت القصير ؟ ! إنه عامٌ
وبعض عام .

قالت : لقد مكر بي أخواك ، وعادوها الطبع السيئ ، وأخلق
الذميم ، فأخذنا مني المال على أن يستثمرا في التجارة . فأضاعاه وغدرا بي .
قال جودر : لا بأس عليك يا أمّاه ، فقد عدت إليك ، وسيعوض
الله عليك ، فلا تحزني ، ولا تبتئسي ، فهالك خرجا مملوءا بالمال والجواهر .
والآن ماذا تريدان أن تأكلتي ؟

قالت الأم : بارك الله فيك وعليك يا ولدي ، فما ذقت طعاماً منذ
ثلاثة أيام ، وأى شيء يكفي ؟ !

جودر : اطلبي يا أمي ما تشتهين ، فإني أحضره في الحال .

قالت : أريد خُبْزاً ساخناً وجُبناً .

قال : بل اطلبي يا أمي أصنافاً أخرى لذيدة تحببها ، اطلبي أشهى
أنواع الطعام ، وأحبها إليك .

قالت : أحضر يا ولدي ما تودّه ، فكل ما تحضّره طيب .

قال : إن ما يليق بك يا أمي هو اللحم المقدد ، والدجاج المحمر ،
والسمك المقلّى ، والحمام المخلّى ، وأنواع الفطائر ، وصُنُوف الفاكهة ، و ...

قالت : ما هذا الذى تقول يا ولدى ؟ ! أتَحلم أم تَسْخَر ؟ !

قال : لا أقول إلاَّ حقًّا ، وسأحضر لك الآن كلَّ هذا

قالت : ومن الذى سيحضره ؟ ! ومن الذى سيطهوه ؟ !

قال جودر وهو يضحك : وحياتِكَ عندى سأطعمك كلَّ هذه الأشياء دون شراء ، ودون طَهْوٍ ؛ فإنَّك جائعة جدًّا يا أُمى ، ولن تصبرى حتى نطبخ ، فالأكل مُعدّ ، وسترتين .

قالت : وأين هذا ، وأنا لا أرى معك شيئًا من الطعام ؟ !

قال : أحضرى لى هذا الخُرج .

خملت إليه الخُرج فوجدته خَفيفا فارغا ، ليس به شيء . فأعطته إياه وهى فى عجب من أمره . فأخذه ، ووضع يده فيه وقال لها :
— خذى : هذا هو الدَّجاج المحمر .

فنظرت إليه والدُّهُ تنفرٌ سهُ مشفقة ، وقد ظنَّت أن ولدها إمَّا أن يكون قد جُنَّ ، وإمَّا أنه يهزأ بها . ولكنها ما لبثت أن أبصرت يده تخرج من الخُرج ، وقد سمَّلت طبقًا مملوءًا بالدَّجاج ، ثم آخر مملوءًا بالكباب ، ثم . . . وهكذا حتى أخرج جميع ما ذكره لها . وهى تنظر إليه فاعرة فاها ، زائغة عيناها لشدة دهشتها ، وفرط عجبها ، وجودر يبادلها النظر مُبتسما ، وأخيرا نسيت ألم الجوع وقالت :

— أين كانت هذه الأطباق ، وقد كان الخُرج فارغا ؟ !

فضحك جودر لما اعترى أُمّه وقال لها :

— سأشرح لك الأمر يا أمي . اعلمي أن هذا الخرج أعطانيه المغربي ، وهو مَرصود ، وله خادم ؛ فإذا ما أراد الإنسان أيّ لون من ألوان الطعام وضع يده في الخرج . وقال : بحقّ ما عليك من الأسماء يا خادم هذا الخرج أحضري كذا ، فيحضره .

فقال أمه وقد زاد عجبها ، واشتدت دهشتها :

— ما أعجب هذا يا ولدي وما أغربه ! أئذا قلت له الآن أخرج لي شيئاً فعل ؟!

قال : نعم ، أفعلي .

فوضعت يدها في الخرج وتلّت الأسماء ، وطلبت ضلعاً من اللحم ، فإذا بالطبق قد صار بالخرج ، فأخرجته فوجدت به ضلعاً شبيهة . فضحكك وضحك ابنها ثم قال : الآن صرنا في غنى عن مهمة شراء الطعام ، ومشقة طبخه وإعداده . وكل ما اشتتهه نفسنا فهو في متناول يدينا .

وجلس جودر يأكل مع أمه ، وقد زال عنها بعض ما ساورها من القلق ، فعاد إحساسها بالجوع ، فأقبلت على الطعام تأكل بلذة ونهم ، وأكل معها ابنها ، وظلّا يأكلان حتى شبعوا .

فاما فرغا ، قال لها : أفرغي الأطباق وصفيها في الخرج ، ثم احفظيه في مكان أمين ، وكما أريدت منه طعاما اطلبي منه ، ولا تنسي أن تتصدق ، وأطعمي أخوى إذا حضرا في غيبي ، ولكن لا تخبري

بأمر هذا المخرج أحدا ، واعلمى أنك إن أذعت هذا السر عاد ذلك وبالاً علينا .

وما هى إلا هنيهة حتى حضر أخواه سالم وسليم ، وكانا قد علما بموئده من جار له رآه ، فذهب وأخبرهما قائلاً :

— أما رأيكما أخاكما ؟ لقد حضر من سفره على ظهر بغلة ، يتقدمه عبد ، ويرتدى حلة مزرکشة فاخرة ، وعليه سيا الجاه والغنى .
فلما سمعا ذلك اعتراهما التدم الشديد على ما صدر منهما فى غيبة أخيهما .

وقال سليم لأخيه : سوف نخبره أمنا بما فعلناه معها ، وإن نستطيع الآن مواجهته ، والتمتع بما قد أتى به من خيرات .

فرد عليه سالم : إن قلب أمنا رحيم جداً ، وإن قلب أخينا أرحم ؛ فهى إن أخفت عليه أمرنا كان خيراً ، وإن لم تخفه فإنه يغفر لنا ذنبنا ، فهبنا بنا إليه لنرى ما سيكون .

ذهب سالم وسليم إلى بيت أخيهما جودر ، وما كان منه إلا أن رحب بهما ، وقابلهما بمقابلة سميحة طيبة ، فحش فى وجههما وبش ، وهياً لهما مائدة كثيرة الألوان ، لما لاحظ من ضعفهما وشحوب لونهما ومحولهما .

وأقبل الأخوان على الطعام فى نهم شديد يلتهما نه التهاماً ، ويردردانه از دراد آحتى شيعا .

فقال لهما جودر : خذا ما بَقِيَ من طعام ، وتصدَّقا به على الفقراء .
 فقالا : ولماذا لا نُبقيهِ لعشائِنَا يا أختي ؟
 قال : عندما يَحِيءُ وقتُ العشاء ، يأتِيكما أكثرُ منه وخير منه ، والله
 عنده خير كثير .

فأخذا الطعام ، وتصدَّقا به على مَنْ لقياه من الفقراء .
 وفي المساء دخل جودر القاعة التي وَضَعَ فيها الخُرج ، وأخرج منه
 مائدةً كاملةً تحتوي على ما يُرَبَّى على أربعين لواناً من ألوان الطعام ، ثم
 خرج إلى أخوته ، وطلب من أمه إحضار الطعام فأخرجت الأطباق
 شيئاً فشيئاً ، وأنظار ولدَيْها سالم وسليم تتبعانها ذهاباً وجيئةً في فضول
 ودَهْشَةٍ ، ودعتهم أمهم إلى المائدة فأكلوا جميعاً .
 وما بَقِيَ بعد طعامهم تصدَّقوا به كذلك على الفقراء ، وظلُّوا على هذه
 الحالة أَيْاماً .

فتساءل الأخوان عن سرِّ هذا الطعام الهنيئ الشهيِّ ، دون أن يريا
 لحمًا يُشْتَرَى ، وخُضرًا تُجْلَب من السوق . وموقداً يُوقَد ، أو أى شيء
 يدل على أن طعاماً يَمُد ؛ وصمَّما على معرفة الأمر . فانتظرا فُرصة غياب
 جودر ، وقالا لأُمهما :

— يا أمنا ، نحن جائعان ونريد طعاماً .

فتمَنَّتْ أمهما إلى الداخل ، وأحضرت لهما من الخُرج الطعام
 ساخنًا .

فقالا : من أين هذا الطعام الساخن ، وما رأيناكِ جهزتِ شيئاً ، ولا أوقدتِ ناراً ؟ !

قالت : خير الله كثير .

ولكنهما لم يقتنعا ، وما زالا بها حتى أعلمتهما أمر الخروج ، وطلبتُ منهما كتمان السر .

فقالا : السر مكتوم يا أمنا ، ولكن عرفينا كيف يخرج الطعام من الخرج ؟ !

فأمرتهما الخروج ، وعرفتهما طريقته ، فوضعا أيديهما فيه ، وطالبا بعض أصناف الطعام ، خرجت لهما ، فصارا بعد ذلك كلما أرادا منه شيئاً طلباه دون أن يعلم أخوهما شيئاً .

ومرّت الأيام . فقال سالم لسليم : إلى متى ونحن عند جودر في مرتبة الخدم . يؤوينا في منزله ، ونأكل من صدقته ، ألا نعمل عليه حيلة ، ونأخذ هذا الخرج ونفوز به ؟

فقال أخوه : وما الحيلة ؟

قال : نبيعه لرئيس بحر السويس .

قال : وكيف نبيعه ؟

قال سالم : أذهب أنا وأنت لندلك الرئيس ، ونستضيفه مع اثنين من رفاقه . والذي أقوله لجودر تؤمن عليه ، وآخر الليل أريك ما أصنع . ولم يتوانيا في تنفيذ خطتهما الجهنمية . فذهب في الحال إلى ذلك

الرئيس؟ وما لبثنا أن أسرنا إليه رغبتهما، فقالا :

— أيها الرئيس . لقد جئنا في أمر نودُّ أن تُساعدنا عليه ،
وسوف يسرك .

قال : خيراً . ما هو ؟

قالا : نحن أخوان ، ولنا أخ ثالث فاسدٌ شرير ، فيه قسوةٌ
وصراوةٌ ، يعق أمه ، ويؤذي إخوته . فلا خير فيه : مات أبونا ، وخلف
لنا جثة من المال ، قسمناه بيننا ، فأخذ نصيبه ، وصرفه في وجوه الفسق
والفساد . ولما بدد ماله وافتقر عاد علينا يشاكسنا ويشكونا ، ويتظلم
لدى الحاكم منهمماً إيانا بأخذ أمواله منه ، وظلنا هكذا في تقاضٍ وتشاكٍ
حتى ذهب معظم مالنا ، وأصبحنا فقراء ، وهو لا يكف عنا . فاستبد
بنا الكروب ، وملكننا الضيق ، فرجاؤنا منك أن تشتريه منا ،
وتريحنا منه .

فقال لهما : هل تستطيعان أن تحتالا عليه ، وتأتياي به إلى هنا .
وأنا أرسله سريعاً إلى البحر ؟

قال سالم : لا نستطيع إحضاره هنا ، ولكن نُدبر لك حيلة ،
وتعاوننا أنت على تحقيق هذا التدبير ؛ وذلك أن تكون أنت صيفنا هذه
الليلة ، ومعاك اثنان من أعوانك لا غير . فإذا ما نام تعاوان عليه نحن
الخمسة ، فنؤتقه ونكتمه ، ونأخذه تحت جناح الليل ، ونفعل به
ما نشاء .

قال : لَكُمَا ذَلِكَ ، وَلَكِنْ بِكُمْ تَبِعَانِيه ؟

قال سالم : بما تَشَاء . قال : بِأَرْبَعِينَ دِينَارًا .

قَالَا قَبِلْنَا . وَحِينَمَا تَأْتِي فِي الْمَسَاءِ سَتَجِدُ أَحَدَنَا مُنْتَظِرَكَ عَلَى رَأْسِ الطَّرِيقِ . ثُمَّ حَدَدَ لَهُ مَوْقِعَ الدَّارِ . وَعَادَا إِلَى جُودَرِ .

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَنْتَبَّ بِهِمَا الْمَجْلِسُ قَالَ سَالِمُ لْجُودَرِ ، وَهُوَ يُظْهِرُ الْحَجَلَ وَالْتَأَسَفَ :

— يَا أَخِي . إِنْ لِي صَاحِبًا اسْتَضَافَنِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةً فِي دَارِهِ ، فِي أَثْنَاءِ غِيَابِكَ ، وَلَهُ عَلَى أَيَادٍ كَثِيرَةٍ لَا تُحْصَى . وَقَدْ قَابَلَنِي الْيَوْمَ ، خِيَّانِي ، وَدَعَانِي إِلَى مَنَزَلِهِ فَقُلْتُ لَهُ أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ فِرَاقَ أَخِي . الَّذِي عَادَ إِلَيْنَا بَعْدَ غِيَابٍ طَوِيلٍ ، وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْبِرَ عَلَى فِرَاقِهِ . فَقَالَ : أَحْضِرْهُ مَعَكَ فَقُلْتُ : إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ ، وَلَكِنْ يَسْرُرُنِي ، وَيَسْرُرُ أَخِي أَنْ تَكُونُوا أَتَمُّ فِي ضِيَافَتِنَا ، وَكَانَ جَالِسًا مَعَ أَخَوَيْهِ ، وَقَدْ طَلَنْتُ حِينَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ سَيَعْتَذِرُ ، وَلَنْ يَقْبَلَ ؛ وَلَكِنَّهُ قَبِلَ ، وَقَالَ : انْتَظِرْنِي عَلَى رَأْسِ الطَّرِيقِ ، وَسَأَحْضُرُ أَنَا وَأَخَوَايَ ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ يَصْذُقَ فِي وَعْدِهِ فَيَأْتِي وَأَنَا حَاجِلٌ مِنْكَ لِدَعْوَتِي إِيَّاهُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ ؛ فَهَلْ تَأْذَنُ لِي يَا أَخِي فِي اسْتِضَافَتِهِمْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَعَدَمَ إِحْرَاجِي مَعَهُمْ .

فَقَالَ جُودَرُ : وَلَايَ شَيْءٍ تَحْجِلُ وَتَأْسَفُ ، أَمَنْزِلُنَا ضَيْقٌ لَا يَسْمُهُمْ ، أَمْ طَعَامُنَا قَلِيلٌ لَا يَكْفِيهِمْ ؟ أَحْضِرْهُمْ وَسَوْفَ نَطْعِمُهُمْ أَشْهُى الْأَطْعِمَةِ . وَلَوْ أَحْضَرْتَ أَيْ إِنْسَانٍ فِي غَيْبَتِي فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أُمِّكَ

ما تشاء من طعام وهي تُحَضِّرُهُ لَهِمْ . اذْهَبْ وَأَحْضِرْهُمْ ، فَرَحَبًا بِهِمْ
وَأَهْلًا وَسَهْلًا .

فنهض سالم وقبّل يد أخيه شاكرًا . وذَهَبَ يَنْتَظِرُ من سيّدفع بأخيه
إليهم بالعماء .

حضر سيّد بحر السويّس ورَفِيقاه ، واستَقْبَلَهُمْ سالم أحسن استقبّال ،
وَذَهَبَ بِهِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، وتلقّاهم جودر بالبشر والترحاب ، وجلس معهم
يؤنّسهم ، ويهيئ لهم أسباب الراحة . ولما أَمْسَى المساء لم يَتَوَانَ لحظة
في الدُّخُول إلى الخُرُج ، وإحضار ما للدّ وطاب من طعام وشراب ،
وفاكهة وحلوى ، وقَدّم لهم ما سرّهم وأعجبهم .

كلُّ ذلك والبحارة يَظُنُّونَ أَنَّ هذا الإكرام من إعدادِ سالم لهم .
وانتصف اللّيل ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ سالم القيام إلى المضاجع ليناموا .
فَرَقَدُوا جَمِيعًا ، وتظاهروا بالنوم حتى نام جودر وغفّل ، فقاموا إليه
وتعاونوا عليه ، فلم يُفِيقْ إلا والسكّامة في فيه ، والوثاق حول ذراعيه ،
وكتفّيه ، وسرعان ما حمّلوه ، وخرّجوا به تحت جَنَاح اللّيل يخفّيه
الظلام .

ولما أصبح الصّباح دخل سالم وأخوه إلى أمّهما فقالا لها :

— يا أمنا ، إن أخانا جودر لم يَسْتَيْقِظ .

قالت : أَيَقِظَاه .

قالا : أَيْنَ هُوَ رَاقِدٌ ؟

قالت : عِنْدَ الضيُوفِ .

قالا : لا يُوجدُ هناكَ أحدٌ . ولعلهُ ذَهَبَ مَعَهُمْ وَنَحْنُ نَأْمَانُ . فَقَدِ اشْتَقَاقٌ إِلَى السَّقَرِ ، وَرَغِبٌ فِي دُخُولِ الْكَنُوزِ ، وَقَدْ سَمِعْنَا الْمَغَارِبَةَ أَمْسَ يَقُولُونَ لَهُ : نَأْخُذُكَ مَعَنَا وَنَقْتَحِ لَكَ الْكَنْزَ .

قالت أُمُّهُمَا ذَهْشَةً مِنْ قَوْلِهَا : وَهَلْ اجْتَمَعَ بِالْمَغَارِبَةِ ؟ !

قالا : أَمَا كَانُوا ضُيُوفًا عِنْدَنَا ؟ !

فَجَزَعَتْ وَقَالَتْ : أَحَقُّ أَنْ ذَهَبَ مَعَهُمْ دُونَ أَنْ يُخْبِرَنِي ؟ !

ثُمَّ أَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ الْمُرِّ ، وَنَشَجَتْ نَشِيجًا مُحْزَنًا ، وَأَخَذَتْ تَدْعُو لَهُ اللَّهُ أَنْ يُلْهِمَهُ الرَّشَادَ ، وَيُرْذَهُ إِلَيْهَا سَالِمًا غَانِمًا .

وَكَانَ وَلَدَاهُمَا لَا يُعْجِبُهُمَا مَا يَبْدُو مِنْهَا مِنْ عَطْفٍ وَحَنَانٍ عَلَى جُودِ ، وَيُؤَيِّلُهُمَا أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْهَا ، وَيَرْمِيَانِهَا بِالضَّلَالِ وَسُوءِ الرَّأْيِ . فَلَمَّا سَمِعَا مِنْهَا أَنَّهَا تَتَمَنَّى لَهُ أَنْ يَعُودَ سَالِمًا ، وَأَنَّهَا تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُهَيِّئَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ رَشَدًا بَسْطًا — لِسَانَهُمَا فِيهَا ، وَأَسْمَعَاهَا كَلَامًا بِذِيئًا ، وَكَادَا يَضْرِبَانِهَا ، وَقَالَا لَهَا :

أَتُكَيِّتِينَ كُلَّ هَذَا الْحُبِّ لِلْجُودِ ، وَتَجْزَعِينَ كُلَّ هَذَا الْجُزَعِ لِنُفْيَاةِ ، وَنَحْنُ لَا يَهْمُكَ غِيَابُنَا وَلَا حُضُورُنَا ، أَلَسْنَا وَلَدَيْكَ كَمَا أَنَّهُ وَلَدُكَ ؟ !

قالت : أَتَمَا وَلَدَايَ ، وَلَكِنْ كُنَا شَقِيَّانِ تَمَسَّانِ ، لَا خَيْرَ فَيَكُمَا وَلَا نَفْعَ ، أَمَا جُودُ فَشَفِيقٌ رَحِيمٌ ، أَكْرَمَنِي كَثِيرًا ، أَفَلَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَبْكِيَ عَلَيْهِ إِذَا غَابَ ؟ !

فلما سِما منها هذا الكلام عادا إلى سببها وشتيمها بقوارص الكلم ،
ودخلا يُفتشان عن الخُرج حتى وجدها ، وعثرا أيضاً على خُرج
الجواهر والمال .

فقالا لأيهما : هذا هو مال أيتنا الذي تأمرتِ على إخفائه أنت
وابنك جودر .

قالت : لا والله ، إنما هو مالُ أخيك جودر جاء به من بلادِ المغاربة .
قالا لها : كذبتِ ، بل هو مالُ أيتنا ، ونحن نتصرف فيه .
واغتصبا المال وقسماه بينهما ، واختلفا على الخُرج المرصود . فقال
سالم : أنا آخذه ، وقال سليم : أنا آخذه .

فوقعتُ بينهما مشادةً ومناقشات حامية ، فقالت الأم :

يا ولدى ، الخُرج الذى فيه المال والجواهر قَسَمَته ، وهذا لا يُقسَم ،
ولا يُقوَّم بمال ، وإن انقطعَ نصفين بطلَ رَصَدُه ، فتركاهُ عندي ، وأنا
أُخرجُ لكما ما تأكلانه ، وقتما تشاءان ، ودعاني أجد بينكما ما أمسك به
رَمَقى . حتى إذا ما حضر أخوكما لا تفتضحان أمامه .

فرفضاً ، وأخذاً يتجادلان ويتشاحتان . فسمع عراكما رجُل قَواس
من أعوان المَلِك يَقطن فى منزلٍ مجاورٍ لِمنزلِ جودر ، فجلسَ يَسْتَرِق
السَّمع من طاقة بين الدَّارين ، وعَرَف ما كان من أمر الخُرج الذى
اختلفا بشأنه .

فلما كان الغدُ دخل ذلك الرَّجُل القَواس على المَلِك وأخبرَه بما سِمه .

فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى أَخَوَيْ جُودَر ، وَجَاءَ بِهِمَا ، وَسَأَلَهُمَا ، فَأَنْكَرَا ،
فَسَدَّدَ عَلَيْهِمَا ؛ فَأَقْرَأَا ، فَأَخَذَ مِنْهُمَا الْخُرَجِينَ ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِمَا .
أَمَّا أُهْمُهُمَا فَقَدْ رَتَّبَ لَهَا الْمَلِكُ مَا يَكْفِيهَا مِنَ الرِّزْقِ الْجَارِي كُلِّ يَوْمٍ .

(٥)

أَمَّا جُودَرُ فَإِنَّهُ ظَلَّ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْبَحَّارَةِ أُسِيرًا ، يَخْدُمُ خِدْمَةَ
الْعَبِيدِ سَنَةً كَامِلَةً لَا يَجِدُ فَكَاكَ وَلَا مَفْرَأًا . حَتَّى حَدَثَ فِي أَثْنَاءِ سَفَرِهِ
مِنْ سَفَرَاتِهِمْ بِالْبَحْرِ أَنْ خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ عَاصِفَةٌ أَخَذَتْ تَلْعَبُ
بِالْمَرْكَبِ ، وَتَلْقُقُهُ الْأَمْوَاجُ ، ثُمَّ قَذَفَتْ بِهِ أَخِيرًا إِلَى ثُتُوءِ صَخْرَى فِي
وَسَطِ الْبَحْرِ فَارْتَطَمَ بِهِ ارْتِطَامًا شَدِيدًا ، وَغَرِقَ جَمِيعُ رُكَّابِهِ مِنَ الْبَحَّارَةِ
وَالْمَلَّاحِينَ وَالتَّجَّارِ ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جُودَرُ ، الَّذِي رَكِبَ عَلَى لَوْحٍ مِنَ
الْخَشَبِ ، وَتَشَبَّثَ بِهِ ، فَمَا زَالَ الْمَوْجُ يَدْفَعُهُ هُنَا وَهَنَا حَتَّى انْتَهَى
إِلَى الشَّاطِئِ .

خَرَجَ جُودَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَقَدْ نَالَ مِنْهُ التَّعَبُ مَنَالًا عَظِيمًا ، فَرَأَى أَرْضًا
وَاسِعَةً ، يَعْبُزُ الْبَصَرُ عَنْ رُؤْيَا آخِرِهَا ، فَهِيَ تَمْتَدُّ وَرَاءَ الْأُفُقِ إِلَى
مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ ؛ جَلَسَ عَلَى الشَّاطِئِ حَتَّى اسْتَرَاحَ مِنَ التَّعَبِ ، وَحَتَّى بَرِيءَ
مِنَ الدُّوَارِ الَّذِي أَصَابَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ سَارَ تَعَلُّوًا بِهَ النَّجَادِ ، وَتَهَيَّطَ بِهِ الْوَهَادَ ،
إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى تَجْمَعٍ يَسْكُنُهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ ، فَسَأَلَهُ أَهْلُهُ : مَنْ أَنْتَ ؟
وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ؟ وَمَا حَالُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا حَدَّثَ لِلْمَرْكَبِ ، وَبِمَا حَدَّثَ لَهُ

بعد ارتطامه بالصخر الناقى فى البحر ، وما كان من شأنه مع لوح الخشب الذى أتقده .

وكان أهل النجع يستضيفون تاجرا من أهل جدة ؛ فلما سمع حديثه أشفق عليه ؛ فقال له :

— يا مصرى ، أأخدم عندى ؟ أأكسوك وأطعمك وأخذك معى إلى جدة .

أجاب جودر : نعم .

فأخذهُ العربى معه إلى جدة ، وأحسن إليه ، وبألف فى إكرامه ، لما عَرَف من جميل خلقه ، وهدوء طبعه ، وسلامة قلبه .

ولما جاء موسم الحج ، قصد سيده إلى مكة لأداء فريضته ، وصحب جودر معه .

فبينما جودر يطوف بالحرم ، إذا به يلتقى بصاحبه عبد الصمد المغربى يطوف أيضاً حول الكعبة .

فما وقع نظر جودر عليه حتى رمى بنفسه بين ذراعيه ، وبكى . فقبله المغربى ، وسأله :

— ما بك يا جودر ؟ وما حالك ؟

فأنتجى به جودر ناجية ، وقصّ عليه قصته مع أمه وأخويه .

فطيب المغربى خاطره ، وقال له : لا تحزن يا جودر ، سيزول عنك كل شر .

وأخذه إلى منزله ، وأخرج له حُلَّةً ثَمِينَةً غَالِيَةً ، أَلْبَسَهُ إِيَّاهَا . ثُمَّ أَخْضَرَ
تَحْتَ رَمَلٍ ، وَأَخَذَ يَتَلَوَّ كَلَامًا ، وَيَحْسِبُ أَرْقَامًا ، وَيَخْطُ عَلَى الرَّمْلِ
بَأَصْبَعِهِ خُطُوطًا ، ثُمَّ قَالَ لَجُودِرَ : أَتَنْذِرُنِي يَا جُودِرُ مَا حَلَّ بِأَخَوِيكَ ؟

قال : ماذا ؟

قال : إِنَّهُمَا الْآنَ سَجِينَانِ فِي سِجْنِ مَلِكِ مِصْرَ . فَأَبْقِ أَنْتَ الْآنَ مَعِيَ
حَتَّى تَقْضَى مَنَاسِكَائِي . وَبَعْدَهَا لَا يَكُونُ لَكَ إِلَّا الْخَيْرُ ، وَلَنْ يُصِيبَنَا
إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا .

فَقَالَ جُودِرُ : هَلْ يَسْمَحُ لِي سَيِّدِي أَنْ أَذْهَبَ فَأُعَلِّمَ التَّاجِرَ الَّذِي أُقِيمُ
عِنْدَهُ أَنِّي سَأَبْقَى مَعَكَ .

قال المغربي : لَا بَأْسَ ، أَذْهَبْ إِلَيْهِ وَأَخْبِرْهُ ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ وَفَاءٌ لَهُ ،
واعتَرَفَا بِجَمِيلِهِ ، وَعُدَّ إِلَى عَلِيٍّ عَجَلًا .

فَذَهَبَ جُودِرُ إِلَى التَّاجِرِ الْعَرَبِيِّ وَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي . لَقَدْ رَأَيْتُ أَخِي
يُودِّي مَنَاسِكَ الْحَجِّ ، وَتَعَارَفَا .

فَقَالَ التَّاجِرُ : أَحْضِرْهُ لِنَنْزِلِ ضَيْفًا عَلَيْنَا .

قال جُودِرُ : إِنَّهُ غَنِيٌّ ، وَمِنْ أَصْحَابِ الْمَالِ ، وَأَرَبَابِ الثَّرَاءِ ، وَهُوَ
يُودُّ أَنْ أَتَقَبَّلَ إِلَيْهِ ، وَأُقِيمَ مَعَهُ .

قال التاجر : إِنَّا نُسَرُّ لِمَا فِيهِ رَاحَتُكَ يَا جُودِرُ .

ثُمَّ نَهَضَ فَأَحْضَرَ لَهُ عِشْرِينَ دِينَارًا ، وَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذِهِ ، لِأَبْرَرِيَّ
ذِمَّتِي ، فَهِيَ أَجْرُ مَا أَدَيْتَ لِي مِنْ عَمَلٍ .

فأخذها جودر ، ووَدَّعه ، وخرَج ، فرأى رَجُلًا فَقِيرًا واقِفًا على جانب الطريق يسأل الناس ، فأعطاه العِشرين دينارًا ، وذهب إلى المغربى فأقام عنده .

ولما قَضِيا مناسك الحج . أعطى المغربى جودر الخاتم الذى أتى به من كَنْزِ الشمردل .

وقال له : خُذْ هذا الخاتم فإنه سَيُبلِّغُكَ مرادَكَ ، فإن له خادِمًا اسمه الرِّعد القاصِف . فإذا ما أَرَدْتَ أى شىء ، فادْعُكَ الخاتم يَظهر لك الخادم ، وأمره بما تَشَاء فإنه لا بُدَّ فاعله .

ثم دَعَا الخاتم . فظهر الخادِم ونادى : لَيْتِكَ يا سَيِّدى لَيْتِكَ ، أى شىء تَمَنَّى فأُحقِّق لك ما تَمَنَّيت ؟ أترِيد أن تُعَمِّرَ مَدِينَةَ خَرِبَةٍ ؟ أم تُريد أن تُحْرِبَ مَدِينَةَ عَائِرَةٍ ؟ أم تُريد أن تُقَتِّلَ مَلِكًا ؟ أم تُريد أن تُكْسِرَ جَيْشًا ؟ أنا رَهْنُ أَمْرِكَ ، وطوع وإِشَارَتِكَ .

فقال له المغربى : يا رَعد ، هذا هو سَيِّدُكَ من اليَوْم ، فاستَوْصِ به خَيْرًا .

ثم صرفه وقال لجودر : جَرِّبِ أُنْتَ الآن . ادْعُكَ الخاتم يُحضِرُ لك خادمه ، وأمره أن يذهب بِكَ إلى بَلَدِكَ فى هذا اليَوْم ؛ فلن يُخَالَفَكَ ، وَسَيَحْمِلُكَ على ظَهْرِهِ ، وَيَطِيرُ حَتَّى يَصِلَ بِكَ إلى دارِكَ . وأنت لا تَجْهَلُ مِقْدَارَ هذا الخاتم ، خافِظْ عليه تَنَلْ به كل أغراضِكَ . ووَدِّعْ كُلَّ مَنَهِمَا الآخرَ وافترقا .

دَعَا جودر الخاتم ، فإذا الخادم يَبْنِي يديه . فقال له : انقلني إلى مصر
اليوم يا رَعْد .
قال : لَكَ ذلك .

وحمله ، وطار به من الظُّهر إلى مُنْتَصَف الليل . ثم نَزَلَ بِهِ فِي بَيْتِ
أُمِّهِ ، وانصَرَف ، فدخل جودر على أُمِّهِ وسلمَ عَلَيْهَا ، فمَاتَتْهُ ، وبَكَتْ ،
واتَّحَبَتْ ؛ فسأَلَهَا عَنْ أَخَوَيْهِ ، فأخبرته بما فَعَلَهُ مَعَهُمَا الْمَلِكُ حَيْثُ
سَجَّنَهُمَا ، وَأَخَذَ الْخُرْجَيْنِ .

فقال لَهَا جودر : لَا تَجْزَعِي يَا أُمِّي ، سيعود لَكَ وَلَدَاكِ ، وَسيعودُ
لَنَا الْخُرْجَانِ .

فَقَالَتْ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَعَلَيْكَ يَا وَلَدِي ، وَأَبْقَاكَ لَنَا ذَخْرًا ، وَجَعَلَكَ
دَائِمًا مِنْ أَبْنَاءِ السَّعَادَةِ الَّذِينَ يَبْرُونَ أُمَهَاتِهِمْ ، وَيَعْطِفُونَ عَلَى إِخْوَتِهِمْ ،
وَيَتَسَامَحُونَ مَعَهُمْ ، وَيَعْفُونَ إِذَا قَدَرُوا . وَلَكِنْ كَيْفَ تُخَضِّرُهُمَا وَهُمَا فِي
سِجْنِ الْمَلِكِ ؟ !

قال : سَتَرِينَ يَا أُمِّي .

ودَعَا الخاتم ، فَخَضَرَ الخَادِمُ ، وَقَالَ : لَتَبُوكَ يَا سَيِّدِي ، اطلبُ تُعْطِ .
قال جودر : أَمْرُكَ أَنْ تُجِيءَ بِأَخَوَيَّ مِنْ سِجْنِ الْمَلِكِ .
قال : سَمِعًا وَطَاعَةً يَا سَيِّدِي .

وكانَ سالمٌ وسليمٌ في أَشَدِّ ضَيْقٍ وَأَكْرَبِ حَالٍ مِنَ أَلَمِ السِّجْنِ وَعَذَابِهِ .
فصَارَا يَتَمَنَّيَانِ الْمَوْتَ ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : لَقَدْ طَالَ بِنَا السِّجْنَ ،

وَعَظُمَتْ عَلَيْنَا الْمَشَقَّةُ، وَاشْتَدَّ بِنَا الْكَرْبُ، وَأَذَانَا الضِّيقُ، فَإِلَى مَتَى
تَرْسُفُ فِي الْأَغْلَالِ، وَتُضْرَبُ بِالسَّيَاطِ، وَتُكَافَّ أَعْمَالًا شَاقَّةً لَا قِبَلَ
لَنَا بِهَا، وَتُحْرَمَ نَسِيمَ الْحَرِّيَّةِ؟!

وَكُنَّا كُلًّا نَدْبِاسُوءَ حَظَّهُمَا تَذَكُّرًا أَخَاهُمَا، وَنَدِمَا عَلَى مَا فَعَلَاهُ بِهِ،
وَاعْتَقَدْنَا أَنَّ مَا حَصَلَ لهُمَا انْتِقَامٌ مِنَ اللَّهِ بِسَبَبِ غَدْرِهِمَا وَخِيَاَتِهِمَا،
وَيَنْبَغِي لَهَا أَنْ يَبْعَ السَّائِمَةُ لِصَاحِبِ بَحْرِ السُّوَيْسِ؛ ثُمَّ هُوَ انْتِقَامٌ مِنَ اللَّهِ
أَيْضًا لِأَنَّهُمَا تَكَرَّرَ مِنْهُمَا عَثُوقُهُمَا لِلْمُتَّهِمَا، وَإِهَانَتُهُمَا.

فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ يَنْدَبَانِ حَظَّهُمَا إِذَا بِالْأَرْضِ قَدْ اهْتَزَّتْ، ثُمَّ انْشَقَّتْ،
وَخَرَجَ عَلَيْهِمَا الرِّعْدُ الْقَاصِفُ، وَحَمَلَهُمَا وَنَزَلَ بِهِمَا عِنْدَ جُودَرٍ، وَقَدْ
أَصَابَتْهُمَا غَشِيَةٌ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْعِ.

فَلَمَّا أَفَاقَا مِنْ غَشِيَتِهِمَا، وَجَدَا أُمَامَهُمَا جُودَرٍ، وَأُمَهُمَا إِلَى جَانِبِهِ.

فَقَالَ لَهَا:

— مَرْحَبًا يَا أَخُوَيَّ الْعَزِيزَيْنِ، لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكُمَا.

فَأُطْرَقَا بِرَأْسَيْهِمَا إِلَى الْأَرْضِ، وَأَجْهَشَا بِالْبُكَاءِ.

فَقَالَ لَهَا: لَا تَبْكِيَا، فَالشَّيْطَانُ وَالطَّمْعُ الْجَاكِمَا إِلَى ذَلِكَ فَبِعِثْمَانِي؛
وَلَكِنِّي أَنَسَلِي يُوْسُفَ، فَقَدْ فَعَلَ بِهِ إِخْوَتُهُ أَفْطَعَ مِنْ فِعْلِكُمَا بِي، فَقَدْ
رَمَوْهُ فِي الْجُبِّ، وَكَذَّبُوا عَلَى آبِيهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ الدُّثْبَ أَكَلَهُ. وَلَكِنْ
تَوْبًا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرَاهُ لَعَلَّهُ يَغْفِرَ لَكُمَا، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَإِنِّي قَدْ
عَفَوْتُ عَنْكُمَا، فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمَا.



ثم أخذ يقص عليهم ما قاساه من مشاق ومتاعب إلى أن التقى بالشيخ
عبد الصمد ، وأخبرهما خبر الخاتم ، فاطمأن قلباهما ، وقالا : يا أخانا :
إن عدنا إلى ما كننا عليه من ضلال ، فافعل بنا ما تشاء .

قال : لا بأس . ولكن أخبراني بما فعل بك الملك .

فقالا : ضررنا وهددنا ، وأخذ الخرجين ميتا .

قال : لا أبالي .

ودعك الخاتم ، فحضر خادمه . فقال له : أمرتك أن تأتيني بجميع ما في
خزائن الملك من جواهر وغيرها ، ولا تُبقي فيها شيئا ، وتأني بالخروج
المرصود وخُرج الجواهر اللذين أخذهما الملك من أخوتي .
قال : سمعاً وطاعة .

وذهب من قوره ، وجمع ما في الخزانة وحمله ، وحمل الخرجين ،
ووضع كل ما أتى به أمام جودر .

— فقال له جودر : أمرتك أن تبني لي في هذه الليلة قصرًا عاليًا
وتنقشه ، بماء الذهب ، وتفرشه فرشًا فاخرًا . ولا يبرُغ النهار إلا وأنت
قد أتممته ، وهيأت فرشه ، وأمانته .

قال الخادم : لك ذلك يا سيدي .

ونزل إلى الأرض ، وجمع أعوانه ، وأمر ببناء القصر . فتعاونوا جميعًا
على بنائه ، فمنهم من قطع الأحجار ، ومنهم من بنى ، ومنهم من نقش ،

ومنهم من قرش . فما طلع النهار حتى كان القصر قائماً شامخاً ، مفروشاً ،
يزرى بقصر الملك .

فذهب الخادم إلى جودر ، وقال : يا سيدي ؛ لقد تمّ بناء القصر ، وكُمّل
تأثيثه ، فاحضّر وشاهيده .

فتوجّه جودر ومعه أمّه وأخواه لمشاهدة القصر ، فرأوا عجباً . رأوا
قصرًا مُنِيفًا عاليًا ، قائمًا على أعمدة من الرّخام اللامع المصقول ، طلائع
من ماء الذهب ، وأرضه من الفسيفساء والمرمر ، تتوسط ساحته نافورة
ماء عظيمة ، يضرب ماؤها في الهواء ، ثم يتساقط ويسير في قنوات
متشعبة جارية تصب في أرض بستان قد نضر وازدهر ونور وأثمر ،
وفرشت أرض غُرْفَه بالبُسُط الحريرية الخضراء ، واستدارت الأرائك
والوسائد ، ونصبت الأسيرة ، ومليت الأصونة بالملابس الفاخرة ،
والجواهر الثمينة ؛ وفي الجملة أعد القصر إعدادًا لم يحدث لإنس من قبل .
وعلى الرغم من سابق علمهم بما سيكون عليه القصر من الفخامة
والأبهة والرّوعة . ويقدّر اقتناعهم بمقدرة الخادم على فعل كل شيء ، فقد
بهرهم ما شاهدوه من جمال القصر ، وشدهم ما رأوه من عظّمته .

فقال جودر : ستسكنين هذا القصر يا أمي .

ففرحت أمّه ، ودعت له دعواتٍ صالحة .

ثم قال جودر لخادم الخاتم : أمرتك أن تأتيني بأربعين جاريةً بيضاء ،
وأربعين جاريةً سوداء ، وأربعين مملوكا ، وأربعين عبدًا .

قال : لك ذلك يا سيدي .

وذهب مع جماعة من أعوانه ، وجلبوا الجوارى والعبيد من مختلف البلاد ، وعرضهم على جودر فأعجبوه .

وقال له : أحضر لكل شخص منهم حلة ثمينة ، كما تحضر لى ولأخى ولأخوى ملابس من آخر الثياب ، غير ما هو محفوظ فى أضونة القصر . فأحضر لهم جميعاً ما يلزمهم من الملابس ، فارتدوها .

وقال جودر للجوارى : هذه هى سيديتكُن فاخدمنها ، ولا تعصين لها أمراً .

وأشار إلى أمه . فتقدمن إليها ، وقبلن يدها .

أما أخواه فقد أفرد لكل منهما جانباً من القصر ، وأعطاهن من يحتاج إليه من جوارٍ وخدم . وسكن هو وأمه فى القصر .

أما ما حصل فى قصر الملك ، فقد أراد الموكلُ بخزائن الملك استخراجُ جملة من المال للإنفاق ، ففتح الخزانة فلم يجد فيها شيئاً ، فذعر ذعراً شديداً ، وفزع أنه أن يراها خالية وقد كانت مليئة .

فصاح صيحة عظيمة . وخرج مهرولاً إلى الملك ، وأخبره أن الخزانة خلت من جميع ما كان بها من مالٍ وجواهر ، وأصبحت فارغة .

فغضب الملك ، وقال : ماذا صنعت ؟ وأين ذهبت الأموال ؟ !

قال : والله ما صنعتُ فيها شيئاً ، ولا أدري سبب فراغ الخزانة . فبحثها بالأمس فكانت ممتلئة ، وفتحها اليوم فوجدتها فارغة ، ليس

فيها شيء . أبوابها مُغلقة لا تُقَبُّ بها ولا كسر .

قال الملك : تفقّد الخُرَجَيْن ، لعلَّك تجِدُهُما .

قال : تفقّدْتُهما يا مولاي ، فلم أجِدْهما .

قال الملك : ألم تجِدْ حائِطًا منقوبًا ، أو بابًا مَفْتُوحًا ، أو قُفْلاً مكسورًا ، أو أيَّ شيء تستطيع أن تتصور منه بعض التصوّر كيف وقعت الجريمة ؟

قال : لا يا مولاي ، كلُّ شيء طبيعي إلا أن الخزائن فارغة .

فغَضِبَ الملك غضبًا شديدًا ، وغلى دَمُه ، وانتَفَخَتْ أوداجُه ، وكاد لا يُصدِّق الخبر ، ولكنه همَّ قائمًا ، وتوجّه إلى الخزانة فوجدها فارغة كما أخبره خازنُه ، فزاعَ بصرُه ، وكاد يذهبُ عقلُه ، ويَطير صَوَابُه ، وصار يُضربُ كفا على كفّ تارة ، ويعضُّ إصبعه تارة أخرى .

وخرج إلى ديوانه مغيظًا مُحْتَقًا ، يكاد الشررُ يتطاير من عينيه ، وعقد مجلسه ، وأمر بإحضار كبار عسكره ، وقال : سرّقت أموال الليلة .

دهش جنود الملك وضباطه لهذا الخبر ، وأخذ ينظر بعضهم إلى بعض ، وعُقدت ألسنتهم بعض الوقت ، ثم قال أحدُهم : وكيف كان ذلك يا مولاي ؟ !

قال : اسألوا خازنَ المال ، الموكَّل به .

وكان الخازنُ حاضرًا . فاستفهموه ، فأخبرهم بما رأى . فشاع العجبُ بين جميع الحاضرين من هذا الأمر .

وبيناهم في مجلسهم هذا تملكهم حيرة شديدة ، واضطراب وارتباك
إذ دخل القوّاسُ الذي كان قد أبلغ الملكَ خبرَ سالم وسليم ، ووجهه
الخطاب إلى الملك قائلاً :

— يا مَلِك الزمان ؛ إني في دَهْشة من أُمّرى . فإني طول الليلة الماضية
أشاهدُ بنائين يَبْنُون ، وعمالاً يَعْمَلُونَ . في أرضٍ مُجاوِرٍ منزلي . وما
أصبحُ الصباح حتى رأيتُ قصرًا ما وَقَعَت العين على مثله ، وكأنَّ الشياطين
قد صَنَعْتَهُ . فسألتُ عن ذلك فقليل لي :

إن جودر آتَى ، وَبَنَى هذا القَصْرَ ، وعنده ممالكٌ وَعَبِيدٌ ، ومالٌ
كثير ، وقد خَلَصَ أخُوهُ من السَّجْنِ ، وهو في قَصْرِهِ كأنَّهُ مَلِكُ الزَّمانِ ،
وأُميرُ العَصْرِ والأوانِ .

قال الملكُ : اذهبوا إلى السَّجْنِ ، لتَحَقَّقُوا من أَنَّ سالمًا وسليماً خَرَجَا
منهُ ، أو هُما ما يزالان فيه .

فذهبوا إليه ، وَجَثُوا عن سالم وسليم ، فلم يَجِدُوها فيه ، فرجعوا
وأخبروا الملكَ أَنهما غادرا السَّجْنَ ، وَلَيْسَا فيه .

فقال الملكُ وقد ازدادَ غضبه شِدَّةً : ظهرَ غَرِيبِي ، فالذي خَلَصَ سليماً
وسالمًا من السَّجْنِ هو الذي أَخَذَ مالي ، وسرقَ خزانتي .

فقال الوزيرُ : يا سَيِّدِي ؛ مَنْ هُوَ ؟

قال : أَخُوها جودر يا وَزِيرِي ؛ فَأرسلْ إليه أُميراً ومعه تَحْسُون رجلاً

يَقْبِضُونَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى أَخَوَيْهِ ، وَيَضَعُونَ الْأَخْتَامَ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ ،
وَيَأْتُونَنِي بِهِمْ جَمِيعًا .

فَقَالَ الْوَزِيرُ وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا : حِلْمُكَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ . فَإِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ
لَا يُعَجِّلُ بَعْدَهُ إِذَا عَصَاهُ . وَإِنَّ الَّذِي يَكُونُ قَدَبَنَى قَصْرًا هَذَا وَصَفُهُ فِي
لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا قَالُوا لَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ . وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يُصَادِفَ
الْأَمِيرَ مَشَقَّةٌ لَا قَبْلَ لَهُ بِهَا ، فَاتَّظِرْ حَتَّى تَرَى الْحَقِيقَةَ ، وَسَوْفَ أُدَبِّرُ لَكَ
تَدْبِيرًا يُبَيِّنُ لَكَ رَغَبَتَكَ .

قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا الَّذِي تَرَى أَنْ تَفْعَلَهُ يَا وَزِيرِي ؟

أَجَابَ الْوَزِيرُ : أَرْسِلْ إِلَيْهِ أَمِيرًا يَدْعُوهُ إِلَيْكَ ، فَإِذَا جَاءَ فَأَحْسِنِ
اسْتِقْبَالَهُ ، وَاسْتَضْفِهِ بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَسَوْفَ أَتَكَلَّمُ أُنَا بِهِ ، فَاسْتَدْرِجْهُ
فِي الْحَدِيثِ ، وَأَعْرِفْ مَقْدَارَ عِزِّهِ وَقُوَّتِهِ ، فَإِنْ كَانَ شَدِيدًا قُوًيًا نَحْتَالِ
عَلَيْهِ بِمَثَلِ حِيلِهِ ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا هَيِّنًا تَقْبِضْ عَلَيْهِ ، وَتَفْعَلْ بِهِ مَا نَشَاءُ .
فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِهَذَا الرَّأْيِ وَأَقْرَرَهُ ، وَأَرْسَلَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ يُصَحِّبُهُ
خَمْسُونَ رَجُلًا لِيَدْعُوهُ جُودَرُ لِمُقَابَلَةِ الْمَلِكِ .

وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ أَحَقَّ مَتَكَبِّرًا مُتَغَطِّرِسًا . فَعِنْدَ مَا وَصَلَ إِلَى قَصْرِ
جُودَرِ ، رَأَى أَمَامَ بَابِهِ خَصِيًّا مَتَكَبِّرًا عَلَى كُرْسَى ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ لَمْ يَنْهَضْ ،
وَلَمْ يَقِفْ احْتِرَامًا لِلْأَمِيرِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ : يَا عَبْدُ ! أَيْنَ سَيِّدُكَ ؟
فَأَجَابَهُ بِدُونِ اكْتِرَافٍ وَهُوَ لَا يَزَالُ مَتَكَبِّرًا عَلَى الْكُرْسَى :
فِي الْقَصْرِ .

فغَضِبَ الأميرُ وقال : يا عبدَ النحسِ والشؤمِ ، أما تَسْتَحْيِي أنْ تُخَاطِبَنِي وَأَنْتَ مَتَكِيٌّ عَلَى الْكَرْسِيِّ ؟ !
قال : لَا تَكُنْ كَثِيرَ الْكَلَامِ .

فلما سَمِعَ الأميرُ هذا الكلامَ غَضِبَ وَثَارَ ، وَعَدَّ ذَلِكَ إِهَانَةً لَهُ ،
وَسَحَبَ عَصًا غَلِيظَةً يَرِيدُ ضَرْبَ الْعَبْدِ ضَرْبَةً تَهْشِمُ رَأْسَهُ .
فَنَهَضَ الْعَبْدُ — وَكَانَ شَيْطَانًا — فَأَخَذَ مِنَ الْأَمِيرِ الْعَصَا ، وَضَرَبَهُ
بِهَا عِدَّةَ ضَرْبَاتٍ .

— فاندَفَعَ الْعَسْكَرُ بِسُيُوفِهِمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ ، لِمَا فَعَلَهُ بِأَمِيرِهِمْ .
— فقال العبد : أَتَشْهَرُونَ السُّيُوفَ عَلَيَّ يَا كَلَاب ؟ !
— وَقَامَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ كُلٌّ مِنْ أَصَابِهِ مِنْهُ ضَرْبَةٌ جُرِحَ وَسَالَ دَمُهُ ،
فَانْهَزَمُوا أَمَامَهُ وَوَلَوْا هَارِبِينَ .

— وَعَادَ الْعَبْدُ فُجِسَ عَلَى كَرْسِيِّهِ ، وَلَمْ يُبَالِ أَحَدًا .
— وَلَّى الْأَمِيرُ وَعَسْكَرُهُ مِنْهَزَمِينَ إِلَى الْمَلِكِ . وَقَصَّ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ
مَا لَاقَاهُ هُوَ وَرَجَالُهُ مِنَ الْعَبْدِ . فَغَضِبَ الْمَلِكُ ، وَأَمَرَ بِإِزَالِ مِائَةِ رَجُلٍ
إِلَى ذَلِكَ الْعَبْدِ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَحَمْلِهِ مَكْبَلًا بِالْأَغْلَالِ وَالسَّلَاسِلِ .

— نَفَخُوا إِلَيْهِ ، فَمَرَّاهُمْ حَتَّى قَامَ إِلَيْهِمْ ، وَمَا زَالَ بِهِمْ يَوْسِعُهُمْ ضَرْبًا
وَيُشْبِعُهُمْ لَكْنًا وَوَكْرًا إِلَى أَنْ وَاوَا مَدْبِرِينَ مَذْعُورِينَ .
فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِإِرْسَالِ مِائَتَيْنِ ، فَكَانَ نَصِيحُهُمْ كَنَصِيحِ الْمِائَةِ .

فَبَلَغَ الْغَضَبُ مِنَ الْمَلِكِ مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَأَمَرَ الْوَزِيرَ أَنْ يَنْزِلَ فِي خِصْمَانَةِ

رجل مُدَجَّجٍ بالسلاح ، ويأتيه بذلك العبد ويجودر وأخوينه .
فقال الوزير : يا ملك الزمان ؛ أنا لا أحتاجُ لمسكر ، وسأذهبُ إليه
وحدى ، دون سلاح .

قال الملك : افعل ما بدا لك ، والذي يَهْتَنِي الآن أن يحضرَ إلى جودر
وأخواه وعبدُه ، بأى وسيلةٍ من الوسائل ، وعلى أى صورةٍ من الصُور .
فالتقى الوزير سلاحه ، ولبس حُلَّةً بيضاء ، وأخذ مِسْبِجَةً فى يده ،
وتوجَّه وحده إلى قصر جودر . فرأى العبد جالساً ، فأقبلَ عليه وقال :

— السلامُ عليكم

قال العبد : وعليكم السلام يا إنس ، ما حاجتك ؟ .
فارتعد الوزيرُ من الخوفِ إذ عرف أن مخاطبَه جئى من قوله له يا إنس ،
ولكنه ملكٌ نفسه ، وضبط شعوره وقال :

— أسيديك جودر هنا ؟

قال العبد : نعم ؛ إنه فى القصر .
قال : اذهبْ إليه وأخبره أن الملك يدعوه إلى ضيافته .

قال العبد : انتظرْ حتى أخبره .

وصعد إلى جودر ، وقال له : يا سيدي : لقد أرسلَ إليك الملكُ
أميراً يصحبُه خمسون رجلاً ، فضرِبَهم ؛ فأرسل مائة ، ثم مائتين ،
فهيَزمتهم . فأرسل الوزيرَ من غيرِ سلاح يدعوك لضيافته ، فماذا ترى ؟
قال : انذَنُ للوزير بالدُخولِ عَلَيْنَا .

قال : سَمْعًا وطاعة .

ونزلَ إلى الوزير ، ودعاه لمقابلةٍ جودر .

فلما مثل الوزير بين يديه هالَهُ ما رآه فيه من عَظَمَةٍ ، وما أحاطَ به من الرّوعةِ والأُبْهةِ والجلالِ ، فهو يَراه بحالَةٍ ليس الملكُ عليها ، أو قريباً منها ، ووجد الوزيرُ نفسَه بين يَدَيْهِ وكأنه رجلٌ بَأْسٌ مُفقير .

فقال له جودر بعد السلام : ما شأنُكَ أيها الوزير ؟

أجاب الوزير : أعلم يا سيدي أن الملكَ يُمكنُكَ لكَ حبّاً عظيماً ، وهو يقرُّنُكَ السلامَ ، ويودُّ رؤيتَكَ ، وقد أرسلَنِي إليك لأبلغَكَ رَغْبَتَهُ في حُلُولِكَ ضَيْفًا عليه اليوم .

قال جودر : إذا كان الملكُ يَمكنُكَ كلَّ هذه المحبة — فلا صَيَّرَ من أن يحضُرَ هو عندي .

قال الوزير : لا بَأْسَ ، سأبلغُهُ رَغْبَتَكَ هذه .

نفلع جودر على الوزير حُلَّةً ما ارتدَى هو ولا ملكُهُ مثلها قطّ ، فلبسها وخرجَ قاصِداً الملكَ .

وأخبر الوزيرُ الملكَ ما لاقاه من جودر ، وما قاله له .

فأمر الملكُ جنودَه بالاستعداد لالذَّهابِ معه إلى جودر .

ولم يمضِ قليلٌ حتى كان في طريقه إليه يحفُّ به عسكرُهُ .

وكان جودر في انتظارِهِ ، وقد صفَّ له في ساحةٍ منزله أعواناً من

أعوانِ خادمِ الخاتمِ ، على هيئةِ جنودٍ وخدامٍ وحشمٍ ؛ ليُلقوا الرِّعْبَ

والهيئة في قلب الملك ورجاله بمنظر غلظتهم وشدتهم .

فلما وصل الملك ورأى هؤلاء الجنود وقع بقلبه ما أراد له جودر .
وزاد ذلك الشعور ما شاهده من العظمة البالغة ، وما لمسّه مما يدلّ على
الغنى الفاحش في جميع أرجاء القصر . أما مجلس جودر فكان مجلساً لم
يجلس الملك في مثله قط .

قال جودر للملك : يا ملك الزمان ؛ ليس مثلك من يظلم الناس
ويغتصب أموالهم .

قال الملك : لقد نفذ القضاء ، ولولا الذنب ما كانت المغفرة .
وأخذ يستسمح جودر ويستغفره ممّا صدر منه ضد إخوته . فغفر
له جودر وأمنّه ، لما رآه من تواضعه ، وأمر بالمائدة فدّت ، وتناول
الجميع طعاماً ما ذاقوا في حياتهم الذمّه ، كما أمر بكسوة لجميع حاشية الملك
من الكساوى الفاخرة .

ومرت الأيام والملك لا يئى عن الذهاب إلى جودر ، والتردد عليه
في قصره ، حتى توطدت بينهما أواصر الصداقة .

ثم زاد فصار يعقد مجالسه التي ينظر فيها في شئون رعيته في قصر
جودر ، ولسكنه رغم ذلك كان لا يزال يشعر بالخوف والرهبة منه .
فقال يوماً لوزيريه : يا وزيرى ؛ أنا أخشى أن يقتلني جودر ، ويأخذ
الملك منى .

فقال الوزير : يا ملك الزمان ؛ إننى أستبعد فكرة أخذه الملك ،

فإن ما هو عليه لأحسن كثيراً من حالة ملك . ولكن إذا كنت تتوجسُّ شرًّا فعندك ابنةٌ جميلةٌ زوجها له فتأمن جانبَه .
قال الملك : نَعَمْ هذا الرأى ، ولن أجد لابنتى أصلح من جودر زوجًا . ولكن كيف نعرضها عليه ؟ .

الوزير : أضفه عندك ، واجعل مجلسه فى قاعةٍ مُشرقةٍ على البُستان ، وحينئذ يمكنه أن يراها فيه . فإذا ما لمحتُ أنا إعجابه بها ، أخبرته أنها ابنتُك ، ولا أزال أحاوره فى الحديث حتى يعترف لى بأنه أحبها ، ويطلب خطبتها ، وهو لا يعلم إلا أن كلَّ شئ قد جاء عفوًّا .

قال الملك : نَعَمْ هذا الرأى يا وزيرى . ما فتئت مُرشدى ومُنقذى . وأُقيمت وليمةٌ كبيرةٌ بقصر الملك لجودر حضرها رجالُ الدولة وبالغ الملكُ ورجاله فى إعدادها ، فحوت كل ما قدروا عليه من صُوف وألوان ، ولكنَّ مهما بالغوا فلن تكون قريبةً من ولائهم أُلخرج ؛ ومع ذلك فإن جودر جاملَ صديقه الملك ، وجلس إلى المائدة وتناول منها بشمية ما أشبعه ، وبعد أن انتهى الطعام جلس الوزيرُ وجودر فى القاعةِ المعدةِ المُشرقةِ على البُستان . وبعد لحظةٍ مرّت أمام نافذةِ القاعةِ غادةٌ جميلةٌ فاتنةٌ ، غراء فرعاء . وكان الملكُ قد أوصى امرأته بتزيين ابنتها أحسن زينة ، فما رآها جودر حتى شهق ، وخفق قلبه ، وشرد لُبُه ، وحارت عيناه ، فقال عليه الوزير فى سر من الحاضرين وقال له : ما بك ياسيدى ؟ !
قال جودر وهو يشير إشارةً خفيةً إلى ابنةِ الملك : مَنْ هذه ؟

أجاب الوزير : هي ابنة حبيبك وصفيك وخليك .

قال جودر : مَنْ ؟

أجاب الوزير : الملك .

فقال جودر وهو يتابعها بنظراته : ما أجملها !

فقال إليه الوزير ، وأسرّ قائلاً : إن كانت قد أعجبتك ، فانا أسمى لك عند الملك ليزوجك إياها .

قال جودر : أقسم لك لو نجح مسعاك ، لأعطيته كل ما تطلب ، كما أعطى الملك ما يطلبه في مهرها .

فقال الوزير : سأخاطبه في ذلك من فوري ، ولا بد من تحقيق غبتك ؛ ثم أسرع إلى الملك فزف له البشري .

وزفت السيدة آسية ابنة الملك إلى جودر ، وسط الابتهاج والسرور ، الذي عمّ البلاد جميعها ، وأقيمت حفلات بهيجة أمّها الناس من جميع الطبقات . وقام بعقد العقد شيخ الإسلام . ودفع جودر مهر عروسه خراج الجواهر والمال الذي كان أعطاه إياه الكاهن عبد الصمد ، والذي كان الملك اغتصبه من أخويه .

(٦)

ولم يطل الحالُ بمد ذلك بالملك فقد دنا أجله ، وتوفاه الله بمد زفاف ابنته على جودر بوقت قصير .

فنادى الجنود بجودر ماسكاً عليهم ، ولكنه رَفَضَ ، فأخذوا هم ورجال الدولة يَلْحِقُونَ وَيَلْحِقُونَ حتى استجاب لهم .

وكان أول عمل أمر به ، هو بناء جامع على قَبْرِ الملك سلفه ، وأجرى عليه الأوقاف الخيرية الكثيرة .

وجعل أخويه وزيرين : سالم وزير مَيْمَنَتِهِ ، وسليم وزير مَيْسَرَتِهِ .

ولكن الحقد الذى يأكل صدر سالم وسليم لم يَكُنْ ليقعدهما عن جودر ، وما كانت الغيرة التى تنهشُ صدريهما لتصرفهما عنه ، بعد كثرة ما آذوه ، وكثرة ما عفا عنهم .

فما انصرم عام على تولية جودر حتى كان الضغن قد بلغ منهما أقصى مداه .

فقال سالم لسليم :

— إلى متى يا أخى ونحنُ تابعان لجودر ؟ ! إننا لا نَبْلُغُ سيادة ، ولا ننال سعادة ، ما دام جودر حيًّا .

قال سليم : وماذا نصنعُ حتى نَقْتُلَهُ ، ونَسْتَولى على الخاتم والخروج ؟ قال سالم : تُدبر لنا حيلة .

قال سليم : إنك أدري منى بذلك ، فدبر لنا ما تراه .

قال سالم : إذا دبرْتُ حيلةً لقتله ، هل تَرْضَى أن أكون أنا سلطانا ، وأنت وزير ميمنة ، ويكون الخاتم لى ، والخروج لك ؟ قال سليم : قَبِلْتُ .

وزهبنا إلى أخيهما جودر، فقال له سالم: يا أخى؛ إنّا نودُّ أن تكررنا
بتشريفك منازلنا، وقبول ضيافتنا.

فقال جودر: لا بأس بذلك، فعند من تكون ضيافة اليوم.

قال سالم: عندي أنا، وبعد ذلك تكون ضيافة أخى.

فقبل جودر، وتوجّه إلى منزل سالم، وجلس إلى طعامه، وكان
مسموماً، فما استقرّت أول لقمة منه في جوفه حتى وقع على الأرض في
غيبوبة عميقة، وظنّ سالم أنه لقي حتفه، فأسرع إليه، ونزع الخاتم
من إصبعه، ودعكه، فخصّر خادمه قائلاً: لبيك، يا سيدى لبيك،
فأمره أن يقتل أخاه سليماً، ثم يلقى به وبأخيه جودر في العراء، ففعل
الأمره به.

وذاع هذا الأمر بين الرجال فجزعوا الرؤية ملكهم وأخيه مقتولين،
وخادم الخاتم يحملهما ويلقيهما في العراء.

فقالوا لخادم الخاتم: من فعل بالملك ووزيره هذا؟

قال الخادم: أخوهما سالم.

أما سالم فإنه أقبل عليهم، وقال لهم: أيها الجند، اعلموا أنى قد
ملكتم الخاتم من أخى جودر، وهذا المارد هو خادم الخاتم، وقد
أمرته بقتل أخى سليم حتى لا ينافى الملك، لأنه خائن، وهذا جودر
قد قتله بالسم. وسأكون أنا عليكم سلطاناً، فإما أن تقبلوا، وإما أن
أمر الخادم فينتزع أرواحكم واحداً بعد آخر.

فلم يجدوا بداً من الرضاء به ملكاً عليهم ، والمناداة له بذلك .
وبعد أن انقضت مراسيم المبايعة ، وتم تنصيب سالم ملكاً ، أراد
عقد زواجه على زوجة أخيه جودر ، فقال له وزراؤه :
انتظر حتى تنقضى عدتها الشرعية .

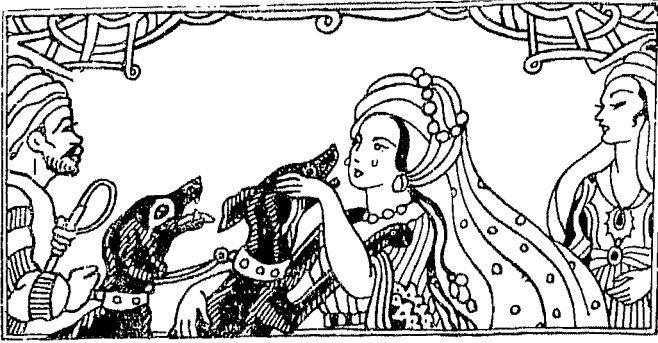
قال : لا أنتظر ، ولا بد من زواجي منها اليوم .
وبلغ الخبر السيدة آسية ، وما انتواه سالم إزاءها ، بعد أن
قتل زوجها .
فقالت : لا بأس بذلك ، دعوه يفعل ما يشاء ، وأنا راغبة في
الزواج منه .

فأبلغوا سالمًا موافقة زوجة أخيه على زواجه منها . ففرح ، وذهب
إليها وهو مزهو بنفسه ، يختال نفراً وطرباً . وما درى أنها طالبت
لتنقم منه أشد انتقام لقتله زوجها وحبيبها جودر .

وقابلته مرحبة ، وقد بدت في أبهى زينتها ، وجلست معه تلاطفه
وتمازجه فظن أنها قد أغرمت به وأحبته ، فاطمأن إليها ومال عليها ،
فقدمت إليه كأساً من الشراب مزجته بسم نافع . فما شربه حتى زهقت
روحه ومات ، وذهب إلى جهنم وبئس القرار .

فانزعت آسية الخاتم من إصبعه ودعكته ، فحضر خادمه قائلاً : لبيك
ياسيدي لبيك ، فأمرته أن يحضر جودر من مكانه الذي ألقاه فيه ،
وكانت عناية الله به ، جزاء بره بأمه ، وعطفه على أخويه الآتين ، قد

حفظته ؛ فابتدرته بغيوبة قبل أن يتناول من السم — وهو يأكل —
 القدرَ الذى يميتُه ، فذهب الخادم إليه فوجده حيا ، فجاء به مسرعاً إليها ،
 وفرحت ببقائه ، وأعلنت للجنود والناس حضوره ، فكادوا يطرون
 فرحا ، وشكروا لله تعالى عدله فى خلقه ، حفظ الصالحين البررة ،
 وأهلك الخائنين الأثمة . وعاش جودر وزوجه ، فى هناءة ومسرة
 حتى وافاهما أجلهما .



بَنَاتُ بَغْدَاد

(١)

كان في مدينة بغداد شمال عمى خطه ، وتحامل عليه فقره ، فساعت حاله ، وسدت في وجهه سبل عيشه ؛ وقف ذات يوم متكئاً على قفصه ، مرتقباً أحداً يستخذه ، وإذا بامرأة نصف ، ينفها إزار موصل ، من الحرير المطرز بالذهب ، قد أقبلت عليه قائلة :

هات قفصك واتبعني ، فكان أسرع إلى الاستجابة من برق خاطف ، وجمعت تجوس به خلال سوق المدينة ، تتابع ما تحتاجه ، وتضعه في قفصه ، فلشترت زيتوناً وخبزاً ، وفاكهةً ولحماً ، وعطراً وحلوى ؛ وأمرته أن يتبعها بما ابتاعت إلى حيث تسير .

فحمل قفصه ، ومشى في أعقابها ، حتى كانا أمام دار شاحخة البناء ، تتيه في الجواء ، نفاضةً وهيبةً ، ونضارةً وعزةً ؛ محتجةً بعزلتها ، وانقطاع

الصلةِ بينها وبين ما يجاورها ، وطرقت بابها طرفة هَيَّئَة ، فانفرج عن فتاةٍ كاعبٍ ، وضاعةٍ الجبين ، موردةٍ الوجنتين ، ذات كشَّيحٍ يشكو الضُّمور ، وفمٍ يَدِسُّمُ عن درٍّ مسطُور ، وعينين تبعتُ مَنْ في القُبُور ؛ فأذنتُ لهما بالدخولِ ، ثم أَقفلت البابَ من خلفهما ، ومشوا في دِهليزٍ أرضه من رائقِ الرخام ، حتى انتهوا إلى قاعةٍ فسيحةٍ ، بها أرائكٌ مصفوفةٌ ، وزرابيٌ ميثومةٌ ، وسُدُولٌ من الحريرِ مرخيةٌ ، وثرياتٌ يكادُ بريقُها يضيءُ ، ولو لم تُخْرِجْ شموعُها ألسنةَ سناها ، وسريرٌ من العاجِ المطعم بالذهب ، أُسبلتُ عليه كُلةٌ حريريةٌ ورديةٌ ، تَمِ رِقَّتُها عما بداخلها ، وعليه فتاةٌ ناهضةٌ ؛ ذات خَصْرٍ نحيلٍ ، وطَرْفٍ ناعسٍ كحيلٍ ، وشعرٍ مرسلٍ كأنَّهُ أسلاكُ الذهب ، ووجهٌ يتألقُ وضاعةً ، ويشعُ فتنَةً ، فعادرتُ سريرَها إليهما وقالت :

هيا بنا نخطُ عن الحمالِ القفصَ الذي يحمله ، ثم نقدته دينارَيْن أجرتَه ؛
وقلن له :

تصحبُكِ السلامةُ .

ولكنه تلَكَّأ واستمرَّ واقفاً في دهشةٍ مما رأى ، فحسبته يبتغي من الأجرِ أكثرَ مما أخذ .

فقال إحداهُن : ما للحمالِ لا يَريِمُ مكانَه ؟ !

فقالَت الأخرى : لعلَّهُ يطمَعُ في أكثرَ من الدينارينِ !

فقال الحمالُ : لقد أخذتُ من أجرى فوقَ ما أستحقُّ ، ولكنى رجلٌ



لا يعمل إلا نفسه ، وقد قلّ رزق ، وضافت سبيله في وجهي ، حتى كاد
لا ينفذ إلى إلا من سمّ الخياط ، وقد طمعت في البقاء معكن ، أخذمكن
وأقوم بشئونكن ، لقاء لقمة سائغة ، وشرية هنيئة ، ونومة
هادئة مريحة .

فقال إحداهن : إن لنا في قصرنا هذا أسراراً لا نحب أن يطلع
عليها أحد ..

فقال : إن من صالحى الأعوان من يكتم السر ، ويجعله في حصن
حصين من نفسه ، وعهدي لكن ألا أفشى سرا ، ولا أفتوما ليس لي
به علم ، وأن أترك ما لا يعنيني .

فقال : إذا كان الأمر كما قلت فاجلس وعسى أن نجد فيك
عونا ونفعاً .

وقمن فأعدن مائدة ، جمعت من ألوان الطعام والشراب ، ما تشتهي
الأنفس ، وتلد الأعين ؛ ثم جلسوا جميعاً حولها ، وأخذوا يتناولون الطعام .
وبينما هم يأكلون إذا بالباب ينقل إليهم طرقة خفيفاً ، خفت إحداهن
إليه ، فوجدت به ثلاثة رجال ، فتركهم وعادت إلى أختيها مسرعة ،
وقالت :

إن ايلتنا هذه لسعيدة ؛ فقد ألفت بالباب ثلاثة من الأعجام ، ذؤونهم
محلقة ، وعيونهم اليسرى تالفة ، ويدو لي أن بلادهم سحيقة ، أنكروا
المقام فيها ، فضربوا في الأرض ، يبتغون الفضل والرزق ؛ فلو سمعنا لهم

بالجلوس معنا ، يستنشون نسيم الراحة ، ويمحون مرارة الأفواه بما يطعمون — كان ذلك متآخراً ، وربما وجدنا فيما يوحون إلينا مسلاةً وفرحةً ؛ فأجبنها : لا بأس من ذلك ، انذني لهم أن يدخلوا ، يُسكِتوا أطيّط أمعائهم بما يأكلون ويشربون ، وليكن يعد ذلك ما يكون .
دخل الثلاثة العور الدار ، وما كاد يستقر بهم المجلس حتى قالوا :

علينا بدفٍ وعودٍ لنسِمِمكن شيئاً من الأغاني الشعبية ، بالقدر الذي نعرفه ، فعسى أن تجدنا فيها من المتعة واللذة ، ما فيه بعض الوفاء لهذا اللقاء الحميد ، والكرم الحميد ، فقلنا : ونحب أن نستمع لهذا النوع من الأغاني ، ففيه إلى الاستمتاع به ، علم وخبرة وتبصرة وعبرة .
ودوت في أرجاء القصر أصوات الغناء ، على إيقاع من رنات العود ، وصكّ الدفوف ؛ فطربت المشاعر ، وترنحت الأعطاف ، وغرقوا جميعهم في سكرة من المرح واللذة .

وفي غمرة من هذا الفرح والسرور رآ الخليفة ووزيره وسيافه بهذا القصر ، وكانوا قد خرجوا يتفقدون أحوال الرعية ، ويعشون في شوارع المدينة ؛ فبهزهم منظر القصر : أضواء منبعثة من نوافذه ، منتشرة هنا وهناك ، ورنات المازف تقطع سكون الليل في اتساق وانسجام ، وأصوات الغناء العذبة تهز القلوب هزاً عفيفاً .

أنصت الخليفة ورجاله فأوا ما أعجبهم ، وسمعوا ما أطر بهم ، ودفعهم شعور خفي إلى معرفة سر هذا القصر ؛ فاتجه مسرور نحو الباب بأمر

سَيِّدِهِ ، وطَرَفَهُ ، فاستجابت إحداهُن اطرْفَه ، وفتَحَتْه ، فوجدتُ ثلاثةَ رجالٍ في هيئةِ تجارٍ ، وكان الخليفة ووزيره وسيافه متنكرين ، خرجوا يطوفون بالبلد فحذبتهم أصواتُ الغناء .

فَقالت : ما خطبُكم أيها الرجالُ ؟ !

فقال الوزيرُ : نحنُ تجارٌ من طَبَرِيَّة ، وجئنا بغدادَ ببضاعةٍ ، ونزلنا في خانِ التجارِ منذُ ثلاثةِ أيامٍ ، واستضافنا الليلةَ أحدُ تجارِ المدينة ، وضاعَ أولُ الليلِ في السمرِ عنده ، فقمنا عن منزلنا ومثوانا ، وقد عَظُمَ رجاؤنا في هذه الدار أن تُؤوينا حتى الصباح ، فطرقتنا بابها من أجل ذلك .

وبعد أن رَضِيتُ صاحبَها قُلتُ : على الرَّحْبِ والسعةِ .

واستقبلتهم البنتان استقبالا حميداَ يليقُ بوقارهم وهيبتهما ، وقالتا : ونرجو ألا تسألوا عن شَيْءٍ لا يَعْنِيكم ، حتى تخرجوا بِسلامٍ آمنين .

ثم دَخَلوا في نظامِ الجلسةِ قاعدين ، وأخذوا يرتشفون شرابَ القهوةِ ، والخليفةُ في دهشةٍ مما يَرى من أنماطٍ مختلفةٍ : فهو لاءٌ ثلاثةٌ عَوَّرتُ أعينَهُم اليسرى ؛ ومعهم رجلٌ زَرىَّ الثيابِ ، رقيقُ الحال ؛ وهو لاءٌ بناتٌ ثلاثٌ غارقاتٌ في الترفِ والنميمةِ ، يَنِمُّ جمالُهُن ومظهرُهُن عن غَيِّ وسموِّ في المنزلةِ لا يفهمُ معهُما اختلاطُهُن بتلك الطبقةِ الدنيا من الناسِ ، في جلسةٍ كُلُّها لهوٌ وغناءٌ ومرحٌ ، وكُلُّما هَمَّ أن يسألَ عن هؤلاء أشارَ الوزيرُ أن يَعْتَصِمَ بالصبرِ حتى لا يَصِيبَهُم أَذى .

ثم قامت إحداهن داعيةً أختيهما إلى القيام بنا يَقُمَنَّ به كلٌّ ليلتهُ ،
وأحضرتا لها كلبتين سوداوين ، وشمرتُ هي عن ساعديها ، وأشبعتُهما
ضرباً بالسوطِ ، إحداها بعد الأخرى ، ثم ختمتُهما إلى صدرِها ، وقبلتُ
رأسيهما ، وسامتُهما إلى أختيهما فأودعتُهما مكانهما .

جلست الفتاة الضاربةُ على سريرِها العاجيِّ ، وجلست الثانيةُ على
على سريرٍ آخرٍ بجانبها ، وأحضرت الثالثةُ عوداً ، فمركت آذانها ،
وأصلحت أوتارَه ، وأنشدتُ على إيقاعه شعراً جميلاً ، تُناشدُ فيه النومَ
الذي طار عن عينها أن يَرتدَّ إليها ، وتَبْحَثُ عن قلبها ، وتَتَحَسَّسُ مكانَه
فلا تجدهُ ، فتسأل عنه : أين ذهب ؟ وإلى من ذهب ؟ !

فلما انتهت من إنشادها قالت الفتاةُ الثانيةُ : رطبَ الله لسانك ،
ثم شقتُ ثيابها ، وخرتُ على الأرض مغشياً عليها ، فرأى الخليفةُ ومن
معه آثارَ ضربِ بالسَّوطِ في جسمِها فاقشعرت أجسامُهم ، وشملهم غمٌّ
ومحَبَّ عظيمان .

ثم قامتِ الثانيةُ وأمسكتِ العودَ ، وأنشدتُ مثلَ هذا ، ثم شقتُ
ثيابها ، فظهرت آثارُ الضربِ في جسمِها ؛ ثم فعلت الثالثةُ مثلَ الذي فعلتهُ
الأولى والثانيةُ .

فالتفت الخليفةُ إلى الجمالِ وصحبه ، وسألهم عن ذلك ، فقالوا :

ما المستول عنه بأعلم من السائلِ !

فقال : ألسنُ أصحاب هذه الدارِ ؟ !

فقالوا لَيْتَنَا بَيْنَا فِي الْعَرَاءِ ، وَلَمْ تَطَأْ لَنَا قَدَمُ هَذِهِ الدَّارِ !
فالتفتت إليهم الفتاة الضاربة وهي صاحبة الدار قائلة : فيم تتحدثون ؟ !
فقال الجمالُ نحنُ في حيرةٍ بما رأينا ، فهل لك أن تكشفَ لنا الغطاءَ
عن سرِّه ؟ !

فقلت : لقد آذيتُمونا ، وتقصُّمُ ميثاقكم معنا ؛ ثم ضربت الأرضَ
برجلها ثلاثَ ضرباتٍ قائلة : أَسْرِعُوا ، فانشقت الأرضُ عن سبعةٍ
عبيدٍ يدهم سُيوفٌ مسالوةٌ ، وصاحوا معاً : ائذني لنا أن نقتل هؤلاء
الثَّوارين الذين يسألون عما لا يعنهم .

فقلت : بعد أن أعرفهم ، وأقف على حالهم .
فقال الجمالُ : ما جرَّ علينا البلاء والنحس إلا هؤلاء العورُ الذين إذا
دخلوا قريةً أفسدوها ، وجعلوا عاينها سافلها .

فضحكت الفتاة وقالت : عرفونا بكم ، فلم يبقَ إلا قليلٌ من عمرِكم ،
ثم التفتت إلى العورِ الثلاثة قائلة : هل أتمُّ إخوةٌ ؟ فقالوا : لا ، ولكل
منا قصةٌ غريبةٌ ؛ فقلت : أحبُّ أن أعفُو عنكم ، بعد أن يقصَّ كلُّ
منكم قصته .

فتقدم الجمالُ ، وقال : قضى في كلمة : حملتُ لكنَّ البضاعةَ ،
ونكيتُ هؤلاء العورِ الثلاثة ، خلعت بي الحسرةُ والندامةُ .
فقلت امسحْ على رأسِكَ ، واذهبْ إلى سيِّيك ؛ فقال : لن أبرحَ
مكاني حتى أستمعَ لقصةِ حلفاءِ النحسِ والتعاسةِ .

(٢)

فتقدم الأعورُ الأول وقال : كان أبي ملكاً نافذَ السلطانِ ، كثيرَ الجندِ والأعوانِ ، وكان له أخٌ أُوتى من الملكِ والحكمِ في بلادٍ أخرى مثلَ ما أُوتى والدي ولم يَبْغِ ملكهما على أخوتهما ، فكانا على صفاءٍ ووُدٍّ وإخاءٍ ؛ ومنحهما القَدَرُ نفحةً من رضاه وخيرِه ، وسوى بينهما فيما يَسْبِغُ من نِعَمه ، فجعل ولادتي وولادةَ ابنِ عمي في ليلةٍ واحدةٍ ، فتفثأتُ أنا وابنُ عمي ظلالاً ساجيةً من محبةِ الأبوينِ ، وفرح الأخوينِ ، وكان عمي يُحِبُّ أن يراني عنده كثيراً ، فكنتُ أختلفُ إليه حيناً بعد حينٍ ، فقتوى ذلك ما بيني وبينَ ابنِ عمي من وشيجةٍ ، وأنسَ كلُّ منا إلى أخيه ، فكان مأمنَ سرِّه ، وموضعَ مشورتهِ .

وذتَ مرةَ رغبَ ابنُ عمي وأنا عنده . أن أصحبه في أمرٍ يهمُّه ، باذلاً عونى له ، على أن يكون في مأمنِ السرِّ من قلبي . فرضيتُ له ما أراد ، فأعطيته ما شاء من مَوَائِقَ وعُهودٍ ، وتبعتُه إلى قصرٍ مشرقٍ بالجلالِ والعظمةِ ، فأشار إلى فتاةٍ كانت تُطَلِّ من نافذتهِ ، وكأنها منه على ميعادٍ ، فما لبثنا قليلاً حتى كانت معنا جسماً من نورٍ ، في ثوبٍ من حريرٍ ، ثم سار ابنُ عمي بنا إلى مقبرةِ المدينةِ ، وكانت منها على مكانٍ سحيقٍ ، وهناك دخلَ بنا قبراً فسيحاً ، وحفر في ناحيةٍ منه ، فبانَ له غطاءُ خشبيٍّ رفيعه ، ثم انزلق بنا على سُلَّمٍ منتصبٍ في بهوٍ واسعٍ الأزجاء ، به حجران

ممدودتان ؛ أما إحداها ففيها ما يحتاجُ إليه كلُّ حيٍّ من زاد وماء ، وأما الأخرى ففيها سريرٌ عاجيُّ القوائم ، وعليه فراشه الفخم ، وكريسيان فاخران ، ومنضدةٌ صغيرةٌ الحجم غالية القيمة .

ثم جلست الفتاة على السرير طوعاً لإشارته . وجلست على كرسيٍّ بجانبه ممثلاً أمره ، ثم قال : أنت تذهب إلى شأنك ، على أن تُعيدَ الغطاءَ الخشبيَّ وتحثو عليه التراب كما كان ، وعلى ألا تدلّ علينا أحداً ؛ فودعته ، ورجعتُ منفذاً أمره ، وفيما بموئجه ، ولما أويتُ إلى مضجعي جعلَ النومُ يبحثُ عني فلا يجدني ، لأنني شاردُ اللبِّ ، فلقى علي ابن عمي .

وما كادت شمسُ الصباحِ تنشرُ نورها ، حتى أسرعْتُ إلى المقبرة ، وهناك أعاني البحثُ عن القبرِ الذي من تحته ابنُ العمِّ وفتاته فما أجداني ، ولبثتُ على هذا الإعياء والفشلِ كلَّ يومٍ ، حتى أدبرَ أسبوعٌ وأسبوعٌ ، وعمي يرتقبُ عودةَ ابنه من سفرته التي استأذنه فيها ، وحدد لها عشرين يوماً ، ثم استأذنته في العودة إلى أبي فأذن لي ؛ وما كادت قدماي تخطأ مدينةَ والدي ، حتى قبضَ على الجند ، وساقوني إلى أكبرِ وزرائه ، فإذا هو على عرشِ الملك ، قابضٌ على زمامه ، بعد ثورته على أبي وقتله ، وانتزاعه الملكَ من يده ، وكان موتوراً مني ، وذلك أني خرجتُ للصييد في صحبته أيام أبي ، نرعى الطير والوحش بالنبال ، فطاشت مني رمية فنقأت عينه ، ثم رجعنا والهَمُّ يعتلجُ في صدورنا ، أسفاً على عينِ الوزير ، وذهابِ بصره ؛ ولكنه كظمَ غيظه في نفسه ، ولم يستطع أن يُبدي

منى ألمه ، مخافة أن يَصُبَّ أبى عليه جامَ غضبه .

ولما مثلتُ بين يديه ، قال : أَرَأَيْتَ كَيْفَ يُعْرُكُ السُّلْطَانُ ، فتذهب
بأَبْصَارِ النَّاسِ ، وَتُرْتَقِ عَيْشَهُمْ ؟ !

فقلت : لم يكن منى إلا الخطأ الذى أنكرته .

فقال : ولكنَّ عَيْنِي أَكْبَرُ عِنْدِي مِنْ حَيَاةٍ غَيْرِ مِثْلِكَ ؛ وَمَدَّ يَدَهُ ،
فَفَقَأَ عَيْنِي بِأَصْبَعِهِ ، وَأَسَامَنِي إِلَى جُنْدَى مِنْ جُنُودِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ بِنِي
إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَيَجْعَلَ لِحْمَى طَعَامًا لِلْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ؛ وَكَانَ هَذَا الْجُنْدَى صَنِيعَةً
مَعْرُوفِي أَيَّامَ كَانَ الْمَلِكُ فِي يَدِ أَبِي ، فَأَبَتْ نَفْسُهُ الْوَقْفَةَ أَنْ يَقْتُلَنِي ؛
وَهَنَّاكَ فِي الْبَيْدَاءِ خَلَى سَبِيلِي عَلَى أَنْ أَهْجَرَ الْمَدِينَةَ ، وَأَضْرَبَ فِي بِلَادِ اللَّهِ
فَفَرَرْتُ إِلَى عَمِّي ، فَأَلْقَيْتُهُ فِي حَزَنِ شَامِلٍ عَلَى ابْنِهِ الَّذِي أَفْتَقَدَهُ . فَلَمْ أَجِدْ
سَبِيلًا إِلَّا أَنْ قَصَصْتُ عَلَيْهِ مَصِيرَ أَبِي وَخَبَرَ ابْنِهِ ، فَأَصَابَهُ غَمٌ عَلَى أَخِيهِ ،
وَفَرَحَ مِنْ أَجْلِ ابْنِهِ ، ثُمَّ أَخَذَنِي إِلَى الْمَقْبَرَةِ وَجَعَلَتْ أَبْحَثُ عَنِ الْقَبْرِ هُنَا
وَهُنَاكَ ، حَتَّى عَثَرْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ .

ولما كَشَفْنَا الْغُطَاءَ عَنْ مَكَانِ ابْنِ عَمِّي ، وَنَزَلْنَا فِي سُلْمِهِ ، رَأَيْنَا بَقَايَا
دُخَانٍ سَابِجَةً فِي جَوْهِهِ ، وَلَمَّا وَقَفْنَا أَمَامَ السَّرِيرِ وَجَدْنَاهُمَا مَمْدُودَيْنِ عَلَى
فِرَاشِهِ الْمُحْتَرِقِ ، قَدْ أَكَلَتْهُمَا النَّارُ فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُمَا بَاقِيَةٌ ، نَفَخَ عَمِّي نَعْلَهُ ،
وَضَرَبَهُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَالَ : لَعَنَكَ اللَّهُ وَجَعَلَ الْجَحِيمَ مِثْوَاكَ ، فَقَدْ
اتَّهَكْتَ حَرَمَةَ شَرِيعَتِهِ ، وَعَصَيْتَ أَمْرِي وَأَمْرَهُ ، وَاتَّزَعْتَ هَذِهِ الْفِتَاةَ
مِنْ أَهْلِهَا ، وَاجْتَمَعْتَ بِهَا فِي هَذَا الْمَخْبَأِ عَلَى غَيْرِ سُنَّتِهِ ، فَنَازَاكَ بِهَذَا الْمَصِيرِ

الأيام ؛ ثم غادرنا المكان ، وأرجعنا غطاءه ؛ وواريناه التراب ، وعُدنا إلى قصر عمى في حزنٍ عميم .

وبعد أسبوعٍ من ذلك أغارَ على مدينة عمى الوزيرُ الذى قتلَ أبى بختله ورجله ، فخشيتُ أن أقعَ فى يده ، ففررتُ أمشى على غير وجهٍ فى أرضِ اللهِ الواسعةِ ، حتى كنتُ ببغدادَ ، والتقيتُ بهذين الأعورين وقادتنا أقدامنا إلى هذه الدارِ . فقالت الفتاة : امسحْ على رأسيك ، واذهبْ إلى حيثُ تشاء ، فقال : حتى أعرفَ قصةَ الباقي .

(٣)

وتقدم الأعورُ الثانى وقال : إني ابنُ ملكِ جزائرِ الآبنوس ، حفظتُ القرآنَ وتعلمتُ القراءةَ والكتابةَ ، وحذقتُ الأدبَ والشعرَ ، وبرزتُ فى كثيرٍ من العلومِ ، فنبهَ ذكرى وذاعَ صيتي ، ورغبَ كثيرٌ من الملوكِ فى الوفادةِ إليهم ، أعطرُ أنديتهم ، بما أوجى إليهم به من مسائلِ العلمِ القيِّمةِ ، والطرفِ الأدبيةِ ، والمُلجِ التاريخيةِ .

وكان ملكُ الهندِ ممن سَمِعَ بى ، فطلبَنِى إلى أبى . فبعثنى إليه فى عددٍ من الحراسِ ، ومَعى من الهدايا القيِّمةِ ما يؤايمُ إهداءَ ملكٍ للملكِ ، وأَقَلَّتْنا مراكبُ ثلاثة ، جَعَلَتْ تارةً تخطوُ مَبْجَ البحرِ ، كأنها حمامٌ طائرةٌ على حقولٍ من قيقجٍ استحصدت . أو فراشٌ مبثوثٌ على شقائق تورَدَت ،

وتارة أخرى تتدفق في لهواته ، فلا يجدُ لابتلاعها مساعداً فيلظها على ظهره .

ولما وصلنا إلى الشاطئ ، ركبنا خيولنا ، وسرنا في البرية آمينَ الملك وقصره ، وبينما نحن سائرون إذ طلع علينا ثلّة من قُطّاع السبُل ، أولُو قوةٍ وأولو بأسٍ شديدٍ ، فأعجلونا بسيوفهم ، وقتلوا بعضنا ، وتفرقتُ بقيتنا أيدي سبّا ، وساقى الهربُ إلى مغارةٍ ، كنتُ سيرها المصون ليلةً كاملةً ، ثم انفرجتُ في مشرقِ الشمسِ عنى شفتائها ، فمشيتُ على غير وجهٍ ، حتى التقيتُ مدينةً ، يبدؤ خيرها وغناها ، ولا تهمدُ الحركة فيها ، فدفعني إحساسُ من الأنسِ في نفسي إلى خائطِ في دكانه ، فحيثُ به تحيةٌ كاملةٌ ، فنياني بأحسنَ منها ، وأجلسني أمامه ، وسألني عن أمرٍ ، فأفضيتُ إليه بجملةٍ شأني ، فنصح لي أن أكتُمُ أمرٍ ، وأسبل سِتراً كثيفاً على علمي وأدبي ، لأن المدينة لا تعني إلا بالمالِ وجمعه ، ولا تعرفُ العلمَ وأهله ، ولا الأدبَ وحُسنه ، وأفهمني أن ملكَ هذه المدينة يُبغضُ والدي ، وأنه ما أُرسلَ في طلبي ، إلا لِيُنقِمَ منه بقتلي ، وأشارَ عليَّ أن أقيمَ عنده ، وأن أوائمَ أهلَ المدينة بمزاولةِ عملِ أعماله ، وكنتُ لا أجيدُ صنعةً ولا عملاً ، فأرادَ لي أن أخطبَ ، وأحضَرَ لي فأسأً وجبلاً من أجل ذلك ، ودأبتُ على الاحتِطابِ كلَّ يومٍ ، فأستمطره رزقي وزادِي .

وذاتَ يومٍ دخلتُ خِميلةً في البريةِ وضربتُ بفأسي في حشائشها ،

فاصطدمت بحلقة نحاسية ، فأزلت التراب من حولها ، فالفيتها ثابتة في غطاء خشبي ، ولما جذبها ارتفع الغطاء عن سلم هابط في الأرض ، فانزلت على دركاته ، حتى كنت أمام باب أسفله ، فولجته إلى ردهة فسيحة ، تطل عليها أبواب خجرات عدة ، وفي وسطها فتاة كأنها البدر إذا أسفر ، والغصن إذا استقام وأزهر ، جالسة في كسل رخى ، وسهويم خفي ، تتطاير من حولها الأفكار والأوهام ، تطاير البسات فوق فم الطفل الحالم .

فأما أحسست قدومي ، هبت من جلستها قائلة : إني أنت أم جنى ؟ فقلت : السلام عليك ؛ لم أكن إلا إنساناً ، طاهر القلب مخلصاً زكياً ، فاطمأنت وقالت : و عليك السلام ورحمة الله ، وكيف وصلت إلى هذا المكان ؟ فقد لبثت فيه سبع سنين ، لم يكتحل طرفي بإنسان ، فقال : جاء بي القدر ، وأرجو أن يكون لقائي بك آخر مأساتي ، وبدء نعيمى ، ثم سردها ما حل به من عقوق الزمن ، حتى لفتهما هذا المكان ، فقالت : لم تحم لك الأيام من بأسائها ما حملتنى ، فاستمع لتعلم أينا أسوأ حالا ، وأنكد حظاً :

إني ابنة ملك مثلك ، اختطفنى عفريت من الجن يدعى جرجريس ابن برجريس بن إبليس ليلة زفانى على ابن عمى ، وحبسنى في هذا المكان ، حية ميتة ، لا أنس إلا بوحدى ، وهو يزورنى كل عشرة أيام ، ولا أدري لذلك غاية ، وقد بقي على زيارته لى أربعة أيام ، فإن رأيت

أن تعيش ممي هذه المدة معيشة أخوة بريئة ، ثم تختلف إلى في مدة غيبته ، حتى يقيض الله لنا من هذا السجن نحرًا ، كان لك جزيل الفضل وسابغ العرف . فثارت في نفسه نحوه الرجولة قائلا : لا تنتظري مني إنسانًا غسب ، ولكن انتظري تسريحك وقتله ، ثم التفت فرأى على الجدار لوحة ، تبدو طلاسمها ، فسألها عنها ، فقالت : هذه لوحة إن أردت حضور العفريت في أي وقت مسحت عليها يدي ؛ فهم أن يمسها بيده ، متمجلا قتله ، فحالت بينه وبين ما يريد ، خشية أن يحضر العفريت فيجده عندها فيقتلها ، ولكنه أصر ولسها بيده ، فزُلزل المكان زلزاله ، ودب الرعب في قلبه ، فأمرته أن يُعادرها من فورهِ ، وينجو بنفسه ؛ وصعد في السلم مُسرِعًا ، تاركًا فأسه ، وفر إلى الخائط لا يُلوى على شيء ، وإن جبينه ليتفصد عرقًا .

وما هي إلا لحظة البصر حتى كان العفريت معها ، فقال : لِأمر ما أحضرتني الساعة ؛ فقالت : كنت سائرة أمام اللوحة ، فأصابني دُوار في رأسي ، أذهب قوتي ، فسقطت على الجدار ولست اللوحة بيدي ، ولكن العفريت رأى الفأس وهي مُحدته ، فقال : لا أرى فيما تقولين صدقًا ، وهذه الفأس دليل إنكارك وكذبك ، فقالت : ما قلت إلا حقًا ، وما سمعت إلا ما جرى ، فقال : ولن أكون جرجريس حتى أحضر صاحب الفأس أمامك .

وفي صباح اليوم التالي دخل الخائط حُجرتي التي أقمتني فيها عنده ،

وقال لي : في دُكاني أعجبي يسألُ عنك ، وفي يدِهِ فأسُك ، جاء بها إلى
 الخياطين قائلًا : خرجتُ لصلاةِ الفجرِ في المسجد ، فعمرتُ على هذه
 الفأس ، فهل تعرفون صاحبها ، حتى يأخذَها ؟ فدلّوه عليك ، وهما هو ذا
 في الدكانِ يطلُبُك ، فأنزلُ إليه ، واشكر له هذا الصنيعَ الجميلَ ، نجفَ
 ريق ، وما تحركَ لساني ، وخدرَ حمي ؛ فلم أفق إلا أمامَ الفتاةِ بكيةً
 متوجعةً من شدة ما أصابها من الأذى ، ثم قال العفريتُ لها : أليسَ هذا
 الذي كان عندك وهذه فأسُه ؟! فقالت : لم أرهُ إلا في صُحبَتِكَ ، فقال : إن
 كنتِ صادقةً فاقتليه بهذا السيف ، فقالت : وكيف أقتلُ إنسانًا بغيرِ
 حق ؟! فالتفت العفريتُ إليه قائلًا : ولكي أعرفَ أنه لا صلةَ بينك
 وبينها ، فخذَ هذا السيفَ واقتلها ، فقال : إذا زهدتِ المرأةُ في اجتراحِ إثمٍ
 أو خطيئةٍ ، فأجدرُ بالرجُل أن يكونَ أشدَّ زهدًا .

فلم يُطق العفريتُ صبرًا ، وضربها بسيفه ، فشَقَّها نصفين ، ثم دار
 يده حولَ رأسِ متممةً ، فمُسَخَّتُ فردًا ، ثم قذفتُ على ظهرِ الأرضِ في
 تلك الصورةِ المسوخة ، فجعلتُ أمشي في منابِها ، حتى أشفيتُ على
 البحر ، فلاحَت لي مركبُ راسيةٌ ، فأتممتُها وركبتُ فيها ، فقال بعضُ
 مَنْ فيها ، هذا نذيرُ شرٍّ يأتينا ، وأين نلتِمِس السلامةَ ونيلَ الغايةِ وهذه
 الطلعةُ المشئومةُ بيننا ، ألقوه في اليمِّ أو اقتلوه ، فأمسكتُ جلبابَ
 صاحبِ المركب ، رافعًا رأسِي إليه ، وإن دُموعي لمنهرةٌ ، فأدركَ تضرُّعِي
 واستغاثتي ، فرقَّ قلبُه وأجارني ، وكفلني برعايتهِ وفضله .

كان الرّبان معقداً رجائى ، ومناطاً حمايتى ، فخرست على أن أفهم
قوله ، وأبىّ بشارته ، وأكدح فى قضاء حوائجه ، فلم يشبّه عليه اليقين
فى الثقة بى ، واستخدماى فى شئونه ، والإعجاب بما أفعله .

وبعد خمسين يوماً من إقلاع المركب احتضنها مرفأً لمدينة عامرة ،
تجيشُ بأهلها جيشان القدر ، وأوشك عقد السفر أن ينفرط على
الشاطئ ، فجاءتنا جنودٌ من قبل الملك فى هذه المدينة وقالوا : إن الملك
يهنئكم بقدموكم سالمين ، وإنه لنى حاجة إلى كاتب ، وبطلب أن
يكتب كلُّ منكم فى هذه الورقة سطرًا ، فاتجهتُ بعينى وقلبي إليها
واختطفتها ، لأكون أول كاتبٍ فيها ، فأصاب زمر الوافدين معى وجومٌ
ذاهل وارتقبوا : ماذا أفعُل ؟ ! فكتبتُ فيها سطرين منسقين يشعان
جوذةً وروعةً : وينطقان بما تستمعين :

لقد كتب الدهرُ فضلَ الكرام وفضلُك للآن لا يُحسب
فلا أَيْتَمَ الله منك الورى لأنك للفضلِ نعم الأب

ثم ناولتهم الورقة ، فتبيّنتُ فى نواظرهم لوائح العجب ، وعلى وجوههم
دلائل الدهشة ؛ ثم كتب كلُّ منهم ما شاء ، فلم يعجب ملك المدينة غيرُ
خطبى وقولى ، فأمر جنده ، أن يأتوا بى إليه ، لأبسأ حلةً من عنده ،
راكبًا جواداً من جواده ، غامتُ فوق أفواههم ابتسامةٌ حائرة ،
وجاشتُ صدورهم بقول مكبوتٍ .

وأدرك الملكُ منهم ذلك ، فقال : أرى قولاً يتردّد في نفوسكم ،
فماذا عندكم ؟

فقالوا : إن الذي أعجبك خطؤه وقوله ، وطلبتَ حضوره — قردٌ وليس
بإنسانٍ ، فزاده العجبُ تشبُّهًا بي ، وأصرَّ على إحضاري بين يديه ،
لإيساءِ رَأْيِك . فصَدَّعُوا بأمره ، وكنتُ بعد ساعةٍ أمامه ؛ فقبلتُ
الأرضَ بين يديه ، ثم أمرني بالجلوس ، فجلستُ في أدبٍ بالغٍ ، حيثُ
يجلسُ مثلي في حضرةِ الملِكِ وحاشيته ، فقالَ بعضهم على بعضٍ
يتناجون : ما هذا عملُ قردٍ ! وما ذلك إلا بشرٌ تمثَّل في صورته ! وكان الملكُ
أشدَّهم عجبًا ودهشةً ، ثم أمرَ الحاضرين أن ينصرفوا وأبقاني معه ،
وأشارَ إلى خدَمِهِ أن يُحضروا مائدةً حافلةً بصنوفِ الطعامِ والشرابِ ،
وتوسطتنا المائدةُ كأمره ، فجلستُ آكلُ معه ، كما يأكلُ وزيرٌ عاشرٌ
ملكه في أدبٍ شاملٍ ، وإجلالٍ كاملٍ ، ووفاءٍ عظيمٍ .

ثم أحبَّ الملكُ أن يَتَبَيَّنَ من أُمري أكثرَ مما عَرَفَ ، فأحضرَ
شِطْرَنجًا كانَ في ناحيةٍ من مَجْلِسِهِ ، ووضَعَهُ بينَ يديهِ ، وأشارَ إلى
أن ألعبَ معه ، فقلبتُهُ مرتين ، فأرسلَ إلى ابنتِهِ أن تَحضُرَ لِبَرِّيها مِنِّي
مناحيِرَهُ وأدهشَهُ ، وما كادتُ تلجُ بابَ الحجِرةِ . وتُطَبِّعُ صورَتِي في
مِرآةِ عَيْنِها ، حتَّى غَطَّتْ وَجْهَهَا قَائِلَةً : متى طابَ قلبُكَ يا أباي أن تبعثَ
في طَلْبي ، والأجانبُ من الرجالِ في حضرتِكَ ؟ !

فقال : إنك لا تَرَيْنِ إلا أباك ، وهذا القرد الذي أردتُ أن تَقِفِي على

ما يُشِيرُ الدهشةَ من أعماله .

فَقَالَتْ : مَا ذَلِكَ بِقَرْدٍ ، وَلَكِنَّهُ ابْنُ مُلْكٍ ، حَذَقَ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ،
مُسَخَّهِ الْعِفْرِيتِ جَرَجْرِيسَ قَرْدًا ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى قَائِلَا : أَحَقُّ مَا تَقُولُ
ابْنَتِي ؟ فَأَشْرَتْ بِرَأْسِي : أَنْ نَعَمْ ، وَفَاضَتْ عَيْنَايَ بِدُمُوعٍ مِنْهُمْ .

فَقَالَ الْمَلِكُ لِابْنَتِهِ : وَكَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ !

فَقَالَتْ : كَانَتْ عِنْدَنَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ — رَحِمَهَا اللَّهُ — عَلَّمَتْنِي مِنَ السَّحَرِ
سُبُعَيْنِ بَابَا ، أضعِفُ بَابٍ فِيهَا أَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ أَجْعَلَ مَدِينَتَكَ هَذِهِ بَحْرًا
لُجِّيًّا ، وَأَهْلَهَا سَمَكًا يَمُوجُ فِيهِ .

فَقَالَ : بِحَقِّ عِنْدِكَ أَنْ تَخْلُصِي هَذَا الشَّابَّ مِنْ صُورَتِهِ ، حَتَّى أَتَّخِذَهُ
لِي وَزِيرًا ، يَنْفَعُنَا بِعَقْلِهِ وَعِلْمِهِ .
فَقَالَتْ : ذَلِكَ مَا سَيَكُونُ .

وَاتَّحَتْ نَاحِيَةً وَجَعَلَتْ تَخْطُ عَلَى الْأَرْضِ بِأَصْبَعِهَا ، وَتَلُو كَلَامًا
تَعْرِفُهُ وَلَا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ .

وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَةٍ حَتَّى أَطَبَّقَ عَلَيْنَا ظِلَامٌ كَشِيفٌ فِي الْقَصْرِ ، وَكُنَّا
بَيْنَ طَيَاتِهِ كَالْأَطْيَافِ الْحَزِينَةِ فِي اللَّيْلِ خِلَالِ الْقُبُورِ ، فَاضْطَرَبْنَا اضْطِرَابَ
الْقَنَاصِ ، نَسْكَابُذُ مِنَ الْفَرْجِ فِي نَفُوسِنَا مَا نَسْكَابُذُ ، ثُمَّ انْقَشَعَ الظَّلَامُ
رُويدًا رُويدًا ، وَذَا بِالْعِفْرِيتِ جَرَجْرِيسَ يُظْهِرُ يَدَيْنَا فِي أَبْشَعِ صُورَةٍ ،
فَقَالَتْ بِنْتُ الْمَلِكِ : لَا أَهْلًا بِكَ وَلَا سَهْلًا ، سَأَجْعَلُكَ غَسْلِينًا عَلَى فَحْمٍ ،
اِنْتِقَامًا لِبَنَاتِ الْمَلِكِ الَّتِي قَتَلْتَهُمَا ، وَحَرَمْتَهُمَا زَوْجَهُمَا وَأَهْلَهُمَا ، وَلابْنِ الْمَلِكِ هَذَا

الذى مسخته قرذاً؛ فانتفض العفريتُ وتحول أسداً، وهم أن يفترسها فأسرعت وأخذت بيدها شعرةً من رأسها، وتمتمت ونفثت فيها، فانقلبَت سيفاً ماضياً وابتدرته بضربة جعلته قسعين، فتحول رأسه إلى عقرب، فصارت البنتُ حيةً، وجعلا يقتتلان.

ولما لمس العفريتُ الفشلَ تبدّل إلى عُقاب، فكانت البنتُ نسرًا، فلم يدرك منها مأرباً، فتحول إلى قط أسود، فصارت ذئبًا.

ولما رأى الخطرَ محققاً به، تغير إلى رُمانةٍ كبيرة، ارتفعت في الجو ارتفاعاً عظيماً، ثم سقطت على أرضِ القصرِ فانتثرت حباتها هنا وهناك فبدت البنتُ ديكاً طفق يلتقط حبَّ الرمانةِ حبةً حبةً، حتى أتى عليها، ولكن حبةً واحدةً بقيت وجعل يبحثُ عنها، وهى مختبئةٌ في ناحية، فلما رآها وذهب إليها ليلتقطها وثبت منه في فسقيةٍ بساحةِ القصرِ، فصارت البنتُ حوتاً عظيماً، ورمى بنفسه فيها، وغاب عنا ساعةً، ثم دهمنا صراخُ كأنه الصيحةُ، وإذا بالعفريتُ خارجُ من الفسقية كأنه إعصار فيه نارٌ، يرمى مَنْ في القصرِ بشرره، فأُتلفَ أثنائاً، وأُمتَ أشخاصاً، وكان نصيبى أن أصابت شرارةً عيني هذه فعُورَت.

وبينما نحنُ غارقون في هذا الفرعِ الأكبر، والخطرِ الأحمر، إذ سمعنا صوتاً يردد: الله أكبر، هزمَ العدوُّ ربى ونصر، وخذل من جحد بآياته وكفر؛ وإذا ببنتِ الملكِ قد رمت العفريتَ بين أيدينا رماداً، ثم جاءت بوعاءٍ به قليلٌ من الماء، وقرأت عليه ما قرأت، ثم رشنتى به فكنت

إنساناً أعور . وما كدنا نَسْتَرْوَح من هذا البلاء ، وإذا بينتِ الملكِ
تصيحُ : النارَ ، النارَ ، فلم تَجِدْها بعدَ لحظةٍ إلا تُراباً . فعمَّ الحزنُ أنحاءَ
القصرِ ، والتفتِ إلى الملكِ قائلاً : قد كنتَ السببَ في هذه المصيبة ،
ولكنه المقدرُ الذي ليس لنا ولا لك فيه حيلةٌ ، فارحلْ عنا هذه الساعةَ
وستجدُ في أرضِ الله مُراغماً كثيراً وسعةً ، فغادرتِ القصرَ أمشى في
مناكبِ الأرضِ ، تلتقُفنى البلادُ بلدةً بلدةً ، حتى كنتُ في بغداد ،
والتقيتُ بهذين الأعورين ، وحملتنا أقدُمنا إليك في هذه الليلة ، وتلك قصتي
فقالَت الفتاةُ : امسحْ على رأسك واذهب إلى سبيك .

فقال : على أن تأذني لي بالبقاء حتى أستمع لما يقوله الأعور الثالث :

فالتفتت إليه قائلة : وما قصُّكَ أنت ؟ ! فقال :

(٤)

ورثني أبي ملكه ، فأقمتُ عِوَجَه ، ورأيتُ صدعَه ، واسترَوَحَ الناسُ
في عدله ، وتقلبوا على مهادٍ وثيرة ، من إحسانه وخيره ، وقد اتدنا الأيامُ
وآخانا الزمن ، وكانت مدينتي على شاطئِ بحرٍ متراعى الأطراف ، ممدودِ
الجنبات ، يتخللهُ جزائرُ عدة ، وكان لي ميلٌ إلى الأسفارِ في البحارِ ،
فرغبتُ أن أسيحَ فيه ومعى من الأعوانِ ما اتقى بهم أليمَ الحوادثِ ، ومن
الزادِ ما يكفيني أربعةَ أشهر .

أقلتُنا المركبَ وخاضت بنا تَبِجَ البحرِ صاعدةً هابطاً ، عشرةَ أيامَ كاملة ،

ثم غَضِبَ البحرُ غضبَةً قاسيةً ، فثارتُ رياحه ، وتطاوَلت أمواجه ، وكثُفَ ظلامه ، وكادَ الموتُ يتخطفُنَا من كلِّ جانبٍ ، والركبُ سائرةٌ ، لا ندرى أين تتجهُ : ليلةٌ حالكَةٌ الجلباب ، غداً في الإهاب ، ولما بانَ البحرُ للرُّبانِ على ضوءِ المصباح ، اشتبهتْ معالمُ البحرِ في نظره ، وظنَّ أنه ضلَّ السبيلَ ، فصعد إلى ذروة السارية ، وأرسل على سطح البحرِ بصره ، فرأى شيئاً يبدو أسود تارة ، وأبيض تارة أخرى ، فزل كثيراً حزناً ، وقال : لقد هلكنا ، فقد ضلنا وقت غضبة البحر طريق السلامة ونحن قادمون على جبل المغناطيس ، الذي يجذب الحديد إليه ؛ وما كاد ينتهي من قوله حتى رأوا المركبَ تجري بسرعة ، نحو جهة معينة ، فأيقنوا أن الجبلَ جذبها ، ولا مفرَّ من انسياقها إليه ، وما لبثوا غير قليل حتى كانت المركبُ قريباً من الجبلِ ففرت المساميرُ إليه ، وصارت فرقاً متناثرةً ، فغرقَ منها من غرق ، ونجا على الألواحِ والسباحة من نجا ، ومن نجوا ميتاً لم يُقدَّر لهم الالتقاء ، وكان هذا الجبلُ من فوقه قبة نحاسية ، على عمد من زُخام ، وعلى ذُرُوتها تمثالُ فارسٍ على جواده ، ممسِكٌ رُمحَه ، وعلى صدره لوحةً نحاسيةً نقشَ فيها طلائيمٌ وصور ، وكتبَ عليها : ما دامَ هذا الفارسُ على جواده ، فلا منجاةَ لركبِ تمرُّ من تحته .

فنجوت من البحر ، وصعدت في سُلَّم الجبلِ المشوّه ، الذي صنَّعته يد الطبيعة لتمد به الألاجي ، وتشدُّ أزرَّ الهارب ، وترفع الصاعد إلى ذروة الجبلِ متى أراد ، متحاملاً على قوته وحذره ، ويأسٍ يتضاءلُ الجبلُ أمامه ،

فلاحْتُ لى القبةُ عن كُتُبٍ ، فذهبتُ إليها وجلستُ فيها آخذُ راحتي
وحِجَابِي ، فأخذتُني سنةٌ من النوم ، سمِعتُ فيها ذلك النداء : يا ابنَ
الخصيب ، إن أردتَ العودةَ سالماً فاحفر تحتَ قدميك ، تجد قوساً
وثلاثَ سهامٍ ، ثم ارمِ هذا الفارس بالسهام حتى يَقَعَ ، فإذا وَقَعَ وسقط
القوسُ من يدِكَ فاذفِنيه تحتَ الثَّرى ، فإن تَمَّ ذلك فإنَّك واجدٌ هذا
البحر طَفِقَ يرتفع ماؤه حتى يَصِلَ إلى قمةِ ذلك الجبل ، فإذا كان هذا
ورأيتَ مركباً مقبلاً عليك ، فاركبْ فيه واحذرْ أن تُكَلِّمَ صاحبه ، فإنه
سينقلك إلى بلادِ أهلةٍ بالناس ، وإن أنْتَ تكلمتَ فى المركب ألقاك فى
اليمِّ وكنتَ من المغرَّقين .

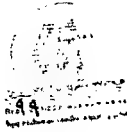
ولما نهضتُ من نومي قمتُ بكل ما سمِعتُهُ إلى أن كنتُ فى مركبٍ
السلامةِ ودوتُ من البرِّ فأناى الفرحُ ما أُمِرْتُ به من الاستمسكِ
بالسكوتِ ، فقلتُ الله أكبر ، فالتقانى فى البحر وذهبَ إلى سبيله ،
فجعلتُ أصارعُ الموتَ حتى رُزِقتُ بموجةٍ قويةٍ دفعتنى إلى الشاطئِ ،
ونجوتُ بعونِ الله وفضله .

جَفَّفتُ ثيابي وجعلتُ أسيرُ هنا وهناك ، فألفيتُ ما أنا فيه جزيرةً
صغيرةً خاليةً من نافعٍ نار ، فقلتُ لا أفرُّ من بَلِيَّةٍ إلا إلى أخرى ، فقد
نجوتُ من الغرقِ ، إلى أرضٍ أُموتُ فيها من الجُوعِ والعطشِ صبراً ،
ثم رأيتُ شجرةً باسقةً ، فصعدتُ فيها ، أنظرُ من أعلاها إلى ما حولى ،

لعلِّي أجدُ لى مذهباً ، فلاح لى مركبٌ قادمٌ ، فلبثتُ فوقَ الشجرةِ
أرى ماسيكون .

رَسَى المركبُ على الشاطئ فوثبَ منه عشرةٌ عبيد ، يدهم مساح ،
وجاءوا وسطَ الجزيرة ، فكشفوا بمساحيهم الترابَ عن بابٍ كالغطاء ثم
رفعوه عن منارةٍ فى الأرض ، لا أدري مداها ، ولا مَنْ فيها ، وجعلوا
يتردّدون بين المركبِ وهذه المنارة ، ذهاباً وجيئةً ، حتى تقفوا إليه جميع
ما أحضروه معهم ، من خبزٍ ودقيق ، وسمْن وعسل ، وغيرها من مواد
المعيشة وأدواتها ، ثم جاءوا من المركبِ آخر مرة ، فى ثيابٍ أنيقة ،
ومعهم شيخٌ فانٍ ، وفى يده فتى خلقه الله فأحسن خلقه ، وأكمل حسنة ،
حتى وصلوا إلى المنارة ، وغابوا فيها ، فانتظرتُ غيرَ طويل ، فإذا الشيخُ
وجاعتهُ منها خارجون ، ولكن الفتى لم يكن معهم ، فأسرعوا إلى مركبهم
الذى أقفَعَ بهم إلى حيثُ جاءوا

لم تطوّعْ لى نفسى أن أغفلَ أمرَ الفتى دون أن أعرفه ، وكيف أرى
بمعنى رأسى فتى تخاله من الحورِ العين ، يتركهُ جماعةٌ من بنى آدم فى بطن
الأرض وحيداً فيما أظن ، ثم يُحكّمون الغطاء على فتحةِ المنارة ، ويُخفونه
بالترابِ . حتى لا يظنّ سالكٌ أو عابرٌ أن هنا فتحةً أو منارةً ، ومن
يدرى ؛ ربما قتلوه أو فعلوا شيئاً لا يخطرُ على بالٍ ، ذلك ما جعلانى
أتشبّهُ بالهيوطِ فى المنارة ، لأتّشعَ سحبَ النعوضِ عن هذا الأمرِ
الخطير ، الذى أصبحَ عندى كلِّ شيءٍ ، فأسرعتُ إليها ، وأزلتُ غطاءها ،



وهويتُ على سَلمها ، فإذا أنا في مكانٍ ممدود الجناتِ ، قامتُ به ^{General Order} ^{and Library}

ضخمة فارعةٌ لا أكادُ أحصيها عدداً ، تلكُ ^{طريق} ^{الطريق} الأرضِ أن يقعَ
أوينهار ، وفي وسطِ هذا المكانِ قصرٌ ذُو بابٍ من حديدٍ ، أحكم رتاجه ،
حتى لا يستطيعَ أحدٌ أن يفتحه ، فسختُ في المكانِ هنا وهناك ، فلم أجدُ
إلا العمدة والقصر ، فعرفتُ أنه مكن السروخبا الغاية ، فجعلتُ أدفع
الباب وأجذبه ، وأطرقه طرقاً عنيفاً تارةً ، وخفيفاً حيناً تارةً أخرى ،
عسى أن يكون من ورائه أحد فيفتحه ، ولكنني لم أسمع صوتاً ، ولم
أحسَّ حركةً ، فقوى في نفسي تشبُّي بالقصرِ ودخوله ، وجعلتُ
أتمسَّسُ البابَ جزءاً جزءاً ، فإذا بقطعةٍ من الحديد تحركُ في يدي ،
فحركتها جهةَ اليمين وفتحتُ البابَ .

دخلتُ القصرَ أسترقُ الخطأ ، فألقيتُ ردهةً فسيحةً ، تفتحتُ فيها
أربعةً أبوابٍ لحجراتٍ أربعٍ فهمه ، تحوي زاد سنةٍ لأناسٍ ثلاث .
وهذه بها كراسي مصفوفةٌ ، وبسطٌ مفروشةٌ ، وصوان فيه كتب
لقصص مختلفة ، وتلك فيها المرافقُ ومضخةٌ تمدُّ من يشاء بالماء من
بطن الأرضِ ، أما الرابعة فقد دخلتها فألقيتُ الفتى منزوياً في نفسه على
سريره ، حائل اللون ، مقشعر الجلد ، بما أصابه من رُعبٍ وفزعٍ ، فقد
أيقن أنني عفريتُ من الجن ، انشقتُ عنه الأرضُ ، فجاءه ليقضى عليه .
سرَّيتُ عنه بقولي : لا تخفُ أيها الفتى ، فأنا إنسانٌ مثلك ، وعلى
استعدادٍ لإيناسِكَ وخدمتك ، فجري في جسمه دم الاطمئنان واعتدل جالساً ،

فجلستُ بجوارِهِ وابتدرتهُ قائلاً : وما قصُّتُك أيُّها الفقي ؟ فأنسُ إلى
وقال : أنا ابنُ شيخٍ كبيرٍ ، لم يرزقْ إلّا بى ، بعد أن بلغ من الكبر عتياً ،
فجاءه منجِّمٌ يوم ولادتي وأخبره أن خطراً يترصدُنِي عندما أبلغُ
الخامسةَ عشرةَ من عمري ، وذلك أنَّ ملكاً يدعى عجيباً . سيقتُلُنِي
عندما أقطعُ هذه المدةَ من حياتي ، فهياً لى والدى هذا المكان ، وجهزهُ
بكلِّ ما أحتاجُ إليه ، ولما بلغتُ الرابعةَ عشرةَ ، جاء بى إليه ، وتركنى
فيه ، حتى لا ألتقيَ بالملكِ عجيب ، إلى أن يمضى وقتُ الخطرِ ، ثم ينقلُنِي
إلى قصرِهِ ، وقد أُمِن على حياتي أن يصيبها مكروهٌ ، فابتسمتُ ابتسامةً
عجبٍ ساخرةً ، وقلتُ : ومتى صدق المنجِّمون ؟ أنا الملكُ عجيب ، وقد
ملأتُ قَلْبى حبّاً لك ، وحداباً عليك ، فلا تخش شيئاً ، وسألبثُ معك
هذه السنةَ ، حانِياً عليك ، قائماً بشؤونك ، حريصاً على حياتك ، حِرْصى
على نفسى ، ثم عشنا على أهنأ حال ، وفى آخر يومٍ من السنة الخامسة
عشرة من عمره ، تأقت نفسُ الفقى إلى أن يأكل بطيخةً ، فقلت ناولنِي
السكينَ ، حتى أهَيَّ لك البطيخ الذى تَبَغِيهِ ، فقال : إنه على هذا الرفِّ
العالى ، فوقفتُ على كرسى وأمسكته يدي ، فاختلَ توازُنِي ، ووقعتُ
على الفقى ، ودخل السكينُ فى صدره فَقُضِيَ عليه ، فكادت نفسى
تذهب حُزناً وأسى . وقلت : لا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله ، لكلِّ أجلٍ
كتابٌ ، أينما تكونوا يدرككم الموتُ ولو كنتم فى بروجٍ مشيدةٍ ،
ثم غادرتُ المغارةَ إلى الشجرةِ ، متوقِّعاً حضور أبيه ومن معه .

وما كدتُ آخذُ مكانى على عُصْنٍ من غصونها حتى رأيتُ المركبَ راسياً . يلفظ القوم على الساحل ، ثم ولّوا وجوههم فى سيرهم شطر المغارة ، فهاهم أنْ رأوها مفتوحة ، فدانفوا إلى جوفها مُسرعين . وما لبثوا غير قليل ، حتى خرجوا يحملون الفتى ، جثّةً هامدةً ، وتعلّو وجوههم من الحزنِ غيرةً ، وعيونهم تتفجّر بدموعٍ منهرةٍ ، وأقلّهم مركبهم إلى حيثُ يريدون .

ودّعت الشجرة . وطَفِقتُ أمشى فى مناكِبِ الجزيرِ ، حتى كنتُ أمامَ قصرٍ يطاولُ السماءَ ذى شرفةٍ كأنها قُرْطٌ مملقٌ فى أذنِ الجوزاء ، فطُرقتُ بابه ، ففتحه شيخٌ معمرٌ فاستأذنته أنْ أدخلَ فأذن ، فوَلَجْتُ إلى بهو فسبحَ به رجالُ عشرة ، جالِسُونَ على أرائِكٍ مصفوفةٍ ، قد عورِرتُ أعينهم اليسرى . فسامت وجلستُ ، وأبديتُ رغبتى فى البقاء معهم يجرى على ما يجرى عليهم ، فقالوا : إن كنتَ تبغى الحياةَ سعيدةً ، فسنذلّك على سبيلِ تمكّنتك منها . فإن خالفتَ شيئاً فلا تلوّنْ إلا نفسك . فقلت : ولكم على ألا أخالفَ نصّحاً ، فقاموا وذبّحوا خروفاً كبيراً حنيذاً ، وسلخوا جلده ، ثم أدخلوني فيه وخاطوه ، وقالوا سنطرُحك فى العراء ، فيأتى طائرٌ يسمّى الرخمَ ، ويحملك إلى جبلٍ عالٍ ، فإذا ما حطّك على قمّته فسُقِ الجلدُ بالسكين الذى معك ، وصاَصِلْ بالجرس الذى فى يدك ، حتى يقرّزع الرخم ويتركك ، ثم سِرْ نحو الشمال حتى ينتهى بك السيرُ إلى مقامِ حياتك السعيدة . ففعلتُ ما أشاروا علىّ به ، وسرتُ حتى وجدتُ



قصرًا قد موّت جدرانها بالذهب والفضة ، له بابٌ من نحاسٍ أصفر ،
يتفرقُ بالجمال ، ويتنفسُ بالصُورِ البارزةِ المختلفةِ ، فوقَتْ أمامه ،
أقدمُ رجلًا وأوخرُ أخرى ، يدفعني إلى دخوله أملٌ باسم ، ويمعني
خوفٌ جازع ، ولكن حسنه الفاتن ، ووعد الرجالِ العشرة العور ،
جذباني إليه ، فدخلته على غير استئناس ، فأسلمني بأبه إلى دهليزٍ ممتد ،
قامت على جانبيه تماثيلٌ تحكى أنماطًا من الفرسان ، وأجناسا من الحيوان ،
لها إشعاعٌ من الجمال والهيبة ، يحبسُ عليها مشاعر السائر وحسه ،
وتقيّدُ أرجله عن المشي المطرد السريع ، ثم انتهتُ إلى بابٍ زجاجيٍّ
فدفعته يدي دفعًا هيئًا ، فطاوَعني وانفرج عن بهوٍ فسيحٍ عامٍ بفتياتٍ
أربعين ، جالساتٍ على كراسي من عاجٍ مُطعمٍ بفصوصٍ من ذهبٍ
وفضة ، سطعن في البهو سُطوع الكواكب النيرة ، لا تكاد تميزُ
واحدةً عن واحدة ، كأنهن اللؤلؤُ المنشور ، خرجنَ من أصدافٍ
متساوية ، فهنّ متشابهاتٌ قوامًا وخلقةً ، وجمالًا وروعةً ، فنظرن إلى
في ابتسامةٍ تنمُّ عن أنسٍ بلقائي ، وخففنَ لاستقبالي في سُرورٍ وبهجةٍ ،
وقلنَ لي لقد كتبتُ لك السعادةُ والعيش الآمنُ الرغيدُ بالمقامِ بيننا ،
فأنتَ أخونا ، لك منّا كلُّ حنانٍ وإجلالٍ ، ثم أدخلتني الحلمَ فأزلتُ
عن جسمي أدرانَ البؤسِ الغابر ، وارتديتُ حلةً من عنديهنّ لم تقع عيني
على مثُلها جمالًا وروعةً ، ولبثتُ معهنّ أثقلُبُ على مهادِ التعميمِ سنةً كاملةً ،
ثم قلنَ لي : نحن بناتُ ملوكٍ ، نذهبُ كل عامٍ إلى آبائنا فنمكثُ في

ضيافتهم أربعين يوماً ، ثم نعوذُ إلى قصرنا هذا . وهذه مفاتيحُ القصرِ
تتنقّل في أرجائه ، وتنعمُ برخائيه ، وتدخلُ كلَّ حجراته ، إلا هذه الحجرة
عيناها فلا تفتحها ، حتى ترجيعَ إليك ، ثم ودّعناه إلى حيث يقصدن .

أقمتُ عشرين يوماً لا أشعرُ بالوحدةِ ، ولا أحسّ وحشةً ، لو فرقةِ
الخير بالقصرِ ، وتنوعُ مغرباته ، وما شغلُ بالي فيه إلا تلك الحجرة التي
حرّمتُ عليّ فتحها ، فوقفتُ أمامها يوماً ، يدقّني حبُّ الوقوفِ على ما فيها ،
ويعنّني وخامةُ العقبى ، وسوءُ المنقلب ، ثم قلتُ في نفسي : إن الموتَ
أخوفُ ما يحافُهُ المرءُ على نفسه ، وما دام له وقتٌ محدودٌ ، لا يتقدمُ ساعةً
ولا يتأخّرُ ساعةً ، فلا تفتحها ولا ضيرَ عليّ ، فوجدتُ فيها فرساً مُسرّجاً
من أحسن ما رأيتُ جمالاً وقوةً ، ففكّكتُ قيده ، وعلوتُ صهوته ،
وحرّكتُ قدّمي أستحيّثه فلم يتحرّك ، فتناولتُ مقرعةً كانت معلقةً على
جدارِ الحجرة ، وضربتُ به ، فطارَ بي ، حتى حطّني على سطحِ منزلٍ
وضرّ بني بذيله فأتلّفَ عيني اليسرى وطارَ إلى حيث لا أعرفُ له سبيلاً ،
ثم ترّلتُ إلى جوفِ المنزلِ فألفيتُ الرجالَ العورَ العشرة ، فعرضتُ
عليهم أن أكونَ مَعمهم ، فلم يقبلوا لأنّي لم أستمعَ لنصحهم ، وقذفوا بي
خارجَ المنزلِ ، في حالِ زريّةٍ ، فسرتُ على غيرِ هدى ، متنقلاً من بلدٍ
إلى آخر ، حتى كنتُ في بغداد والتقيتُ بهذين الأعورين ، وجئنا إلى
هذه الدار ، فقالت الفتاةُ : امسحْ على رأسِكَ وغادرْ مجلسنا ، فقال : حتى
أستمعَ لقصةِ هؤلاء الأكارم .

(٥)

والتفتت إلى الخليفة ومن معه وقالت : وما قصتكم ؟ فقال الوزير :
قصتنا ما سمعتها من أختك عند دخولنا ، فقالت : قد وهبت بعضكم
لبعض ، وعفوت عنكم ، على أن تغادروا الآن . فقالوا : ولك عظيم
شكرنا .

ولما خرجوا من المنزل قال الخليفة للعمور الثلاثة والحمال : أين
تذهبون في هذا الوقت من الليل ؟ فقالوا : لا ندرى ! فقال : حينئذ وجب
أن تكونوا ضيوفنا الليلة ، ثم أمر جعفرًا أن يتولى أمرهم ، ليحضرهم
غداً بين يديه ، ومعهم البنات والكلبتان .

جلس الخليفة على عرشه ، ومعه وزيره وبقية وزرائه ، عن يمينه وعن
شماله ، على كراسي من العاج وبيرة المقاعد ، في بهوفخم مهيب فرشت
أرضه بالطنافس العجيبة الوبرة ، وتدلّت من سقفه المموه بالذهب
ثريات تتألق تألق النجوم في السماء ، وأمر بإحضار البنات والكلبتين
والرجال الأربعة ، فلما مثلوا بين يديه ، قال الوزير للبنات : أنتن لأن
في حضرة أمير المؤمنين ، وقد عفا عنكن كما أحسنن إلينا ليلة أمس ،
على أن تقلن الحق فيما تسألن عنه ، فإن أمير المؤمنين أيده الله حريص
على أن يقف على حقيقة أمركن .

فتقدمت إحداهن قائلة : هاتان الكلبتان أختاي لأبي ، وأنا أصغرهما

سنًا، ماتَ عَنَّا والدُّنَا قَبْلَ أَنْ تَتَزَوَّجَ وَاحِدَةٌ مِنَّا، وَوَرِثْنَا خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارٍ، فَأَخَذْتُ كُلُّ مِنَّا نَصِيبَهَا مِنْهَا، ثُمَّ تَزَوَّجْتُ أَخْتَائِي هَاتَانِ مِنْ تَاجِرَيْنِ بِالْمَدِينَةِ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ زَوَاجِهِمَا، رَغِبُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَنْهَا إِلَى حَيْثُ يُجِدُونَ الرِّبْحَ الْوَفِيرَ، وَبَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ غِيَابِهِمْ، جَاءَتْنِي أَخْتَائِي هَاتَانِ فِي شَكْلِ مَبْدُوءٍ، وَثِيَابِ رَثَةٍ، وَهَيْئَةِ زُرِّيَّةٍ، لَا تَفْتَرِقَانِ عَنْ شَجَاذَتَيْنِ حَالَفَهُمَا الْبُؤْسُ الْمُضْنَى، وَالْعُدْمُ الْكَرِيهُ، فَغَشِيَنِي مِنَ الْهَمِّ مَا غَشِيَنِي، أَسَفًا عَلَيْهِمَا وَحَسْرَةً وَمَحُوتٌ بِالْوُجْدِ عَنْهُمَا أَذْرَانِ الْفَقْرِ، وَالْأَمِّ الْحَاجَةِ، وَنَزَعْتُ عَنْهُمَا لِبَاسَ الذَّلَّةِ وَالْمُسْكِنَةَ، وَكَسَوْتُهُمَا ثِيَابَ الْغِنَى وَالْمَعْرِزَةِ، وَجَعَلْتُ مَالِي بَيْنَهُمَا عَلَى سَوَاءٍ، ثُمَّ سَأَلْتُهُمَا عَمَّا حَلَّ بِهِمَا فَقَالَتَا: فَقَدْنَا الْمَالَ، وَسَرَّحْنَا الْأَزْوَاجَ، وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ. ثُمَّ قَامَتُ كُلُّ مِنْهُمَا بِتَثْمِيرِ مَا نَأَلَهُمَا مِنْ مَالِي، فَكَاتَبَا بَعْدَ سَنَةٍ، مِنْ ذَوَاتِ الثَّرَاءِ، وَلَمَّا أَنْسَاهُمَا مَا أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ التَّرَفِّ وَالْغِنَى مَحْنِ الْأَيَّامِ وَبُؤْسِهَا، وَاسْتَعْرَتْ حَرَارَةَ الْحَيَافِ فِي جِسْمَيْهِمَا، رَغِبْنَا فِي الزَّوْاجِ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَقُلْتُ لهُمَا: لَقَدْ جَرَّبْتُمَا الزَّوْاجَ فَلَمْ تَجِدَا فِيهِ صَلاَحًا وَلَا خَيْرًا، لِأَنَّ الطَّيِّبِينَ مِنَ الْأَزْوَاجِ فِي هَذَا الزَّمَنِ قَلِيلٌ، وَقَدْ يَكُونُ حَظُّكُمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، أَنْ كُنْ مِنْ حَظِّكُمْ فِيهِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، فَمَا اسْتَمَعْتَا لِي نَصَحًا، وَتَزَوَّجْتَا عَلَى الرِّغْمِ مِنِّي، وَمَا هِيَ إِلَّا مُدَّةٌ قَصِيرَةٌ، حَتَّى غَادَرْتَا بَيْتَ الزَّوْجِيَّةِ مَسْرُوحَتَيْنِ، لَا تَعْلَمَانِ شَيْئًا، وَعَلَيْهِمَا خَلَعَ الْعُدْمُ وَالْمَذَلَّةُ بَادِيَةً، وَقَالَتَا: لَا تَوَاخِذِنَا بِمَا فَعَلْنَا، وَأَصْبَحْنَا لَا نَعِصِي الْكَأَمْرَ، وَقَدْ نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ الزَّوْاجِ

أنه قصرُ ملكِ هذه المدينةِ ، فولجتُ بآبِه إلى رَذْهَة مستطيلةٍ مفروشةٍ
بالرخام المصنّف ، تنتهى إلى بهوٍ فى استدارة البيضة ، تفتّحت فيه أبوابُ
حجراتٍ عدة ، عليها ستائرٌ سندسيةٌ ، مطوية على حواجزها ، فدخلتُ
الحجرةَ التى تُواجه الردهة ، فوجدتُ الملكَ جالساً على عرشه ، مرتدياً
حلتَه الملكية ، وفوق رأسه تاجٌ مرصعٌ بفصوص من درّ يخطفُ الأبصارَ
بريقه ، وأمامه صفّان من وُزرائه ، عن يمينه وشماله ، وأمام الحجرةِ صفّانِ
أيضاً من جنوده وحرسه ، وجميعهم حجارةٌ سوداء ، فى صمتٍ أبى الهول ،
وثباتِ الجبل ، نخرجت منها إلى بابٍ آخر ، فرأيتُ ساماً صعدتُ فيه إلى
الطابقِ الثانى ، وأسلمنى السيرُ إلى حجرةٍ من حجراته ، به سريرٌ من
الفِضة الموهّبة بالذهب ، أسدلتُ عليه كِكةً من إستبرقٍ ، لا تحجبُ
رقبتها ما خلفها ، ومن فوقه امرأةٌ مستلقيةٌ ، لم يُبين عطاؤها منها إلا وجهها
من حجرٍ أسود ، وكان الليلُ قد أرسلَ طلائعه ، ونشرَ ظلامه ، ففررتُ
إلى حجرةٍ أخرى بها أرائكٌ مصفوفةٌ ، فجلستُ فيها أتدو ما تيسر من
القرآن ، ثم أسلمُ رأسى إلى النوم ، مرتقبَةً إشراقَ الصباح ، لأستأنفَ
البحث على ضوئه حتى أعر على أحدٍ ، وغمرنى القلقُ فى موهِن الليل ،
فانتبهتُ على صوتٍ عذبٍ ، يزيدُه عذوبةً فى السمع ، وأنسا فى القلبِ ،
واطمئناناً فى النفس ، أنه عوج بالعبر ، مما جاء به كتابُ الله الكريم ،
فشئتُ على هدى من ذلك الصوتِ إلى موحاه ومبعمه ، حتى وصلتُ إلى
معبدٍ أضاءت قناديله المِدْلالة من سقفه ، ومن تحتها فتى جالسٌ على سجادَةٍ

أَبْرَةٍ مَنْقُوشَةٍ ، أَجَلَ مَا رَأَيْتُ خُلُقًا ، يَتْلُو فِي خُشُوعٍ الْعَابِدَ ، وَخُضُوعِ
الْمُتَبَتِّلِ ، وَخَشْيَةِ الذَّاكِرِ ، مَا تَيْسَّرَ لَهُ مِنْ آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَأَحْضَرْتُهُ
مِنْ سُجُوحِهِ فِي تِلَاوَتِهِ ، بِطَرِيقَةٍ خَفِيفَةٍ عَلَى بَابِ مَعْبَدِهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى
التَّفَاتَةِ هَادِئَةً بَارِدَةً ، فَابْتَدَرْتُهُ بِالسَّلَامِ فَرَدَّهُ رَدًّا كَرِيمًا ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ
بِحَقِّ مَا تَتْلُو أَنْ تَجِيبَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ وَلَكَ مَا تُرِيدُ ،
وَلَمَّا أَخَذْتُ مَكَانِي عَلَى سَجَادَتِهِ قَالَ : أَخْبِرْنِي : مَنْ أَنْتِ ؟ وَكَيْفَ
وَصَلْتِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟ ! فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ خَبْرِي ، ثُمَّ قَالَ : وَلِمَلِكٍ كُنْتَ
تُرِيدِينَ أَنْ تَقْبِي عَلَى نَبِيٍّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ ؟ فَقُلْتُ : مَا أَعْظَمَ ذِكَاكَ ، وَأَهْدَى
بَصِيرَتِكَ ، نَعَمْ ، وَذَلِكَ مَا أَرَدْتُ ، فَقَالَ : هَذَا مَدِينَةُ وَالِدِي ، وَهُوَ
مَلِكُهَا ، كَانَ هُوَ وَقَوْمُهُ يَعْبُدُونَ النَّارَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَكَانَ مِنْ خَدَمِهِ
عَجُوزٌ يَطْمِئِنُّ إِلَيْهَا وَيَتَّقِي بِهَا ، وَكَانَتْ تُبْدِي مِنَ الْكُفْرِ غَيْرَ مَا تَحْفِيهِ فِي
نَفْسِهَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَوَكَّلَ إِلَيْهَا أَمْرَ تَرْبِيَّتِي ، وَتَحْجِيسِي ،
إِذْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا عَلَى دِينِهِ ، فَعَلِمْتُنِي الْإِسْلَامَ ، وَحَفَظْتُنِي الْقُرْآنَ ، عَلَى خَفِيَّةٍ
مِنْ أَبِي ، وَغَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِي ، وَحَذَّرْتُنِي أَنْ أُعْلِنَ ذَلِكَ ، خَشْيَةَ أَنْ يَغْضَبَ
أَبِي فَيَقْتُلَنِي ، ثُمَّ مَاتَ الْعَجُوزُ ، وَبَقِيتُ عَلَى عَهْدٍ مِنَ الْكُتْمَانِ ، وَمَوْثِقٍ
مِنْ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ .

وَبَيْنَمَا الْقَوْمُ فِي كُفْرٍ يَمْعَهُونَ ، إِذْ سَمِعُوا صَوْتًا مُدَوِّيًّا طَبَّقَ الْآفَاقَ ،
يُنْذِرُهُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ، إِنْ لَمْ يَصْبَأُوا ، وَيَكْفُوا عَنْ عِبَادَةِ النَّارِ ، وَيَعْبُدُوا اللَّهَ
الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ، فَفَزِعُوا إِلَى الْمَلِكِ ، يَسْأَلُونَهُ عَنْ هَذَا الصَّوْتِ وَرَأْيِهِ فِيهِ ،

فقال : لا يُفزعنكم شيءٌ ما دمتُ بينكم ، واستمسكوا بأيديكم
فانصرفوا معتصمين بكفريهم ، ودأب هذا الصوتُ يأتهم في موعده من
كلِّ سنة ، ثلاثَ سنواتٍ دأباً ، فما زادهم إلا ضللاً وكُفراً ، وعُتُوا
كبيراً ، فَمَسَخَهُمُ اللهُ حِجَارَةً على نحو ما رأيتُ ، ونجوتُ بإيماني
وصلاتي ونُسكى ، فقلتُ : إنَّ بغدادَ مقلُّ الدين الخالص من رنق
المقيدة الواغلة ، ومشرقُ العلم والهداية ، ومن الخير أن تصحبني إليها ،
لتكون لك دار مقامة . وبُسمدني إذا اتخذتني زوجاً فهداهُ اللهُ إلى الرَّجُلِ ،
وأخذنا ما استطعنا حملة من المال ، وذهبنا إلى المركب ، حيثُ كان
ينتظرنا ، وسرّني أن وجدت أختي في ارتقابي ، وأعلمتهما ما وقفتُ عليه
من أمر هذه المدينة ، وذلك الشاب الذي معي ، فنفستا على زواجي منه ،
وأضمرتا الكيد لي وله ، وأنا لا أزال مطمئنة إليهما ، لا ألمحُ في وجهيهما
حقداً ولا غيلةً ، وحمل اليم المركب يتهادى بنا ، ويدفعه النسيم في رفقٍ
ولين ، ثلاثة أيام . وفي جوف الليل استيقظتُ أنا والشابُّ من النوم
ونحنُ نتخبطُ على صفحة الماء ، أما هو فلم يكن يُجيدُ السباحة فكتبتُ له
الشهادة ، وكان من المعرفين . وأما أنا فاستعنتُ بالله وقوتي ومهارتي في
السباحة وجعلتُ أكدح سباحةً ، حتى عثرتُ بقطعةٍ من الخشب كانت
خير عونٍ لي ووقايةً ، ودأبتُ أسيحُ جاهدةً ، حتى وصلتُ إلى جزيرةٍ ،
فخرّجتُ إليها أفهقُ كما يفهقُ المصابُّ رِيبُو في صدره ، واضطجعتُ
أستروحُ من هذا التعب ، فأخذتُ نومٌ عميق ، ثم قُتُّ ومُشيتُ في



مناكب الجزيرة، فرأيتُ حيةً تؤمُّنِي لاهثةً متعبة، ومن خلفها ثعبان يدلُّ سيرُهُ على أَنَّهُ يقصِّدُهَا بِسُوءٍ، فأشفقتُ عليها، ورميتُ رأسَ الثعبان بحجرٍ، فهلك لساعته، فتكورت الحيةُ، ووثبتُ إلى الجوّ طائرةً، واختفتُ عني في طياته، فجلستُ مكاني قائلَةً: لا تزالُ الدنيا تُرينا من أعاجيبها ما لا ندرى له حِكْمَةٌ، وغرقتُ في لُجَّةٍ من التفكير، أسأمتني إلى النوم، ثم انتبَهْتُ فوجدتني في حراسةٍ جارِيَةٍ، جالسةٍ بمجوارِي، فقلت: من أنتِ أيُّهَا الجاريةُ؟! فقالت: صنِيعَةٌ معروفك وأُسيرةٌ إحسانك، أنا الحِيتَةُ التي أُنقِذْتُمَا من الثعبان الذي كاد يُهلكُنِي، وإني جِنِيَّةٌ طرْتُ من أُمَامِك، وذَهَبْتُ إلى المركب الذي كان يحملُك، ونقلْتُ جميعَ ما فيه إلى منزلِك، ومسختُ أُخْتَيْكِ كَبَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، لأنهما تَأَمَّرتا على قَتْلِكِ أنتِ والشاب حِقْدًا وغيلاً، ثم حملتُنِي وطارَتْ بي إلى هذا القَصْرِ الذي شرفْتُنِي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فيه، وأخذتُ على مِيثَاقًا أَن أضرِبَهُمَا بالسَّوْطِ كُلَّ يَوْمٍ على نَحْوِ ما رَأَيْتَ، جزاءَ غَدْرِهِما وخِيَانَتِهِما، وإلا أَهْلَكْتُنَا جميعًا، فأنا أَقُومُ بما أَمَرْتُ في أَلَمٍ وحزنٍ وشفقةٍ وهذه قصَّةُ الكلبتين .

والفتت الخليفة إلى الثانيةِ قائلًا . وما شَأْنُ الضربِ الَّذِي آمَرُهُ على جِسْمِك ؟!

فقالت: نَعِمْتُ بِتَرَاثِ أَبِي الْوَفِيرِ حينًا غيرَ طَوِيلٍ، ثم تَزَوَّجتُ بِرَجُلٍ سَعِدْتُ بِعَشْرَتِهِ سَنَةً، ثم لَبِي نداءَ رَبِّهِ، وخَلَفَ لِي مِنَ الْمَالِ أَضْعَافَ ما وَرَثَتُهُ عن والدي، فلزمت داري، حزنًا على فِرَاقِ زَوْجِي، وذاتَ يَوْمٍ

دخلت على عجوزٍ يضمُّ جلدُها عظاماً نخرةً ، ولكن عينيها تيمان عن
دهاءٍ دفين وكيدٍ عظيم .

وبعد أن جالست وأكرمت ، قالت : إن لي بنتاً يتيمةً ، غرّها ما خلّفه
لها أبوها من مالٍ ، وعقار ، فشملت من طاعتي ، وضاعت ثقُها بي ،
ففنّدت قولي ؛ وارتابت في عقلي ، لكبر سنّي ، وهزالِ جسّمي ، وأنت
سيدةٌ معروفةٌ بحصافةِ الفكر ، وصوابِ الرأي ، وسماحةِ النفس ، وطيبِ
الخلق ، فلو سمحتُ بأن تذهبي معي إليها ، لتردّي عليها رشدها ، كان لك
عند الله المثوبةُ والأجرُ العظيم .

فقلت : وهل أهلك من قبلنا من الأمم إلا أنهم كانوا لا ينهاهون عن
مُنكرٍ فعلوه ؟ وقت معها راجية أن أوفق في إصلاح ذات البين بينها
وبين بنتها ، حتى وصلنا إلى قصرٍ منيفٍ ، ينطق بالبنى والعزّة ،
ودخلتُ بي حجرةً مفروشةً ببساطٍ من حريرٍ ، وبه سريرٌ رصعتُ
قوائمه بالدُرّ والجوهر ، وأسبلت عليه كَلَّةٌ وَرْدِيَّةُ اللونِ ، ولم نكدُ
ندخلها حتى انتشعت الكَلَّةُ عن فتاةٍ تحاها من الحُور العين ، ثم جلسنا ،
وقالت : لي أخٌ جميلٌ الخَلْقَةُ ، بهيُّ الطَّلَعَةِ ، كأنه البدرُ سَناءً وسَناءً ، وقد
سمِعَ عن خُلُقِكَ القويم ، ودينِكَ المستقيم ، وجمالِكَ العظيم ، فأحبّك
حبّاً جمّاً ، وقد احتال بهذه العجوزِ على أن يجتمع بك ، ليرادِكَ في أمرِ
الزواج منك ، حتى يُلبّي هَوَى في نفسه ، على سنّةِ الله ورسوله ، فقلتُ
في نفسي : إن الإسلام لا رهبايّة فيه ، وأجبتُها إلى رغبتها ، وجاء الشابُّ

وأحضر الشهود والقاضى ، وتم الزواج ، وبقيتُ معه ، فى عيشة رغبة آمنة .

لم يتركنا الحاسدون نَعمُ بما نحنُ عليه من حبة ووثام ، فجعلوا يوسوسون فى صدره حتى ارتاب فى أمرى ، وضاعتُ مذاهبةً بى ، ولا أدري لذلك سبباً .

فقلتُ له : لا تعذيب فى العشرة ، فلما إمساكُ بمعروفٍ ، وإمّا تسريحُ بإحسانٍ .

فقال : وَمَنْ يُنَجِّيكِ من يَدَيِّ بعد الذى قد كان ، سأتركُ على جسدك ما يُزهدُ فيكِ القريبَ والبعيدَ ، ثم صاحَ صيحةً عظيمةً ، وإذا بعبيدٍ سبعةٍ قد حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ .

فقال : شُدُّوا وثاقَ هذه المِراقِ الغادرة ، وأمسكُ عصاً من الخيزران ، وجعلَ يضربُنِي ضرباً مبرِّحاً ، ثم سَرَّحَنِي ، وكانت هذمٌ — مشيرةً إلى الفتاة الأولى — أُخْتِي لَأبَى ، فجئتُ إليها ، فوجدتُ عندها الكلبتين فقصتُ كلَّ ما جرى لها ، ولا يزالُ أثرُ الضربِ فى جِسمِي لم يَستَحْه مرورُ الزمن ، ثم تعرَّفْنَا بهذه الدلالة — مشيرةً إلى الفتاة الثالثة — وعشنا فى القصرِ على نَحْوِ ما رأيتُ ، وها نحنُ أولاءُ حاضراتُ بين يديك .

فالتفتُ الخليفةُ إلى الفتاة الأولى ، وقال : أُنَسِّطِيعِينَ أَنْ تُحْضِرِي الجَنِّيَّةَ الَّتِي سَحَرَتْ أُخْتَيْكِ ، ومسَحَّتَهُمَا كَلِمَتَيْنِ ، فقالت نعم .

ثم أخرجت شعرةً من جَبْهَها وأحرقَتْها ، وإذا بِدَوَى فى القصر

وصلصلة ، أعقبهما حضورُ الجنَّةِ ، ومشولها بين يدي أمير المؤمنين
وكانت مُسامةً

فقال : السَّلامُ عليك يا أمير المؤمنين .

فقال : وعليكِ السَّلامُ ورحمةُ الله .

فقالَتْ : حضرتُ إلى أمير المؤمنين طائفةً ، وما فعلتُ أمراً نُكراً ،
فقد أَتَقَذْتُ هذه الفتاةَ حَيَاتِي ، وهاتانِ الأختانِ خاتمتها ، وأغرقتا زوجهما ،
بعد إحسانها إليهما فشوهتُ بالمسُخِّ وجودهما ، دَرَأاً لشرِّهما عن أُخْتَيْهما
البريئةِ الوفيَّةِ ، فإن أَرَدْتَ العفوَ عنهما ، أعدتُ إليهما الساعةَ خلَقَهما
الأول .

فقال : وذلك ما أريد .

فنظَرَتِ الجنَّةُ إليهما نظرةً طويلةً ماحِقةً ، وتمتعت ثم تَمَّتَتْ ، فإذا
الكلبتانِ إنسانتانِ جميلتانِ في جِسمِ رَفَافٍ ، ثم نظَرَ إلى الفتاةِ المضروبةِ
بالعصا ، وأثر الضربِ لا يزال بادياً على جِسمِها ، وقال : وهل تعرفين
مَنْ فَعَلَ بِتِلْكَ هذا ؟

فقالَتْ الجنَّةُ : إني أعرفُهُ وهو مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ القَلْبِ والنَّفْسِ .

فقال ، وَمَنْ يَكُونُ ؟

فقالَتْ : ابْنُكَ .

فَلِكَ العَجَبُ عليه حِسِّه ولسانَه فَتَرَهُ غيرَ طويلةٍ ، ثم أمر بإحضاره ،

وزَوَّجَه من فَنَاتِهِ . وكانت الجَنِّيَّة قد مَسَحَتْ يَدِهَا على جِسْمِهَا ، فمَحَتْ
آيَةَ الضَّرْبِ عَنْهَا .

ثم زَوَّجَ أَبْنَاءَ الملوك العور ، من الفَتَيَاتِ الأخواتِ الثلاث ، وجعل
الفتاةَ الَّتِي أَحْضَرَتِ البضاعةَ من سُوقِ المدينةَ زوجاً للعَمَّالِ ، وعاشَ جميعهم
في نِعْمَتِهِ وَكَفِّهِ سَالِمِينَ .



قَرَّ الزَّمان

(١)

شهرمان ملك عزيز الجانب ، مرهوبُ السلطان ، ذو حولٍ وطول ،
 آتاه الله زينةً وأموالاً ، في دنيا مُلكه الواسع ، وعزّه العريض ؛ بلغ
 من الكِبَرِ عِتياً ، ولا يزال عقيماً ؛ فلم يكن له وَلَدٌ ؛ وكان لذلك بئيسَ
 النفس ، شاردَ الذهن ؛ يخشى على مُلكه أَنْ يُفْلِتَ من بيته ، ولا يكون
 له عَقِبٌ يرثه من بعده ؛ فَأَنَسَ إلى أحد وزرائه ، وأطلعه على مَبْعَثِ حزنه .
 فقال الوزير : استعن بالله واصبر ؛ إِنَّ الأرضَ لله ، يُورثها من يشاء
 من عباده ، وربما تَجَزَّعَ النفوسُ من أمرٍ له فُرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ ، قَمُّمٌ
 وتطهر ، وَصَلَّ رَكْمَتَيْنِ ، مُتَضَرِّعاً إلى الله أَنْ يَهَبَ لك غلاماً زكياً .
 فعل شهرمان ذلك ، وصلى لله ، ودعاه أَنْ يهبَ له غلاماً يرثُ مُلكه

الواسع العريض ؛ فاستجاب الله دعاءه ، ووضعت زَوْجُهُ ولدًا بَهِيَّ
الطَّلَعِ ، أضاء بمولده ما بين جوانح والديه ، فسماه قمر الزمان ، وَعُنِيَ
بِتَشْيِئَتِهِ فِي ظِلَالٍ وَّارِفَةٍ مِنَ التَّرَفِ العزير ، ورعاية فِذَّةٍ مِنْ تَقْوِيمِ
الْخَلْقِ ، وسلامة الفكر ، وقوة البيان .

ولما بلغ أشُدَّهُ ، وقطع خمسَ عشرةَ سنةً من عمره ، أجمعوا أمرهم
على أن يَزَوِّجوه فمضى أبوه عليه هذا الأمر ، فأجاب قمرُ الزمان .

أيها الوالد العزيز ، لا يحملك فرطُ محبتك لى ، أَنْ تَغْلُوَ فِي إِمْتِكَاعِي
بما تريد من زينة الحياة الدنيا ، فقد عَدَّتْ عَيْنَايَ عَنْ أَيْةِ زِينَةٍ تَشَوُّبُهَا
شائبةٌ مِنْ تَنْغِيسٍ أَوْ هَمٍّ ، ولقد خرجت النساءُ بالزواج عن الغرض
السَّامِي الَّذِي شُرِعَ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ أَنْ يَسْكُنَ الرَّجُلُ إِلَى
زَوْجِهِ ، وَأَنْ يَطْمَئِنَّ فِي بَيْتِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ يُحْفَظُونَ ذَكَرَهُ ،
وَأَنْ يَبْقَى النَّوْعُ الْإِنْسَانِي عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَنْ يَتَعَارَفَ النَّاسُ وَيَتَعَاطَفُوا
وَأَنْ يَتَوَادُّوا وَيَتَجَابَّوْا ، أَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ انْصَرَفْنَ عَنْ تِلْكَ الْمَعَانِي السَّامِيَةِ
الَّتِي أَرَادَهَا الشَّارِعُ مِنْ تَشْرِيعِ الزَّوْاجِ بِمَا كِدْنَ لَهُ مِنَ الْمَكْرِ الْعَظِيمِ ،
وَالْكَيْدِ الْأَلِيمِ ، ولهذا فقد عَفِئَتْهُ ، وَزَهِدَتْ فِيهِ ، وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ بِهَذَا
الرَّأْيِ حَتَّى لَا تَشْغَلَ نَفْسُكَ بِالتَّفَكُّيرِ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَجْلِ .

فَتَلَطَّفَ وَاللَّهِ وَأَمْسَكَ ، إِشْفَاقًا وَرَحْمَةً ، وَإِنْ كَانَ مُتَقَبِّضَ الصَّدْرِ ،
مُتَعَلِّجَ الْهَمِّ ، مَكْظُومَ الْغَيْظِ ، لِهَذَا الْإِعْرَاضِ الْأَبِيِّ ، وَعَكْفَ عَلَى هَذَا
السَّكُوتِ حَوْلًا كَامِلًا .

ثم دعاه إليه ، وفي لينٍ من القول ، تحدث إليه : — ألا تستجيب لأبيك ، إذا دعاك لأمرٍ قد يكون فيه ما يعينك أو يحيك ؟ !

فقال قر الزمان : — كيف لا أستجيبُ لدَعْوَتِكَ ، وقد فُرِضَتْ عَلَيَّ طَاعَتُكَ ، وَكُتِبَ خَفْضُ جَنَاحِ الذِّلِّ لَكَ ، من أجل حنانك ورحمتك ! فقال أبوه ، وقد دَبَّ في نفسه ديبُ الأمل ، لتلك الإجابة السديدة التي تَمَّ عن نفسِ بَرَّةٍ طَيِّعَةٍ : لقد أردتُ — وما أردتُ لك إلا الخير — أن أزوِّجَكَ ، وأجعلَكَ على مُلْكِي تصرفه يمينك ، لأنعم بك البقيةَ الباقيةَ من حياتي .

فقال قر الزمان : — لا تكلفني ما لا طاقة لي به ، ولا تحمِلني على المُعْشَوِّقِ بعصيانك في أمر زواجي ، واجعل لي من رحمتك وقايةً لي ، بالكفِّ عن هذا الأمر ؛ فقد قرأتُ في كتب الأولين ما بَعَّضَهُ إِلَى ، وجعاني أَطْعَمُ السُّمَّ الزَّعَافَ ولا أَطْعُمُهُ ؛ وذلك شَأْنِي أضَعُهُ بين يديك ، فلا تُرْهِقْنِي منه عَنَاءً وَعُسْرًا .

فَأَسَرَّ وَالِدُهُ في نفسه همًّا فادحا ولم يُبَيِّنْهُ لَهُ ، وأحلَّهُ من هذا الأمر تَلَطُّفًا بِهِ ، وإشفاقا عليه ، ثم هَمَّ إِلَى وزيره يستَوْحِي رَأْيَهُ ، فيما اتهمَا إليه ، ويستأْهُمُهُ وَجْهَ الصَّوَابِ فيما هما فيه يختلفان .

فقال الوزير : أَيْدَ الله الملك ، وإنما الرأى منك وإليك ، وخير ما أرى في هذا الشَّأْنِ ، أن تترك ابنك سنة أخرى ، ثم تعرض عليه أمر الزواج علانية ، في حُضْرَةِ الوزراء ورجالِ الدولة ، وإذْ ذَاكَ يتسلَّطَ الحُجْلُ ،

ويحكم الحياء ، فلا يجزؤ على عصيانك ، في حضرة من وزرائك ،
ورجال دولتك ، وتصل إلى رغبتك من أيسر السبيل وأقومها . فاطمأن
الملك ، وقال : — أبقاك الله مَوْقفاً في رأيك ، سديداً في قولك . ولَّى العام
وأدبر ، والتأم مجلس الملك الموقر ، فقال لابنه وهو يعمره ويتحدث
عليه : — إنك تعلم أنني أحبك ، وأبني الخير لك ؛ ولقد أردت أن
تحلفني في مُلكي ، وتريحني من أعبائه ، ففيك فتوة ، وفيك جلد
وقوة ، ولك بصير نافذ ، ورأى سديد . وعقل رشيد ؛ كما شغفت بأن أنعم
بزواجك فأطع رغبتى ، وانزل على إرادتى محوطاً برعاية الله ورضوان
أبيك ، وهؤلاء وزراء الدولة وكبرائها يؤيدون رأيتي ، ويرجون أن
ينزل من نفسك منزل القبول والرضا .

فأطرق قر الزمان قليلاً ، ثم رفع رأسه قائلاً : يا أبتاه ؛ لقد عرضت
على أمر الزواج مرتين ، فلم تجد مني إلا إعراساً وصدداً ، فأنت الآن كمن
يسقط كفيه إلى الماء ليملغ فاه ، وما هو ببالغه . أو كمن يستعيد الابن دماً ،
والشيخوخة صبا ، نخل سبيلي ، ودعني وشأني ، ولا تخاطبني في أمر
هذا الزواج .

عصفت في رأس أبيه نحوه العزة ، وتلظت في صدره سورة السلطان
والإمرة ، وأذهله الغضب عما يمكنه لابنه من رحمة ، وأمر أن يُرجَّبه في
برج من أبراج قلعته المتيقة ، تنفيذاً لمشورة وزيره .

نصب رجال الملك لقمع الزمان سريراً في قاعة مظامة من قلعته ، وكانت

في عُبُوس الكهف ، وسُكُون المقبرة ، وأوقدوا مصباحاً فيها ، وأودعوه إياها ، وقام على بابها حارس يحضر إليه الطعام ، ويقضى له بعض الشئون . ولما دخلها قر الزمان ، وتناول طعام العشاء . توطأ وصلى ، ثم جلس على سريره ، وجعل يتلو كتاب الله الكريم ، حتى غلبه النعاس ، فاستلقى على ظهره ونام .

كان بالقلمة بئرٌ عميقة ، تسكنها جِنِّيَّةٌ تسمى ميمونة ، من أحقاب طويلة وهي بنت أحد ملوك الجان .

وفي الهزيع الثاني من الليل خرجت من البئر ، تجول في الهواء كبادتها ، فأدهشها أن رأت أشعةً تَنِمُّ عن مصباح داخل القاعة ، فأسرت إليها ، لتقف على ما حدث فيها ، فوجدت الحارس نائماً أمام بابها ، ووجدت قر الزمان على سريره غارقاً في نومه ، فوقفت أمامه شاخصةً إليه ، يأخذها جالُه الباهر ، وما يكسوه من آيات النعمة والترف الزاهر ؛ وعجبت أن جاء به أهله إلى هذا المكان الخرب الذي يُجِلِّلُهُ الظلام ، وتَشِعُّ منه الوحشة والرعب آناء الليل والنهار ، وفَتَنَهَا جالُ خَلْقِهِ ، وألقى في قلبها محبةً إليه ، وتحدياً عليه فقالت :

تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين ، لا تُثْرِبَ عليك ، ولن يمسَّكَ ضرٌّ ما دمتَ في حمايتي وضيافتي ، ثم قَبَلَتْهُ وطارَتْ ؛ وما زالت ترتفع في الجو حتى أَلْتَمَّتْ بعفريت يسمى دهنش ، ففَزَعَ منها ، وأقبل عليها صارعاً مستدلاً ، مُسْتَشْفِعاً بالاسم الأعظم ، والطَّلَسْم المنقوش على خاتم سليمان ،

أن ترفق به ولا تصب جام غضبها عليه ، فإنه لم يجترح خطيئة ، ولم يقترب إثمًا ، وكانت من الجنيات المؤمنات .
فسألته : أين كنت ؟

فقال : كنت في آخر بلاد الصين ، وأتيتك منها بنيا يقين ، إنى وجدتُ ملك الجزائر التابعة لبلاد الصين ، بذنًا هي رمزُ الجمال ، وأعجوبة الزمان ، وأبوها ذو طولٍ قاهر ، وسلطان جائر ، شيدَ قصوراً سبعة ، وجهزها بأغراض ورياش ، وجعلها كل ديارها ، تتنقل فيها تنقل الشمس في أبراجها ، وتسبح سبح الكواكب في أفلاكها ، وقد تهاكت الملوك على أيها ، يطلبون يدها ، والزواج منها ، ولكنها تصدُّ صدًا أيًا ، حتى أنذرتُ أن تبخع نفسها ، وتخلص من حياتها ، إن لم يعرض أبوها عن أمر زواجها ، فليست لها فيه حاجة ، ولا إليه منها رغبة .

ولكن أباه أغضبه إياها ، فحرم عليها القصور السبعة ، وجلسها في بيت لا يؤنسها فيه إلا سبع عجائز يقمن بخدمتها ، وأعلن لطلابي يدها أنها أصيبت بالعمه ، وحلَّ بعقلها البله ، فهي لذلك حبيسة الدار ، لا تتصل بديار ، ولا نافخ نار ، وأنا أيتها الجنية الجليلة ، أذهبُ إليها كل ليلة وهي نائمة ، فأستمعُ برؤيتها وتقبلها ، ولها منى كل أمن وسلامة ، فلو تفضلت برؤيتها ، أعجبت بها ورَضيت عني .

فقالت : اخسأ أيها العفريت الجاهل ، وهل في الدنيا أجلُّ من حبيبي ، ونور عيني ، وبهجة نفسي ، الذي اتخذ من برجى مقامًا . لخطيَ بحمايتي

وصونى ؟ ولقد علمتُ من أمر زواجه ، ما علمتَ أنتَ من أمر زواج فتاتك ، وكأنا اتفقا على النفور من الزواج وكرهيته ، فاتفق أبواهما الممكان على إعانتها وبذل المساءة لهما .

فقال : وماذا عليكِ لو تفضلتِ وذهبتِ معى إلى فتاتى « بدور » ورأيت من جمالها العجبَ العجيبَ ، الذى لا يستطيع وصفه بيان ؟
فقلت : قسماً برب الظل والحرور ، إن لم تكن فتاتك « بدور » على نحو ما وصفت ، لأرجنك أو لأحرقنك .
فقال : ولك ذلك .

فقلت : إن مكانَ حبيبي قريبٌ منا ، فانزل معى لأريك من آيات جماله ، ما يبهرك ويعدُّ لسانك ، وقد لا نحتاج بعد ذلك ، إلى السفر لرؤية فتاتك .
فقال : لا شئ أحب إلى نفسى من طاعتك .

ونزلا إليه ، وما كشفت له عن وجهه حتى بُهِت وكَبِت ، وبعد لأى قال : والله يا سيدتى ، إن صدقَ حدسى ، فإننا لا نميز أحدهما من الآخر إلا بما نميز الذكر من الأنثى ، فنظرتُ إليه على استهزاء وقالت : اذهب من فورك ، وأحضرها الساعة ، لترى أيهما أجمل ، واعلم أن حثفك فى إبطائك . فقال : سمعاً وطاعة ، ورجأتُ أن تصحبينى فى رحلتى ، لتقضى شر البلاء ، فرضيتُ بذلك .

وجاءا بالقتاة « بدور » ووضعاهما نائمة بجانب قمر الزمان ، وجعل كل منهما ينتصر لرأيه ، فهذه تفضل قمر الزمان ، وهذا يفضل « بدور » .

وانتهى الخلاف بهما إلى أن يختصما إلى حَكَمٍ يَفْصِلُ بينهما ،
فَضَرَبَتِ الْجَنَّةُ الْأَرْضَ بِرِجْلِهَا ، فخرج منها عفريت أعور ، ذو سبعة
قرون ، وأربع ذوائب ، يجررها على الأرض . وأظفار كأظفار الأسد ،
ورجلين كرجلي الفيل ، فقبَّل الأرض بين يدي ميمونة ، وسألها حاجتها .

فَقَالَتْ : يا قشَقَش ، إنما جئت بك الآن لتحكم بيني وبين العفريت
دهنش ، وتلت عليه قضيتها ، فجعل قشَقَش يُصَوِّبُ نظرَه فيهما
ويُصَعِّدُه ، ثم التفت قائلاً : إن الفرق بينهما كالفرق بين المرأة وصورتها
في المرأة ، والرأى عندي أن نوقفهما ، أحدهما بعد الآخر ، وننظرَ
ماذا يصنعان ، فمن كان أكثرَ شغفًا بالآخر ، كان دونه جالاً ، فنزلاً
على هذا الرأى .

انقلب دهنش برغوثاً ، ولسع قر الزمان في رقبتِه ، فاستيقظ ؛ فألقى
بجانبه فتاة تشعّ سحراً وفِتْنَةً ، فجرى دمه في دهشة وحيرة . وأسف
وحسرة ؛ وقال : ثلاث سنين دلستُ فيها خُلُقِي بعصيان أبي ، وخسرت
فيها مُتَعَتِي ، وأضعت بين الوزراء والكبراء كرامة والدي ، وأعلنتُ بينهم
عُتُوقِي ، وضَعُفَ عَقْلِي ، وسيءَ خُلُقِي ، ولا بد أن تكون هذه الحورية ،
الزوجة التي ارتضاها لي أبي ، وأراد أن يُرِيَنِي مقدار حبه إلي ،
وشفقته بي ، وفساد وجهتي ، وباطل خطتي ، وشر الخروج عن طاعة
والدي ، فخبسني في هذا المكان ، وجاء بهذه الفتاة التي ارتضاها لي زوجاً ،
عسى أن يثُوبَ إليَّ رشدي ، ويرجع صوابي ، وأنزلَ على رأيه مختاراً



راضياً، وإن شاء الله لا يشقُّ هذا الليل عن فجره ، حتى أرجو المثلَّين
 يدي والدي ، صارعاً إليه أن يغفر لي خطيئتي ، ويسعدني بالزواج من هذه
 الفتاة ، التي إن لم أخطبها ، فقد ذهبتْ نفسى حشراتٍ عليها ؛ ولن أكونَ
 معها في هذه الخلوة إلا رجلاً كريماً نبيلاً ، حتى لا تعظم جريعتي ، فقد
 نكون الآن على مرأى من والدي ، يُحصي عليَّ ما أفعله ، ثم يحاسبني
 حساباً عسيراً ؛ ومدَّ يده إلى خاتم في إصبعها فترعه ، ووضعته في إصبعه ،
 وأدار إليها ظهره ، وأسلم إلى النوم نفسه .

ولما أخذ مكانه من فراشه وأغض عينيه . انقلبت ميمونة برغوثاً ،
 واسعت (بدور) في عنقها ، فهبت من نومها ، فوجدتْ هذا الفتى بجوارها ،
 وما كشفت عن وجهه ، حتى فنيت فيه ، وتهاكت عليه وجعلت
 تُقلِّبه ذات اليمين وذات الشمال ، لتسعد به ، وتنعِم بحبه ، وتأخذ منه
 عهداً أنها له ، وتعدّ رباطاً وثيقاً بينها وبينه ، وندمت على ما فرط من
 إعراضها ، إذ ظنّت أنه ذلك الذي كان يُريدها من أيها ، ولما لحت خاتمها
 في إصبعه ، انبعث الأملُ في نفسها ، وأحبّت أن تنالَ منه شيئاً يكون
 مبعثَ سرورها ، ووشيجةً بينه وبينها ، فترعت خاتمه من إصبعه ،
 ووضعتْ في إصبعها ، وكأنها بذلك حصلتْ على خاتم سليمان ، تُسخر به
 كلَّ كائن ، وتحكمُ بما تشاء ، لا مُعقَّبَ لحكمها ، ولا رادَّ لقولها ،
 وكانت قد استيَّاستْ من إيقاظه ، لأن الجنيّة أُنقلت نومّه ، فأرجأته إلى
 حين ، واحتضنته ونامتْ ، فأخذتها سنة أسامتها إلى نوم عميق .

فرحت (ميمونة) بفوزها ، فالتفتت إلى دهنش قائلة : لقد رأيت من عِفَّةٍ حبيبي ، وتَهَالِكِ فتاتِكَ ما رأيتَ ؛ ولكنى عفوتُ عنك ، لجواز أن يكون شَغْفُكَ بها ، أَعْمَى بصيرتَكَ عن وجه الصواب في قضيتنا ، وأمرت (قشقرش) أن يساعده في نقل فتاته إلى بيته ، فقد أوشك الصبحُ أن يُسفر ، وترك جميعهم قر الزمان نائما ، ومضى كلٌّ إلى شأنه

(٣)

طالع الفجر وانتبه قرُ الزمان ، فالتفتَ يَمِينَةً ، والتفتَ يَسْرَةً ، وجل يضره في أنحاء القاعة ، على ضوء المصباح ، لعله يجد الفتاة التي كانت يجانبه ، ولكنه لم يجد شيئا ؛ فساقه الحدسُ إلى أن والدَه أحضرها . ثم أخذها ، ليرَغَبَها في الزواج ، ولا يمودُّ إلى سالف نفوره .

أخفى حَيْرَتَه ، ونهض فقضى حاجتَه ، وتوصَّأَ وصلى ، وقرأ ما تيسَّرَ له من آي الذكر الحكيم . ثم نادى الحارسُ ، وسأله عن الفتاة ، فقال : أَيْةُ فتاةٍ يا سيدي ؟ فقال : الفتاةُ التي كانت نائمةً بجانبى ، على سريري هذا . طولَ الليل ، فقال : إن البابَ مُقْفَلٌ ، وأنا نائمٌ أمامه ، وأنت الذى فتحتَه بيدك ، بعد نُهوضِكَ . فكيف دخلتُ فتاةً عليك ، ونامت بجوارك ؟ لعلَّ ذلك رؤيا واضحة وضحَ فلقِ الصبحِ نخلتها حقيقة واقعة فضرب كفاً بكفٍ وقال : حتى الخادم يلبس على سيده الوقائع ، ويُدخلُ في نفسى رأيا فيما رأيتهُ بمعنى ، ولستُهُ ييدى !! وربَّ السماء

والأرضِ لأَعَذِّبَنَّكَ عذاباً شديداً ، أو لَأَقْتُلَنَّكَ ، أو لَتَأْتِيَنَّكَ بِناءُ هذه الفتاة .

ووجدَ الخادمُ في قوله صدقَ العزم . وبقينَ التنفيذ ، فاعتصم بالكذب ليُفَرِّقَ به من بين يديه إلى أبيه ، فقال : أَسْمَحْ لِي يَا سَيِّدِي أَنْ أُؤَدِّيَ فريضةَ الصبح ، وأَقْضِيَ حقَ الله ، ثم أجلسَ بين يديكَ فَأَقْصَّ عَليكَ من أمرِ الفتاة كُلِّ ما رَأَيْتَ ؟ فقال : لك ذلك ، فاذْهَبْ وَاثْنِي عَلَى عَجَل . وما كادَ الخادمُ يُعْطِي القاعةَ ظَهْرَهُ ، حَتَّى اسْلَمَ إلى الرِيحِ سَاقِيَهُ ، وما هِيَ إِلَّا غَمَضَةُ عَيْنٍ حَتَّى كَانَ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ مَبْهُوراً ، يَتَمَلَّلُ خَوْفاً وَفَزَعاً . فقال الملكُ : تَكَلِّمْ ! ماذا جَرَى لابْنِي حَتَّى جِئْتَنِي عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الرَّهِيْبَةِ ؟ تَكَلِّمْ !

فقال : يَبْدُو لِي أَنَّ سَيِّدِي قَرَّرَ الزَّمانَ ، قد أَصَابَهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ المَوْحِشِ مَسٌّ مِنَ الْجُنُونِ .

فقال الملكُ : وَكَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟

فَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَادِمُ قِصَصَهُ .

فالتفتَ الملكُ إلى وزيره ، وكان جالسا معه ، وقال في حِدَّةٍ مِنْ الغَضَبِ : هَذَا رَأْيُكَ الَّذِي قَضَيْتَ بِهِ عَلَى وَلَدِي ، قُمْ الْآنَ إِلَيْهِ ، وَاثْنِي بِنِباءٍ يَقِينٍ ، نَفْرَجِ الْوَزِيرَ وَهُوَ مُشَرَّدُ الذَّهْنِ ، ذَاهِبِ الْقَلْبِ ، يَتَعَثَّرُ فِي أَذْيَالِ خَوْفِهِ ، حَتَّى كَانَ فِي حَضْرَةِ قَرَارِ الزَّمانِ ، وَبَعْدَ أَنْ حَيًّا وَسَلَّمًا ، قَالَ : لَقَدْ أَخْبَرْنَا الْخَادِمَ أَنَّكَ أَنْذَرْتَهُ عَذَاباً قَرِيباً ، أَوْ قَتْلًا رَهِيْبًا ، إِنْ لَمْ يَذْكُرْ

لك ما يعرفه عن الفتاة التي نامت هذه الليلة بجوارك ، وقد جئتُ إليك
لأُنبِّئك أن شيئاً من ذلك لم يكن .

فقال قمرُ الزمان : لئن سَوَّلْتُ للخادم وضاعةً نفسه أن يكذب ،
فكيف يَسُوِّغُ للوزير أن يُجَارِيَ الخادمَ في كذبه ، ومَهَانَةِ نفسه ، إن
هذا لَهُوَ الإثمُ المبين .

وهمَّ بالوزير أن يضربه ، فلجأ إلى الحيلة . لِيُنَجِّيَ نفسه وقال : أتريد
تلك الفتاة نفسها ؟

فقال : نعم وأخبرَ أبى الآن أَنِّي أَطعته ، وأبني الزواجَ من هذه
الفتاة عينها .

فوجد الوزيرُ في قوله هذا مَنجاةً له ومخلصاً ، فقال : الحمد لله الذي
وَقَّكَ إلى طاعة أبيك ، وسأُبشِّرُه الآن بهذا النبأ العظيم ، ليحقق بُعْيَهُ
طالما تَمَنَّاها ، لولا إعراضك وصدُّك ، فقال : قم الآن إلى أبى ، على أن
ترجع بما استقرَّ عليه رأيه .

وكان الوزير في حضرة مليكه ، فأخبره أن قد أصابه مَسٌّ من الجنون ،
فَقَفَّ شعرُ رأسه من هول ما سمع ، وقال : ومن سَوَّى ابني بشرّاً سَوِيّاً ،
لئن أُصيب بمكروه في نفسه أو بدنه ، لأُضربنَّ عَنْقَكَ ، على ملا من
الناس ، حتى تكونَ عِبرةً لأولى الأبصار ، فهذه آراؤك في ابني ، حَمَلْتَنِي
عليها فلم نَجْنِ منها إلا الضَّرَّ والأذى ، ونهض الملك قائماً ، وذهب إلى
ابنه في قاعته ، ووزيره في صُحبته ، فاستقبلهما استقبالا كريماً ، يفيضُ

أدباً وطاعة . وإعظاماً وتَجَلَّةً ، وتَبَصُّرةً وحكمةً ، وأجلسَ الملك ابنه على سريرهِ بجانبهِ ، وجعلَ يَتَلَطَّفُ في القول ويسأله :

لعل حَجَرَكَ في هذا المكانَ المَظْلَمَ المُنْقَطِعَ ، أنساكَ الأَيَّامَ وذَهابها ، فلا تعرف اليومَ من غَدِهِ وأُمْسِهِ .

فقال قمر الزمان : حاشَ لله أن أكونَ من الجاهِلين ، إن يومنا هذا كذا وغدا كذا ، ونحن في شهر كذا ، يتلوه شهر كذا ، وجعلَ يذكر الأَيَّامَ بِأَسْمائها والشهورَ بِأَعْلَامِها ، ولم يُخْطِئْ في شيء مما يقول .

فنظر الملكُ إلى وزيره نظراً شَرَّراءَ ، أَلْهَبَتْ جَوَانِحَها ، وأطارت لَبَّةً . ثم التفتَ إلى ابنه قائلاً : وما رأيكَ في هذه الفتاة التي زَعَمْتَ أنها باتت ليلَةً بِجِوَارِكَ ؟ فقال : كلُّ ما سمعته عنها حقٌّ لا مراءٍ فيه .

فقال والده : ربَّما كان ذلك حاملاً بالغَ من وضوحه في نفسِكَ مَبْلَغُ الحَقِيقَةِ ، خَلِئْته أُمراً واقِعاً لا ريبَ فيه ؟

فقال قمر الزمان : هل سمعتَ أن أحداً رأى في منامه أنه يُقاتل بِسيفه ، ثم استيقظَ فوجدَ سيفه مُلَوَّناً بالدماء ؟

فقال والده : ذلك ما لا يكون .

فقال قمر الزمان : ولقد حصلَ من أمر الفتاة كلُّ ما وصلَ إلى عامِكَ في اليقظة ، وَحُجِّبَتْ في صِدْقٍ ما بَلَغَكَ أَنِّي أخذت خاتَمَها ، وأخذتُ مني خاتَمي ؛ وهما هو ذا خاتَمُها في إصبعي ، ومدَّ يده إلى أبيه ، فألقى خاتَمَها في خنصره فقال :

لقد وقفتُ الآن على صحَّةِ قضيتك، وسلامةِ عقلك ، وإنها لمعجبةٌ
لا نستطيع لها تأويلاً، وليس لنا إلا أن ندعها لله رب العالمين . الذى
لا يُجَلِّها لوقتها إلا هو .

وبعد سكّنة قصيرة قال قمر الزمان ؛ وإني أثبتك ما فى نفسى ،
وأعلن فى صراحةٍ من القول : أنَّ قلبى قد تعلّق بها ، وارتبطت حياتى
بوجودها ، فأما جُنتى بها ، وإلا فقد حقَّ على الشقاء ، الذى قد ينتهى
بى إلى عاجل الفناء .

فقال الوزير : يحسن أيها الملك أن تنقلَ قمر الزمان إلى قصرِكَ المطلِّ
على البحر ، وتَعَكِّفَ على صُحبته وإيناسه ، وتجعلَ له يومين فى
الأسبوع للإشراف على شئون ملكك ، حتى يأذن الله بفرج من عنده ،
ويهدينا إلى السبيل السَّوِّى ، فى هذا الشأن الجليل .

وعاش قمر الزمان فى القصر مع أبيه ، عيشة تفكير وقلق ، وضعف
وتُحوّل ، واضطراب وذهول ، ودَبَّ فى جسمه الهزال ، وفى قوته
الانحلال ، فأصبح نهوضه كنهوض الكسيح ، لا يقوم إلا ليقع ،
فأسلمَ إلى الفراش جَنَّبَه ، وأنغمضَ عينيه .

(٣)

طلع النهار ، وهبّت بُدُورٌ من نومها ، فلم تُلفِ الفتى بجانبها ، فنظرت
فى حجرتها نظرة فاحصة ، هنا وهناك ، فلم تجدْ له أثراً — وكان قد أذهلها

جماله ، وقت أن كانت يجانبه ، فحبس حبسها عليه ، فلم تشعر أنها في غير حجرتها ، وأنها على سرير غير سريرها — أتتكر حبسها ، وتكذب عينها ، وهذا خاتمته يتألق في خنصرها ؟ ! ! فصرخت صرخة مُدَوِّية ، أفزعت العجايز ، فأهرعن إليها ، وأحطن بها ، فهذه تمسك إحدى يديها ؛ وتلك تمسك يدها الأخرى ؛ وثالثة تمسح على إحدى رجلها ، ورابعة تمسح على رجلها الأخرى ؛ وهذه تربتُ على صدرها ؛ وتلك تسند رأسها ؛ أما كبراهن فقد جعلت تدعو لها بالسلامة ، وتذهب روعها ، وتهدئ بالها ، ثم قالت السيدة بدور :

إلكن عني ، أين الفتى الذى كان نائماً بجوارى ، وهذا خاتمته فى خنصرى ؟ !

فقال العجوز : سلمك الله من كل شر ، مادخل أحد هذه الحجرة أبداً .

فقال : كبرت سنك ، وأشرفت على آخرتك وتكذبين ! وقامت إلى سيفها ، وأطارت به رأس العجوز ، فقزعت بقية العجايز ، وطرن إلى أيها . وأخبرنه ما كان من أمر ابنته ، وقتلها كبراهن ، فخنق إليها ، وألقاها مُصرّة على قولها ، وكان من ضعف الملاحظة ، ومجهود البديهة ، والتسرع فى الحكم ، بحيث أيقن أنها مُعتلة ، فأمر أن تُربط فى سلسلة إلى شبك بالحجرة ، حتى يأمنوا شرها

وعزّ عليه أن يتركها على هذه الحال ، فأمر أن يُحضّر المنجمون

والحكاء ، ليقوموا بعلاجها ، وإبرائها مما أصابها . وجعل لمن يكون
بُرْؤها على يديه ، زواجه منها ، وإقطاعه جزءاً من ملكه ، يكون والياً
عليه ، وصاحب الأمر النافذ فيه ، ومن حاول شفاها ولم يُوفَّق ضرب
عُنُقَه ، وعُلِقَ رأسه في الساحة العامة ، أمام قصره .

وأطاح في سبيل ذلك بأربعين رأساً ، وبنته لا تزال في اضطراب من
حالتها ، وشذوذ من أمرها ، وبكاء مرير أغلب وقتها ؛ ثلاث سنين دأباً ،
وما رَقاً لها جفن ، ولا استقرت بها حال .

وكان لها أخ من الرضاع يُسمى مرزوان ، يحبها محبة أخوة شقيقة ،
ويعطف عليها عطفاً بريئاً ؛ غاب عنها في أسفاره وتجوّاله مدة طويلة ؛
ولما حضر سأل أمه عنها فأخبرته مصيرها ، وما هي فيه من بُؤس الحال ،
ولزوم الدار ، وبليلة القلب ، واختلال اللب ؛ فرغب في لقاءها ، عسى أن
يجد عنده ما يُنجيها من بلواها ، فعمدت أمه إلى حيلة تُمكنه من الوصول
إليها ، فألبسته ثياب فتاة ، وكان ممشوق القوام ، لم يُخط له شارب ؛
وذهبت به إلى القصر الذي هي فيه ، وقالت للخدم :

هذه ابنتي ، نُشئت مع السيدة بدور ، وترغب في زيارتها ، ثم ترجع
لساعتها ، فإذا منّتم بذلك عليها ، كان لكم عند الله خير الجزاء .

فقالوا : ليكن ذاك في الليل بعد أن يغادرها الملك إلى مضجعه .

ولما جاء الليل ذهبت به إلى القصر ، ودخلتا على السيدة بدور ، وهناك
عرفتها بنفسه ، فعرفته ، وأنبت به ، وقصّت عليه قصتها ، فقال لها :

لا تجزعى واصبرى . وسأخرج من عندك باحثاً فى كلِّ مكان ، جائلاً
فى كلِّ بلد . حتى آتيت بهذا الفتى ، إن شاء الله تعالى . فشكرت له
حَدَبه عليها ، واهتمامه بشأنها .

(٢)

ركب مرزوان كل سبيل ، ودخل كل مدينة ، وأمَّ كلِّ مكان ، حتى
كان بمدينة طَيرب ، وهناك سمع عن قر الزمان وما أصابه ، فسأل عن بلده ،
فقال جزيرة خالدان ، وبينك وبينها مَسِيرَةُ شهر فى البحر ، فركب إليها
المركب مع المسافرين ، وما كاد يُشرف على الجزيرة ، حتى هَبَّتْ رِيحٌ
عاصفةٌ ، فهاج البحر وماج ، وابتلع المركبَ بن فيه ، ولكن مرزوان
استطاع بِقُوَّتِهِ ، وقدرته على السباحة ، أن يصارع الموجَ ، آخِذاً سِمَتَهُ
إلى القصر الذى فيه قر الزمان ، فجعل يكْدُ ويدأب ، وينطس ويطفو ،
حتى أشرف على القصر ، فى حال تتفجَّر لها القلوبُ رحمةً .

رآه الملك والوزير وهو يغالب الموجَ ، والموجُ يغالبه ، فأشفقا عليه ،
وأُسرَّ الوزير إلى الملك أن ينزل إلى الشاطئ ، ويأمرَ بإنقاذه ، عسى أن
يجعل الله الخير على يده ، لقاءَ تَنجِيَّتِهِ فقال الملك : ذلك واجبٌ ، وإن لم
يكن لنا عنده حاجة .

وخرج الشابُّ من البحر فى حالةٍ إغْياءٍ وذُهُولٍ ، فأسعفه الوزير
وألبسه ثياباً أخرى ، وعمامةً من معائم غلمانته ، وأطعمه وسقاه . ثم قال له

لقد كنتُ سبباً في نجاتك ، فلا تكنُ سبباً في هلاكى : وحكى له
ما كان من أمرِ قر الزمان ، ووصّاه أن يجانبَ اللّغو ، والألّا يَقْفُوَ ما ليس
له به علم ، حتى يخرج من هذا القصر سالماً ، فشكر له مرزوان جميل
عطفه ، وقال في نفسه :

هذه أُمِّيَّتِي ، سافني إليها ربى .

ثم قام الوزيرُ إلى مجلسه من الملك وابنه ، وما كاد يجلس حتى رأى
مرزوان واقفاً بجانبِ قر الزمان يُحدِّقُ فيه النظر ، ذاهباً جائياً ، فاشتعل
قلبُ الوزيرِ غيظاً ، وجعل يطرده بنظراته . فلم يلتفتُ مرزوانُ
إليه وقال :

سبحان باريّ النّسم !!

سبحان من ليس كمثله شيء !!

سبحان من أنشأهما فسوّاهما مُتَشَابِهَيْن . فجعل قَدَمُهُ مثل قَدَمَها ،
وَوَجْهَهُ كَوَجْهِها ، وَلَوْنَهُ مثل لَوْنِها !!

فلوى قر الزمان وجهه إلى ، مُدِرِ هذا الفول . وشخص بصره إليه ؛
وفي صوتٍ خافت لا يكاد يُبَيِّن . رجاً من والده أن يجلسَ هذا الشابُ
بجانبه ، فاستحال غضبُ الجالسين على مرزوانِ رضواناً وغبطةً ، وكاد
الملكُ يَحْتَضِنُهُ إلى صدره ، وأجلسه حيث أراد قر الزمان ؛ فأسرَ مرزوانُ
في أذنيه : أن أبعثُ في نفسك راقداً الأمل ، واعتصمُ بعزمِ الشباب ،
وصبر البطولة ؛ فإنَّ حالها من أجلك حالك ، وأمرها لغيرك أمرٌ . ولم

تستطع على فراقك صبرا ، فثارت في بيت أبيها ثورة خطيرة ، وهى الآن موثقة بسلسلة حديدية في شباك حُجرتها ، ولا يُفكُّها من أغلال ثورتها وبؤسها وسجنها إلا لُقياك ، وسيكون هذا على يدى بفضل الله وعونه .

فترق وجه قمر الزمان حياةً وبهجة ، وتحركت أعضاؤه من سكون ونشيط من خمود . وقال فى بيان واضح :

أجلسونى بجوار هذا الفتى العزيز ، وما كاد يجاسُ حتى افّ مرزوان بذراعه ، وضمه إلى صدره ، وقبّله ، فازداد مرزوان فى نفس الملك عزّة ومحبة ، وحلّ فى نفسه محل الغاية من الحياة . وقال له : لقد وجدنا فى طاعتك برد السرور ، ونشوة العافية ، فاهنأ بمقامك فينا . فأتت أعزُّ مَنْ يحتويهم قصرى . وكان وقت العشاء قد حان ، فأمر بإطعامه وإكرامه

وجاءت المائدة فتوسّطت الشابتين ، وطعما هنيئاً ؛ وشرباً مريئاً ؛ فعمّ الفرخُ القصرَ حتى أصبح أشبه شئ بأعشاش الربيع ، كلّها مُناغاة وهديل وهزّج .

بات الملك معهما فى حجرتهما ، سروراً بهما ، ولما تجلّى النهارُ وخلا بهما مكانهما ، جعل مرزوان يُحدّثه عن بدور ؛ وكيف أنها لم تُطقْ صبراً على فراقه ؛ وكيف زارها ، ووعدّها أن يجمع بينهما ؛ وكيف خاطر بحياته فى سبيل ذلك ؛ وحبّب إليه أن ينشّط من عقال هزاله ، ويفرّ من ضيق ضعفه ، باللعب والمرح ، والطعام والشراب ، حتى يُصبح مشبوب العزم ،

شديد المثة، قوى الجلد، ثابت الجنان، فيكون له من كل أوائلك زاد
للسفر، وعدة للرحيل؛ وذلك قد كان .

عزم مرزوان على الرحيل . فقال لقمر الزمان : استأذن والدك أن
تغيب عنه ليلة واحدة، للصيد في البرية . وخذ معك من المال والزاد،
ودواب الحمل والسفر ما يكفينا مسيرة ثلاثة أشهر، فاستأذنه فأذن له ،
بعد أن أكد موثق عودته . وعدم غيابه أكثر من ليلة واحدة .

وخرجا راكبين فرسين . ومعهما جملان ؛ أما أحدهما فإنه يحمل
مالاً، وأما الآخر فإنه يحمل ماء، ودام بهما الرحيل يومين .

وفي مكان فسيح، تُشرف عليه أجمة كثة (الأشجار) تبوءاً منزلاً
فيه، يأكلان ويستريحان، وقام مرزوان، فذبح جلاً، ومزقه إرباً إرباً،
وقطع ثياباً له، وثياباً لقمر الزمان، ولوثها بالدماء، ورامها في الخلاء ؛
ولما سأله قمر الزمان عن ذلك قال : إن أباك ستثقل عليه غيبتنا ،
ويستبطن عودتنا، فيجذ في طلبنا ، مُتَفِيئاً آثارنا، حتى إذا ما وصل إلى
هذا المكان، ورأى آثارنا هذه فيه، علم أن وحشاً طلع علينا، ففتك بنا،
وحينئذ ينقطع رجأؤنا، فلا يتبعنا، ويعوق سيرنا، ويحول بيننا
وبين الوصول إلى فتاك بدور .

فقال : حسنا فعلت ؛ ولا حرمتنا الله شديد رأيك، وعظيم عونك .
وبعد أن استوفيا حظهما من الراحة، جدّا في السير، حتى انتهى بهما إلى
مدينة مشرفة على بحر من ورائه جزيرة الملك والد بدور، وعلى شاطئه

حاضرة مُلْكِهِ : فباعا ما معهما من دواب ، وأخذ ما خفَّ حَمْلُهُ من مال ومتاع ، واستقلَّا مركبًا إلى المدينة . وهناك تَزَلَّا في خان منها ثلاثة أيام ، وفي أثناءها أفهمه مرزوان أن والدَ حبيبته بدور جعل لمن يَشْفِيها ، زواجه منها ، وإقطاعه جزءاً من مُلْكِهِ ، وأنت ستختفي في زِيٍّ مُنَجَّمٍ ، وتذهب إليها ، لتُبرِّئها — بحكمتك — من عِلَّتِها فإذا ما شعرتُ أنك أنت حبيبها ، ذهب عنها كلُّ مكروه ، ووصلتُ إلى بُغْيَتِكَ .

فقال : وإني لك شاكرٌ ومُطِيع .

(٥)

لبس قرَّ الزمان ثيابَ المنجِّمين ، وحمل معه كتاباً وقراطيس ومِجْرَة وبعضاً من الرمل ، في كيس : وجعل يدور حول القصر منادياً :

« أنا المنجِّم الحاسب ، أقرَّب المطَّالِب ، وأحقِّق الرغائب ، وأظهر العجائب ، فأين الطالب ؟ . »

وما كاد الناسُ يطرقُ آذانهم نداؤه ، وقد طال عهدُهم باختفاء المنجِّمين ، حتى حفوا من حوله ، يحذِّرونه المصيرَ الأليم ، ويُنذرونه القتلَ المحتومَ ، ويقولون له ، هذه رعوسُ رجال فعلوا فَعَلاتِكَ ، فأعرض عن هذا ، ولا تُلْقَ بيدِكَ إلى التَّهْلُكَةِ ، فإنَّكَ لا محالة من الهالكين ، وخير لك أن تنجوَ بحياتِكَ ؛ فما زاده ذلك إلا إصراراً ونداء .

« أنا المنجِّم الحاسب ، أقرَّب المطَّالِب ، وأحقِّق الرغائب ، وأظهر

العجائب ، فأين الطالب ؟ أين الطالب ؟

سمع الملكُ هذا النداء ، فأمر أن يحضرَ صاحبه ، فلما رآه بهره جماله ،
ورغب أن يُبقَى عليه ، فقال : إن لم تُبرئها قتلُك ، وليس لك من شفيع
يُطاع ، فلا تظلمُ نفسك ، ولا تسعَ إلى حَتْفِكَ ؛ فقال قر الزمان : أشهدُ
على مَنْ تريد ، فأني واثقٌ بنفسى ، والله نصيرى وعونى .

أخذ الخدم قر الزمان ، وأوقفوه أمامَ الباب ، وخلفَ الستارة ،
فقال قر الزمان ! أى الأمرين أحبُّ إليكم : أشفى سيدتكم وأنا فى مكانى
هذا ، أم أدخل عليها وأشفيها ؟ فدهش الخدم ، وقالوا : نظن أن أفضل
الأمرين فى إظهار براعتك ؛ أن تُبرئها دونَ أن تراها ؛ فجلس قر الزمان
وكتب فى القرطاس :

« سلامى إلى حبيبتي السيدة بدور ، أنا حبيبك قر الزمان ، صاحبُ
الليلة السعيدة ، التى ضَمْنَا فيها فراشَ واحد ، ثم فرقت بيننا الأيام ،
وهذا خاتمُك آيةُ صدق ، وشاهدُ معرفتى . »

ثم طوى القرطاس ، بعد أن وضع فيه خاتمَها ، وقال لأحد الخدم :
ناول سيدتك هذا .

وما قرأته بدور ، ورأت خاتمَها ، حتى فار جسمُها حياةً وقوةً ، وشعَّ
بهجةً ومسرةً ، ففكت أغلالها وجرت إليه فى مكانه ، وألقت بنفسها
فى أحضانه .

خفَّ أحدُ الخدم إلى الملك ، فقَبَّلَ الأرضَ بين يديه ، ونورُ الفرح

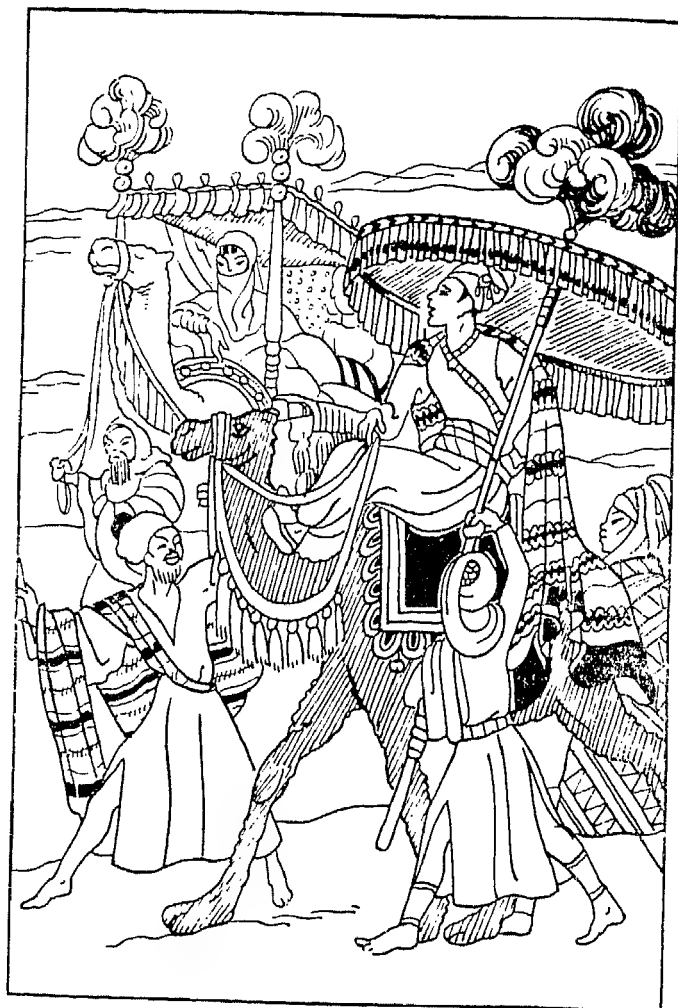
يشيع من عينيه وقال : إن هذا المنجم يا مولاي أعلم من في الأرض من المنجمين ، فقد شفى سيدتى ، وهو خلف الستارة ، دون أن يدخل عليها ، وإن أردت أن تستوثق من قولى ، فتفضل إليها ، وستجدها جالسة بين يديه ، تتحدث فى سرور إليه .

فلما رآها أبوها جالسة تتحدث إلى قر الزمان فى عافية ، فرح بها ، وقبلها بين عينيه ، وقال : لقد منَّ الله علينا بهذا المنجم الخبير ، وكم كنت أسفًا على شبابه وجماله ، لو أنه خاب سعيه وقتلته ، ثم سأله : من أنت ؟ ومن أى البلاد جئت ؟

فقال : أنا قمر الزمان بن الملك شهرمان ، وسأقصُّ عليك قصصنا ، جعل يقص عليه من أنبائه وأنباء ابنته بدور العجب العجائب .
فأحضر الملك القضاة والشهود ، وزوجه من ابنته ، وأقام الأفراح فى أنحاء المدينة ، سبع ليالٍ وثمانية أيام سويًا ، وأقام معها فى قصرها يتفياح من النعيم ظلًا ظليلا .

ثم أمر الملك بإحضار مرزوان ، أخى ابنته من الرضاع ، فشكروا له نعمته ومنحوه مالا كثيرا ، وودعوه فى حفاوة وتبجيلة ، وتركوه يذهب إلى أمه التى لم يرها من زمان .

وبعد شهر من زواجه أوزيد ، رأى قمر الزمان فى المنام ، أن والده كاسفُ الوجه ، هزيلُ الجسم ، منكئُ اللون ، يكاد من الوهن والهَمُّ يخرجُ صريحا ليديه وفه ، ويتحدث إليه مخفوض الجناح من رحمته ، نائبا



عليه فعلته معه ، وهَجَرَهُ إِيَّاهُ ؛ فقام من نومه في أُنَاتِ السَّقِيمِ ، وَخَلَجَاتِ
الْجَنَاحِ الْمَهِيضِ ، وقصَّ على زوجه رؤياه ، فاتفقا على السفر إلى أبيه ،
واستأذنا في ذلك الملك ، فأذن لهما على أن يعودا إليه بعد سنة كاملة .

وهيئاً لهما كل ما يحتاجان إليه ، وأمدَّهما بال وفيرٍ وأغاطٍ من الخدم
والأعوان ، وسار جميعهم قرابة شهرٍ ، حتى نزلوا بمرج فسيح ، فضربوا
فيه خيامهم ليأخذوا قسطنهم من الراحة .

وذات يوم دخل قمرُ الزمان على زوجه في قُبَّتِها ، فالتى حول خصرها
نطاقاً ، استهواه جماله الباهرُ ، فخلَّه فوجد ثنياه قد خيَّطَتْ على فُصٍّ
أحمر اللون وعليه نقشٌ لا يقرأ ، فأعجبه شكله ، وقلبه في ضوء الشمس
ليتبينه ، وبينما هو يقلِّبه في كفِّه ، ويتأملُه ، إذ انتفضَّ عليه طائرٌ ، فخطفه
وطار به ، فجرى قمرُ الزمان وراءه ، ولسكن الطائرُ كان يطير ثم يحط ،
بالتدر الذي يُطِمِعُه في اللحاقِ به ، وما زال الطائرُ يطيرُ ، وقمرُ الزمان
من خلفه ، حتى جنَّ الليلُ ، وأعياء الجرى ، فخطَّ الطائرُ على شجره ،
ورأى قمرُ الزمان أنه لا يستطيع العودةَ ، فنام تحتها ، ولما طلع النهارُ
استأنف الطائرُ طيره ، على قدر مشى قمر الزمان في طلبه ، إذ عاقه تعبُ
اليوم السابق عن الجرى ، فمجب من ذلك الطائرُ الذي يطيرُ ويتناقل ،
ويسرعُ ويحطُّ ، على قدر ما يجري هو ويعشى ويحلس ؛ فاستمر في متابعتها ،
حتى يقف على ما خفي من أمره .

وبعد بضعة أيام أشرفا على مدينةٍ ؛ فمرَّ الطائرُ من فوقها مرور السهم ،

وغاب عن ناظره ، فدخل قمرُ الزمان المدينة من باب البحر ، وما زال سائراً لا يلقاه فيها إنس ولا جان ، حتى خرج منها دالفاً من باب البحر ، إلى بستانٍ تجمعت فيه محاسنُ الربيع ؛ فوقف على بابه ، ولما رآه البستانيُّ أذن له بالدخول سريعاً ، قبل أن يراه أحد من أهل تلك المدينة ، وبعد أن حياه ، حمد له الله الذي نجاه من تلك المدينة الظالم أهلها الذين مجسوا وأشركوا ، ثم استنبأه كيف وصل إليه ؛ فأعلمه ما جرى له ، حتى كان في حضرته .

حنا عليه البستانيُّ ، ورثى لحاله ، وقال : إن يبتك وبينَ بلاد الإسلام مسافاتٍ بعيدةً ، ولا يُقلع إليها من هذا المكان إلا مركبٌ كل سنةٍ ، ومن الخير لك يا بني أن تقيمَ ممي ، تراول بعض الأعمال التي لا تنوء بها في هذا البستانِ ، على أن تسافرَ في أول مركبٍ يبرحه إلى موطنِ المسلمين ؛ وهناك يكفلك الله ويرعاك ؛ فلم يرَ قمرُ الزمان مفراً من أن يرضى صابراً مستعيناً بربه .

(٦)

نهضتُ بدورٍ من رَقدِها ، وطار النومُ عن عينيها ، فلم تجدْ نطاقها حولَ خصرها ، وعثرت يدها عليه يجانها ، فتناولته في لهفةٍ ، وجست مكانَ الفصِّ الأحمرِ فلم تجدهُ ، فنبتَ في وهما أن شيئاً خطيراً وقع ، وطلبتُ زوجها قمرَ الزمان هنا وهناك فلم تجدهُ له ريحاً ، قَبَعَتْ في

قوتها ، وانزوت في خيمتها ؛ تفكر وتدبر ، وتقدر وتبرم ، وتقيس وتقطع ، وتمحو وتثبت ، حتى انتهى بها الرأي إلى أن تخفى عن حاشيتها فقد زوجها ، ووجدت من تماثلها في الخلقة ما يحكم لها خطتها ، وتصيب بجيلتها هدفها ، فلبست ثياب زوجها وعمامته ، وتقلدت سيفه وعدته ، وقامت فيهم آرة ناهية ، حاكمة قادرة سائرة على نهجه ، ناسجة على منواله ؛ فما أحسوا له فقدوا ، وما اقتقدوا له أثرا ، وأذنت فيهم بالرحيل ، بعد أن احتجزت أخص الجوارى في محفها ، لتقوم بخدمتها أيام محنتها ، ودأبوا على السير ، حتى كانوا أمام مدينة الأبنوس ، فضرروا خيامهم ، وأقاموا ليستريحوا .

وطار نبأ وصولهم ، وإقامتهم ، إلى أرمانوس ملك المدينة فأوفد إليهم من يتعرفهم ، فقيل : إنه ابن ملك ضل السبل ، فاهتم الملك بأمرها ، وذهب إليها في حاشيته ، فسلم وحيا : ولقي من مظاهر الاجلال وسمو الاستقبال ، وكريم اللال ما أعظمها في عينه ، واضطره أن يكرم منزلها ؛ فنقلهم إلى قصره ، وأثرهم فيه منزلا طيبا كريما ، وكان لا يمر يوم من أيام ضياقتهم إلا ازداد الملك إعجابا بها ، وإقبالا عليها ، وهو لا يعرف شيئا عن حقيقتها .

وذات يوم جلس الملك إليها ، يذكر الصبا ونصرته ، والشباب وزهرته وما آل إليه هو من تعمير ، وتنكيس في الخلق ، وأفن في الرأي ، وعجز في الحيلة ، وحرمان من ولد يكون خير ظهير له في حياته ،

وَيَرِيْهِ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِقُدُوْمِكَ أَيُّهَا الْوَلَدُ الْعَزِيْزُ ،
فَلَوْ رَأَيْتَ أَنْ تَلْبَسَ فِينَا ، زَوْجَتُكَ مِنْ ابْنَتِي «حَيَاةِ النُّفُوسِ» . وَنَزَلْتُ
لَكَ عَنْ مَلِكِي ، وَعِشْتُ بِبَيْنِكُمَا وَالِدًا ، أَنْعَمُ بِمَا أَتَمَّا فِيهِ مِنْ مَوَدَّةٍ
وَرَحْمَةٍ ، وَعَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ مِنْ حَيَاتِي .
فَأَجَابْتَهُ بِدَوْرٍ :

أَلَيْسَ لَا بَنَاتِكَ ابْنُ عَمٍّ أَوْ قَرِيبٍ ، فَيَكُونُ أَوَّلَى بِهَا ، وَأَحَقُّ
بِمَلَكَكَ مِنِّي ؟ !

فَقَالَ : لَيْسَ لَهَا ابْنُ عَمٍّ ، وَلَا أَرَى قَرِيبًا أَجْدَرَ بِهَا مِنْكَ ، عَلَى أَنْ
الْعِلْمُ صَلَاحٌ ، وَالْعَقْلُ الْحَازِمُ وَشَيْجَةٌ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ نَسَبٌ وَقَرَابَةٌ ، وَأَتَمَّا
ابْنَا مَلَكَينَ ، وَرَبٌّ أَخٌ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ ، وَرَبٌّ وَلِدْتُ لَمْ يَكُنْ مِنْ
صُلْبِكَ ؛ وَقَدْ رَأَيْتُ اسْكَمَا كُلَّ أَوْلَئِكَ ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ ، فَلَا تَرَدُّ نِعْمَةً سَيَقَتْ إِلَيْكَ ، وَلَا تَدْفَعُ فَضْلًا أَسْبَغَهُ رَبُّكَ عَلَيْكَ ،
وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ يَشَاءُ .

فَقَالَتْ لَكَ ذَلِكَ ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ .

تَبَوَّأتُ «بَدْوَر» عَرْشَ الْمَلِكِ ، وَبَنَيْتُ بِحَيَاةِ النُّفُوسِ ، بَيْنَ مَظَاهِرِ
الْفَرَحِ ، وَمَوَاعِلِ الزَّيْنَةِ الَّتِي شَمِلَتْ الْبِلَادَ ، وَخَفَقَتْ أَعْلَامُهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ .
وَجَاءَ اللَّيْلُ ، وَدَخَلْتُ بِدَوْرٍ عَلَى حَيَاةِ النُّفُوسِ فِي مَقْصُورَتِهِمَا ،
فَتَعَانَقَا ، وَقَبَّلَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ؛ ثُمَّ نَهَضْتُ بِدَوْرٍ إِلَى الْعَصَاةِ ،
فَجَعَلْتُ تَصَلِّيَ ، وَتَصَلَّى ؛ وَحَيَاةُ النُّفُوسِ مُتَلَفَعَةٌ بِفَضْلِ حَيَاتِهَا ؛ تَنْتَظِرُ

وتتظيرُ، حتى غلبها النومُ، وغابَ بها عنِ الوجودِ اليقظِ .
ولما علمتُ بدورُ منها ذلكَ، فرغْتُ من صلاتها، ورقدتُ بجانبها،
واستسلمتُ إلى النومِ حتى الصُّباحِ؛ ثمَّ نهضتُ بدورُ في همّةٍ وثّابةٍ،
فصرفتُ زمامَ الحكمِ، وقضتُ بين الناسِ بالحقِّ، وأشاعتُ العدلَ،
وبعثتُ مشروعاتٍ إصلاحيةً كبيرةً، وأُخيتُ ميّتَ النّشاطِ في إدارةِ
الشُّئونِ؛ ثمَّ رجعتُ إلى مقصورتيها، وكان منها معَ حياةِ النفوسِ
ما كان في الليلةِ السّالفةِ .

وذهبَ والدُّ حياةِ النفوسِ إليها، صَباحَ ليلةِ زفافِها، يُهنئُها ويسألُها
عن حالها معَ زوجها، فقالتُ: ما رأيتُ أكثرَ حياةٍ وتديناً وتهدأً
منه، وقصّتُ عليه ما كانَ .

ومضتُ ثلاثَ ليالٍ مُتتابعاتٍ، والحالُ لم يَغتَيرْ، فأقسمَ أبوها إن
لم يَفتَرِعْ بنتَهُ ويدخلُ بها لأَقْلَنَّهُ، ولأَجْعَلَنَّهُ طعاماً لِأَوْحَشِ الطيرِ :
وفي الليلةِ الرَّابعةِ بَلّغْتُ « حياةِ النفوسِ » زوجها، ما كانَ من
غضبِ أبيها وعزمِهِ وتوعُّدِهِ، فجلستُ بدورِ إليها، وقصّتُ عليها
قِصَّتَها، وكشفتُ لها عن حقيقتها؛ وقالتُ: والآنَ حياتي بين يديكِ،
فلو احتسبتُ لكِ عندَ اللهِ أجراً عظيماً، وعندي فضلاً كبيراً، كَتَمْتُ
أمرِي، حتى أَلْتَقِيَ بَقَعْرِ الزَّمانِ رَوْحِي، فهو الآنَ في سبيلِهِ إلينا، إذ ليس
له طريقٌ في اتِّجاهِهِ إلا هذا الطريقَ الذي جاءَ بي إليك، وأرجو من اللهِ
أَنْ يَقِيَهُ شَرَّ البلاءِ، حتى يَجْمَعَ شَمْلَنَا، وَيُوَحِّدَ بَيْنَنَا .

فَقَالَتْ « حَيَاةُ النُّفُوسِ » : لَيْسَ أَعْظَمُ عِنْدِي مِنْ هَذَا الصُّنْعِ الْجَمِيلِ ،
وَأَنَا لَكَ كَمَا تَرِيدِينَ ، فَطَيَّبِي نَفْسًا ، وَقَرَّيْ عَيْنًا ، وَنَهَضْتُ إِلَى دَجَاجَةٍ
فَذَبَحْتُهَا ، وَلَطَخْتُ قَمِيصَهَا بِدَمِهَا ، وَنَامَتَا مُتَعَاتِقَتَيْنِ مُتَأَلِّفَتَيْنِ .

وَفِي الصَّبَاحِ ذَهَبَتْ بِدَوْرٍ إِلَى شَأْنِهَا ، تُصَرِّفُ زَمَامَ مُلْكِكِهَا ، وَجَاءَ
أَبُو حَيَاةِ النُّفُوسِ إِلَيْهَا ، فَأَنْبَأَتْهُ أَنَّ زَوْجَهَا دَخَلَ بِهَا ، وَهِيَ مِنْهُ عَلَى أَهْنٍ
بَالٍ ، وَأَسْعَدَ حَالٍ ، وَشَكَرَتْ لِأَيُّهَا حُسْنَ اخْتِيَارِهِ ، وَأَرْتَهُ مَا كَانَ
مِنَ الدَّمَاءِ عَلَى قَمِيصِهَا ، تَصَدِيقًا لِقَوْلِهَا ، نَخْرَجَ وَهُوَ لَا تَسْمُهُ الدُّنْيَا
سُرُورًا ، وَاطْرَدَتْ بِهِمُ الْحَيَاةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ .

(٧)

مَضَتْ اللَّيْلَةُ الْمَوْعُودَةُ عَلَى الْمَلِكِ شَهْرْمَانَ ، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ لِلصَّيْدِ ابْنُهُ
قَرُّ الزَّمَانِ ، وَمَعَهُ الْفَتَى مَرْزَوَانُ ؛ وَعَكَفَ اللَّيْلَةَ التَّالِيَةَ يَرْتَقِبُ حُضُورَهُمَا ،
سَاهِرًا ، قَلِقًا ، مُضْطَرِبًا ؛ تَذْهَبُ بِهِ الْهَوَاجِسُ كُلُّ مَذْهَبٍ ، وَتَخْوُضُ
بِهِ الْوَسَاوِسُ كُلُّ مُضْطَرَبٍ ، وَفِي مُتَوَعِّجِ النَّهَارِ ، شَدَّ الرَّحَالَ ، وَعَبَّأَ
الرِّجَالَ ، وَسَارَ فِي أَثَرِ ابْنِهِ جَادًّا فِي طَلْبِهِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ
الْفَسِيحِ ، فَأَثْنَى ثِيَابَهُ وَثِيَابَ مَرْزَوَانَ مَمْرَقَةً ، مُلَوَّنَةً بِالدَّمَاءِ ، فَأَيَقَنَ أَنَّهَا
اِغْتِيلَا ، وَكَانَا طَعَامًا لَوْحُوشِ النَّبَاةِ ؛ فَخَزَنَ ، وَرَجَعَ كَابِي اللَّوْنِ ، كَاسِفَ
الْبَالِ ، بَيْتِسَ الْحَالِ ، يَتَمَيَّزُ بُؤْسًا وَغَمًّا ؛ وَأَعْلَنَ فِي مُلْكِهِ الْحَدَادَ ،

وأعدّ له في قصره حجرة سُمّاها حجرة الأحرانِ ، يُحجُّ إليها كلَّ حينٍ ،
فيلبثُ فيها ذاكرًا ابنَهُ ، باكيًا عليه .

أمّا قرُ الزمانِ فإنه ظلٌّ مُنكبًا على عمله ، كادِحًا إلى البستانِ كدحًا ،
حتى يجزيه سفرًا قريبًا إلى مدينة الأبوس ، في أوّلِ مركبٍ يُقْلِعُ إليها .

وبينا قرُ الزمانِ يُزاوِلُ عمله في جلدٍ وصبرٍ ، ضربَ بفأسه تحتَ
شجرةٍ من أشجارِ الخروبِ ، فلم تقطعْ الفأسُ الأرضَ ، وكانت ترتدُّ
إليه كما قويتِ الضربةُ ، فتبيّنَ أمرَها ، فألقى غطاءَ حجريًّا أزاله ، فانفرجَ
عن حجرةٍ مملوءةٍ ذهبًا ، في أوعيةٍ يرجعُ عهدُها إلى عادٍ وثمودَ ، فقال : هذا
خيرُ ساقه الله ، وله ما بعده ، وجلسَ غارقًا في تفكيرِهِ ، ساجدًا به خيالُهُ ،
حتى قطعَ عليه هذا السَّبحَ الطويلَ أن رأى على شجرةٍ طائرَينِ يتنازعانِ
فنقرَ أحدهما الآخرَ في عنقه ، ففصلَ رأسَهُ عن جسَمِهِ ، ووقعَ على الأرضِ
جثّةً هامدةً ، وطار القاتِلُ إلى سبيله .

وبعدَ فترةٍ وجيزةٍ حطَّ طائرانِ على تلكِ الجثّةِ ، وحفرا لها حفرةً ،
ووارياها فيها ، ثمَّ طارا ؛ وما هي إلا لحظةٌ حتى عاد الطائرانِ ، ومعهما
الطائرُ القاتِلُ لُحْطًا به على الطائرِ المدفونِ ، ثم قطعًا جسَمَهُ إربًا إربًا
وبعثوا أشلاءَهُ هنا وهناك ؛ وكانت حوصلةُ الطائرِ المذقِّ يشعُّ منها
بريقٌ ، فذهب إليها قرُ الزمانِ وتناولها ، فوجدَ الفصَّ الأحمرَ ، الذي
كان في لُطاقِ زوجِهِ بدورَ ، والتقطَهُ الطائرُ من كَفِّهِ ، وهو يتبيّنُهُ
ويفحصُهُ ، فتحرّكتْ في نفسه بُشرى اللقاءِ بزوجه .

وجاء إليه البستاني، وأمره أن يتأهب للسفر، بالركب الذي يقوم إلى مدينة الأنوس، بعد ثلاثة أيام، فشكر له هذه الرعاية الطيبة، والعشرة الراضية، وأطلعاه على الكنز الذهبي، وعلى ما حدث من الطيور والفص الأحر الذي عثر عليه.

فقال: هذا رزقك يا ولدي، فإني أعمل في هذا البستان منذ ثمانين عاماً، ولم أجد شيئاً من هذا.
فقال: وإنه لقسمة بيننا ما من ذلك مفر.

فزل على رغبته شاكرًا، وأحضر له عشرين قدرًا عبأها له ذهبًا، وغطاه بالزيتون المصفر ليخفيه، وقال له: إنه زيتون لا وجود له في غير هذا البستان، وهو محبوب إلى الناس لندرتة وجودته، ووضع قر الزمان الفص في أحد القدور ونقلها جميعها، ونقل معها ما أعد من زاد إلى المركب.

وفي صبيحة اليوم الرابع، دخل ربان المركب وصاحبه البستان، ونادى ذلك الشيخ العامل فيه، وكان قد أصابه مرض، ثقلت وطأته، وعظمت حدته، والزمة فراشه؛ فأجابه قر الزمان وسأله حاجته، فقال الربان: ابعت الفتى الذي يريد السفر إلى مدينة الأنوس، فإن المركب مقلع الساعة. فقال: إني أنا الفتى المسافر، وسأحق بك على عجل.

كان الشيخ البستاني مختصرًا، فأبى على قر الزمان ثبته ومروءته أن

يفارقُهُ ، حتى يكونَ له أَوَّلَ رِدْءٍ ، وخَيْرَ عَوْنٍ ، في أخرج أوقاته ، وفاءً
لسالفِ العِشْرَةِ ، وكرِمْ الصُّحْبَةِ .

و شاءَ القدرُ أن يُسَلِّمَ البستانُ نفسَهُ إلى بارئِها بين يديه ، فَعَسَلَهُ
وكَفَّنَهُ ، وصَلَّى عليه ، وواراه في الترابِ ، ثم ذهب مسرعاً إلى المركبِ ،
فوجدَهُ يتهاذى في البحرِ على ضوءِ البصرِ ، إلى مدينةِ الأبنوسِ ، حاملاً
متاعَهُ وزاده ، فارتدَّ إليه بصرُهُ خاسئاً وهو حسيرٌ ، وعاد إلى البستانِ
مؤمِناً بقضاءِ اللهِ وقدرِهِ خاضعاً لحُكْمِهِ ، راضياً بقضائِهِ ، صابراً على
ما أصابه ، وجعلَ يعملُ في البستانِ إلى أن يَقْضِيَ اللهُ أَمْرَآ كان مفعولاً .

وصل المركبُ إلى مدينةِ الأبنوسِ ، وكانت الملكةُ بدورُ مُطِلَّةٍ من
نبالِكٍ قصرِها ، ولَمَّا رأتُ المركبَ خَفِقَ قلبُها ، وأحسَّتْ من نفسها
دافعاً يدفعُها إلى أن تذهبَ إليه ، ولم تستطعْ له إغفالاً ولا ردّاً ، وفي ثلَّةٍ
من حرسِها وجنودِها كانت بالمرقأ ، ترُقُبُ تفرُّغِ المركبِ ، فراقَ لها أن
تبتاعَ الزيتونَ المصفرىَّ جميعَهُ ، وتقدَّتْ صاحبَ المركبِ ثمنَهُ ، وأمرتُ
بنقلِهِ إلى قصرِها وألَّا تُمسَّ القدورُ بالتفريغِ إلَّا في حضرَتِها ، وعادتُ
في التَّوَّ والساعةِ ، فأفرغَ أمامَها أَوَّلُ قَدْرِ فوجدتُ وجهَ مافِها زيتوناً ،
وبقيَّتُهُ ذهباً ، كما عثرتُ على الفصِّ الأحمرِ الذي كان في نِطاقِها ، وافْتَقَدْتُهُ
هو وزوجَها ، فأمرتُ أن يحضَرَ صاحبُ المركبِ إليها .

ولما حضرَ سألتهُ عن هذا الزيتونِ ، ومن أينَ أتى به ؟ .

فقال : إنه من بستانِ بجوارِ مدينةِ للمجوسِ ، وصاحبُهُ شابٌ فقيرٌ ،

لم يستطع أن يلحق بنا ، ويركب معنا ، فخلّفناه في هذا البستان ،
فأنذرتُهُ : إن لم تأت بهذا الشاب قتلتك شَرِّ قِتْلَةٍ ، ولن تستطيع مني
هرباً ، فأنت تحت رِقَابِي ، حتى تحضر به إليّ .

فقال : سمعاً وطاعة ! وسأخضّره عمّا قريب .

وعاد صاحب المركب وأعوانه إلى البستان ، خملوا قرّ الزّمان ،
وأقلّعوا به ، فسألهم عن سبب هذا ، فقالوا : لا ندري ، ولكنك بُعِيَتْ
ملك الأبنوس ، وطِيبَتِ المنشودة ، ونرجو الله أن يُنجيك من شرّه ،
ويحفظك من بَطْشِهِ ، فما علمنا عليك من سوء ، ولا عرفناك إلا خيراً
صالحاً كريماً ، وربما كبا بك الحظُّ ، فأصبحت موضعَ شبهةٍ ، ومبعثَ
ريبَةٍ ، وكنت لذلك ضالّة الملك التي يَبْغِيها ، ويُلجُ في الحصول عليها .
وجيء بقعر الزمان إلى القصر ، ولما رأته عرفته ، فأمرت أن يذهب إلى
الحمام ، ويلبس حُلّةً فاخِرةً ، ويقم في مقصورةٍ بالقصر مكرّماً مُطاعاً ،
وكانت قد أسرّت إلى حياة النفوس أن الفتى الذي طلبته ، إن لم يكن
قرّ الزّمان ، فإنه سيكون الدليل عليه ، والسبيل إليه ، ثم أخبرتها بعد
حضوره أنه هو ، واتّفقّا على أن يكتما خبره أسبوعاً ، ثم يُفضيا إلى والد
حياة النفوس بقصتهما .

لَبِثَ قرّ الزمان أسبوعاً في مُقامِهِ الذي أُعِدَّ له ، يَنشَقُ نسيم النّعيم ،
ويتقلب في مهاد العزّة ؛ فكان ذلك في نفسه مَنّار عجبٍ ودهشةٍ .

وفي صباح اليوم الذي تلا هذا الأسبوع ، جمع — الملكة « بدور » ،

وحياة النفوس ، ووالدها ، وقر الزمان — مجلس خاص ، وجعلت بدور
تسرّد على المساميع تاريخها . وماحصل لها ، حتى جرى بقمر الزمان زوجها ،
ثم قالت :

وهذه ابنتك الصديقة ، لا تزال بكراً ، لم تمسّها يد ، وهذا ملكك
العالم ، أردّه إليك سليماً قوياً ، وهذا قر الزمان زوجي ، وأنا بدور
زوجه ، فاعرورقت عينا قمر الزمان بالدموع ، وعقد لسانه ، وأرتج عليه .
التفت الملك إلى قر الزمان فحيّاه . وهنّاه ؛ وقال له : ألا تحب أن
يطرد فضل الله عليك ، ويزداد إحسانه إليك ، بما يوليكَ من نعمه ،
ويسوق إليك من كرمه وعزّته ؟

فقال : أحبّ ذلك مع الحمد الجزيل .

فقال الملك : وإني أرغب أن تكون زوجاً لبنتي على أن تنبؤ
عرش ملكي .

فقال : حتى أستاذن زوجي بدور .

فأجابت على الفور : ذلك أحبّ شيء إلى نفسي ، وعسى أن نفي
بجزء من عظيم فضليها ، وبالغ معروفها ، وصدق أخوتها ، وصادق وقتها .
وحضر القضاء والشمهود ، وتمّ الزواج ، وتبوء عرش الملك ، وعاش
جميعهم عيشة هنيئة ، في ظلال الخفض ، واطّراد النعيم ، واتباع الأنس ،
وعزة السلطان ، وبسطة الأمن والسلام .

رُزق قر الزمان من بدور ولدًا سمّاه الأبعد ، ومن حياة النفوس .

ولداً سماه الأسعد ، وكان الأجدد أكبر سنّاً من الأسعد ، وإن تشابها خلقاً وجمالاً ، وقطعا سبعة عشر عاماً في مهاد التربية والتعليم ، حتى أوفياً على الكمال منهما ، فقوى فيهما البيان ، وذكا الجنان ، وحصّف الرأى ، وأضاء البصر بالأمور ؛ فكانا مَطْمَحَ الأنظار خُلُقاً وخُلُقاً ، وتثقيفاً وتهذيباً ، واستعان بهما والدهما في شئون مُلكه ، وسياسة رعيته ، استعانة صادرة عن عزم مشبوب ، وحكمة مبصرة ، وقدم راسخة ، في التدبير والسياسة .

شُغِفَتْ كُلُّ من الزوجين أن يكون المُلك لابنها بعد أبيه ، وخشيت أن يكون لأخيه من دونه ، فهدت السبيل إلى رغبتها هذه ، في حياة والده ، ورأت كلُّ منهما أن خير وسيلة تُمكنها من بُغْيَتِها ، أن تقتل ابنَ ضرتها ، وتنسخَ وجودَه ، فيصفوَ الجوُّ لابنها ، ويثولَ إليه المُلكُ بالوراثة .

كانتا تتفا بلان على صفاء ، وتجتلمان على مودة ، وتتحداثان في أنس ورحمة ، وتتعاملان بالإيثار والتضحية ، حتى لا تُحسَّ إحداها ما تدبره الأخرى من كيد لابنها ، ومكر سيئٍ به .

إن كلا منهما تبحت عن جريمة ، تُلوّثُ بها ابنَ ضرتها ، ليَحِقَّ عليه الإعدام ، فأية خطيئة تفرقه فيها إلى ذقنه ؟ وكيف يكون ذلك ؟ وعلى يد مَنْ ؟

إنه ليبْدُو أماً عسيراً ، وشيئاً نُكْراً ، وإثمًا مَبِينًا . وعملًا ثَقِيلًا ، ولكن المرأة لا يُعْجِزُها ما يعجز الرجل ، من عسير الأمر وضعبه ،

ولا يموقها ما يموقه من مراقبة الضمير وعظته ، وسلمان الدين وهديه .
لقد اهدت كل منهما إلى جريئة خائنة ، أو خطيئة غادرة ،
وماذا عليها لو ادّعت أنّ ابنَ ضرّتها راودها عن نفسها ، فاستفزّت غضبَ
والده ، وأثارت نخوته ، وأشعلت الحميّة في صدره ، فقتله من قوّره ،
وخلا الملكُ لأخيه !!

ولكن كيف تحسّم هذا الادعاء؟ وكيف يطرقُ آذانَ الملك؟ وكيف
يُحاط بالتأييد؟ وكيف يركب مَتْنُ السرعة؟ حتى لا يُضعِفَ تيارُه امتداد
الزمن ، ولا يجد مجالاً لمشورة ، أو توجيه نصيحة؟

طلبت حياةُ النفوس من ابنِ ضرّتها الأبعد ، أن يأتيها في مقصورتها
الليلة ، عقب صلاةِ العشاء ، فيتلوَ عليها ما تيسر من آي الذكر الحكيم ،
ويقفها على بعض من تأويل الآيات ، وتبيين أحكامها ومراميتها ، فبى واعدًا .
وطلبت بدور من ابنِ ضرّتها الأسعد ذلك الأمرَ نفسه ، في الوقت
عينه ، فبى واعدًا .

ثم أسرّت كلُّ منهما إلى الملكِ أن ابنَ ضرّتها ينتهزُ فرصة غيابك
عن قصرِكَ ، إلى شئونك ليلاً ، ويحضرُ إلى المقصورة بعد العشاء ،
يراودني عن نفسي ، وطالما نهرته وزجرته ، وبيّنتُ له سوءَ فعلته ، وأنه
يخون بذلك والده ، الذي رباه ورعاه ، فلم يَنْتِنِ عن غيّه ، وهان في نظره
خيانتك ، وآية صدقي في قولي ، أن تعلن غيبتك الليلة في جهة ما ،
وتركب السبيل إليها ، ثم ترجعَ إلى مقصورتى بعد العشاء ، مستخفياً

فستجده حاضراً ، قد ألهيته عنى إلى حين ، يجعله يتلو على شيتاً من آيات الكتاب الكريم ، ويقفنى على معانيها وأغراضها ، واكنم هذا الأمر حتى لا تكون فضيحة كبرى ، يتناقلها الملوك ، ويأمرنك بها أقرانك ونظراؤك . وكنتم الملك أمره ، وكظم غيظه ، وأعلن سقره ، فلما جاء الليل عاد ، ودخل على حياة النفوس فى مقصورتها ، بعد العشاء ، فوجد ابنه الأبعد جالساً ، يحمل كتاب الله الكريم ، ويتلو منه آيات بينات ، هدى ورحمة للعالمين ، فسلم وخرج من فوره ، إلى بدور فى مقصورتها ، فوجد ابنه الأبعد جالساً ، يحمل كتاب الله الكريم ، ويتلو منه آيات بينات ، هدى ورحمة للعالمين ، فسلم وخرج ، وأحضر سيفه ، وأمره أن يأخذ ولديه لساعته ، إلى خلاء البرية فيقتلها ، ويأتيه بلباسهما ، تاركاً جثتيهما للوحش والطيور .

وصدع السيف بالأمر ، وخرج بهما إلى واد فسيح موحش ، موغل فى البعد عن المدينة ، وهناك قال السيف لهما ، ونفسه تقطر الماء وأسفاً عليهما ، وكانا لا يعلمان من أمرهما شيئاً :

« إذا كان مولاي الملك ، ووالدكما الكريم ، قد أمرنى أمراً فيكما فهل أنتما مطيعان ؟ »

فقالا : إذا كان لأيننا فافعل ما تؤمر .

فقال : ولو قضى بقتلكما ؟

فقالا : هل أطلعك على السبب ، أو علمت علينا من خطيئة ؟

فقال : لم يُطاعني على سبب ، ولم أقفُ لكما على إثم أو جريئة ، ولكنه أمرٌ صارم ، لا أجدُ لنفسى فى الخروج عنه حيلة ، وإن كنت لا أستسيغه ، ولا أرتضيه ؛ ولهذا فإنَّ جميعتى بقتلكما أشدُّ وقعاً على نفسى من لجميعتى بفناء أولادى دفعة واحدة !

فقالا : إن حَقَّنَا فى الدفاع عن أنفسنا لا يزال قائماً ، ما دمنا لم نعرف لنا ذنباً ، وإذا كان الحكمُ خاطئاً كما نعتقد الآن ، فمن العبث أن نجعل بالانصياع إليه ، فنكون شركاءه فى تَبِعَتِهِ ، وقسماءه فى مَسْئَوَاتِهِ ، ولو كان عن جريئة منا تستحقه ، لسقنا إليه أنفسنا سوقاً !

فقال : وكما أنه من الحق أن تدرأ عن أنفسكما ظلماً فمن الحق لى أن أدراً عن نفسى هذا الظلم عينه ، فقد أصدر الملك أمره لى بقتلكما ، وإلا قتلتنى بنجاتكما .

فقالا : لعلَّ إصرارك على قتلنا لأمرٍ عامته فينا ، وأنت تخفيه عنا ؟ !

فقال : وَمَنْ خَلَقَ الأرضَ والسماءَ ، ما عامتُ عليكما من سوء .

فقالا : إن الظلم لم يُخْلَق وحده ، ولكن خُلِقَ العدلُ معه ، وإن القسوة لم تكن وحدها ؛ ولكن الرحمة معها .

وإذا كنت ترى هذا الأمر ظالماً وقسوة ، فمن العدل والرحمة أن تُرجى تنفيذه ، حتى يتبينَ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وسنعرض عليك موقفين لك فى حالين ، ولك ما تشاؤه منهما .

ما موقفك من الملك ، أو ما موقف الملك منك ، لو صدعتَ بأمره ،
ثم تبينَ له خطؤه ، وكان نجمةً له ، وفيجيةً لوالدتيْنا ، وجنايةً على
نفسين بريئتين ، حرم الله قتلهما إلا بالحق ، وضياءً للملكة الواسع
من بعده ؟

وما موقفك من الملك ، أو ما موقف الملك منك ، لو أرجأتَ تنفيذَ
أمره على غير علم منه ، ثم تبينَ له خطؤه ، وندم على ما فعل ، فأظهرتَ
له الحقيقة ، وأعلمته أنك لم تقتلنا ، بل أرجأتَ ذلك أملاً في ظهورِ
براءتنا ؟

فقال : لا ريب أن موقفي في حالة الإرجاء ، أهنأً بالاً ، وخيرَ مردِّاً ؛
ولكن من يضمنُ لي أن يُرجىَّ الملكُ قَتلى ، حتى يتبينَ الرشد من
النِّى ، والآن قد أبطأتُ بمودتى ، وربما بعث الملك مَنْ يطلبنا ، فقتلنى
وقتلكم ، فاختاراً لأنفسكما من أقتله أولاً .

فقالا : أوْثَقْ كِتاَفنا متقابلين ، واضربنا بسيفك هذا ضربة واحدة ،
حتى لا يتجرع أحَدُنا كأسَ المرارة من أجل أخيه .

وما انتهى من إيشاقهما ، حتى جفلت فرسه ، نغفَ إليها ، يجرى
خلفها ، وما زالت تجرى ، ويجرى هو وراءها ، حتى دخلت غابة شجراء
فتبعها ، ثم وقفت من تلقاء نفسها ، بجوار شجرة من أشجارها ، فذهب
إليها وأمسكها ، وكان قد أنهكه التعب ، فجلس بجوارها يستريح
ويستجم .

أخذ الأجد والأسعد يتحركان ، ويتقلبان على الأرض ، ذات اليمين وذات الشمال ، حتى فُكَّ الوثاق ، وانحل الرباط ، فتقلد أكبرهما سيف المملوك السيف ، وسارا في أمره حتى دخلا الغابة ، فألفيا أسداً جائعاً فوقه ، يهْمُّ باغتياله ، فأسرع الأجد وضرب الأسد في رأسه بسيفه ضربة أراقت دمه ، وأزهقت روحه ، ونجا المملوك السيف سالماً ، فخل هذا الصنع الجميل من نفسه محل التقدير والإعظام ، وقال : والله لن أقتلكما لقاء صنيعكما هذا ، ولكني سأخذ ثيابكما ، وبعضاً من دم الأسد إلى أيبكما ، لتكون آية صدق على تنفيذ أمره ، وأما أتما فساخلى سبيلكما إلى أرض الله الواسعة ، في رعاية الله وكنفه ، والله خير حافظاً ، وهو أرحم الراحمين ، ثم مضى كلٌّ إلى سبيله ، وكان قد كتب كلٌّ من الأجد والأسعد العبارة الآتية في قرطاس ووضعها في جيب ثيابه المحمولة إلى أبيه :

« والدى العزيز

لقد قبلنا حكمك مظلومين ، صابرين مطيعين ؛ ولكن يمزُّ علينا أن يقفك الله بين أيدينا نادماً ، باكياً ، تدعو ثبوراً كثيراً ، يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين » .

ودخل المملوك السيف على الملك ، وناولته ثيابهما ، فوجد في جيب كلٍّ منهما الكتاب السابق ، ولما قرأه — وكان قد خدعت سورة الحية في نفسه ، وتحرك كامنُ الحزن في صدره ، على فقد أولاده — أصرَّ على أن يبحث الأمر ، ويحلَّو الموقف ، ويبدد من حوله ذلك الظلام الحالك ،

فوضعهما في جيبه ، وأمر السيف أن ينصرف ، ويضع الثياب في مكان حصين .

كان جزع كلٍّ من بدور وحياة النفوس على ابنيهما عظيماً ، تنفطر له المرائر ، وتثنيُّ منه أرجاء القصر ، وكما دخل الملكُ على واحدةٍ منهما قالت باكية عاتبة : كيف تقتل ابني؟ وما ذنبه معك؟ ومن يخلِّفك في مُلكِك ، ويرعى أسرَتك ، ويخلدُ ذكرك؟ لقد فعلتَ ما لم يفعله ملكٌ قبلك ، ولن يُقدم على مثله ملكٌ بعدك .

كانت هذه الحال ماثراً عجب الملك وحيرته ، وحافزاً على أن ينظر فيما فعل نظرة فاحصة ، تُسكن ثائر القلق في نفسه ، وتوضح الغموض الذي خلّقه هذه الحال في أسباب حكمه ، فماذا فعل ؟

اصطلى من بين وزرائه اثنين ، عُرِفَا بنفاذ البصيرة ، وبُعد النظر ، ودقة القياس ، وصِدْقِ الاستنتاج ؛ وجمّعهما خلوة عميقة ، وعرض عليهما أمرَ ابنيه ، بكل ما يحيط به ، وما انتهى إليه ، وما كان من زواجه قبل نفاذ الحكم وبعده .

فقال أحدهما : هل كان مولانا الملك يامح في ابنيه جُنوحاً للهوى والمرح ، أو ميوعةً في النظرة ، والحديث ، والحركة — إذا ما اجتمعا أو التقيا يحواري القصر ، الفاتنات جمالا ، الساحرات شكلا وقواماً ؟

فقال الملك : أدب جم ، وحياء أصم ، ورجولة فذة ، ونظرات بريئة ، تشع ديناً وتقوى .

قال الآخر : وهل كانت كلٌّ من الأُمَّين تعطف على ابنها أكثر من ابنِ ضرَّتها ، وتحاول أن تُحوِّل عطفك ورضاكَ نحو ابنها ، وتجهِد أن تجعله خليفةً لك على مُلكِكَ من دون أخيه .

فقال : كلتاها في ذلك سواء ؛ فقد كانت كلٌّ منهما تُشيد بمحاسن ابنها ، وتُلحُّ في بيان فضائله ومزاياه ، بينما كانت تحطُّ من قيمة أخيه ، وتجعل من حُبِّه التَّقصُّ فيه بُقَّةً .

وقال الأول : هل سألت ولدَيْك عن سبب وجودهما بعد العشاء في مقصورتيّ زوجِيك ؟ .

فأجاب : كلاً ! ولقد أرسلتهما مع السَّيِّف دُونَ أن يعرفا مصيرهما .
وقال الثاني : وهل لمحتَ عليهما رُعباً ساوَرَ نفسيهما وقتَ أن قام بهما السَّيِّف إلى وجهته ؟ .

فقال : لقد نظرتُ إليهما من شباكِ القصر ، فوجدتهما مطمئنتين اطمئنانَ الطفلِ إلى ثديِ أُمِّه .

وقال الأول : هل قالاً شيئاً للسَّيِّف قبل أن ينفذَ فيهما حُكْمُكَ ؟ .
فأجاب : وجدتُ في جَنِيّ قَمِيصَهما هذين الكتابين ، وناولهما إياهما ، ولما قرأهما قالَا : يبدو لنا براءة ولدَيْك ، وطهارة سعيهما إلى مقصورتَيْك ، وأنَّ هذا من كيدِ زوجِيك ، وليخلصَ الملك إلى ابنِ إحداهما من بعدك عمدتُ كلٌّ منهما إلى الاحتيال في قتل ابنِ ضرَّتها ، وشاءَ القدرُ أن يثَّارَ لبراءة ابنيك ، فأصابَ بسهمه كلتيهما ، وكانَ جديراً بمولانا الملك أن

يَتَرِيثَ وَلَا يَعْجَلْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ،
فَصَبِرٌ جَمِيلٌ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؛ وَمَنِ الْحَزَمُ أَنْ تَكْتُمَ
حَزَنَكَ فِي صَدْرِكَ ، حَتَّى تَبْقَى لِلْقَصْرِ طَهَارَتُهُ وَعِزَّتُهُ ، وَمَا كَانَ كَانَ ،
وإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ .

فَقَالَ : وَإِلَيْهِ أَشْكُو بَنِي وَحُزْنِي ، وَأَرْجُو مَغْفِرَتَهُ عَلَى مَا فَرَطْتُ
فِي جَنْبِهِ ، وَظَلَمْتُ أَوْلَادِي ، وَبَغَيْتُ عَلَيْهِمْ بَغْيًا جَاهِلًا جَائِرًا ، وَكَانَ عَلَى
أَنْ أُتَبِّينَ قَبْلَ أَنْ أُصِيبَهُمَا بِجَهَالَةٍ ، وَأَصْبَحَ نَادِمًا عَلَى مَا فَعَلْتُ . وَانْفَرَطَ
عَقْدُ الْمَجْلِسِ ، وَكَانَ شَيْئًا فِيهِ لَمْ يَكُنْ .

(٨)

هَامُ الْأَخْوَانِ : الْأَعْجَدُ وَالْأَسْعَدُ عَلَى وَجْهِهِمَا فِي الْبَرِّيَّةِ ، لَعَلَّهُمَا يَحْدَانِ
فِي مَسِيرِهِمَا عَامِرًا مِنَ الْأَرْضِ ، يُرْزَقَانِ فِيهِ ، وَيَنْتَهِي رَحِيلُهُمَا عِنْدَهُ ،
فَجَعَلَا يَطْوِيَانِ الْأَرْضَ طَيًّا ، حَتَّى اعْتَرَضَ سَبِيلَهُمَا جَبَلٌ مِنَ الصَّوَّانِ
الْأَسْوَدِ ، فَصَعِدَا فِيهِ : تَتَقَاذِفُهُمَا وَعُورَتُهُ ، حَتَّى امْتَطَيَا صَهْوَتَهُ ، فَاسْتَنْشَقَا
نَسِيمَ الْكَفَافِ مِنَ الرَّاحَةِ قَلِيلًا ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَا سِيرًا جَاهِدًا ، وَإِنْ أَقْدَامُهُمَا
لَتَنُوءُ بِجِسْمَيْهِمَا ، عَلَى مَا بِهِمَا مِنْ خِفَّةٍ وَهُزَالٍ ، وَكَانَ بِقَمَّةِ الْجَبَلِ شَجَرَةٌ
رُْمَانٍ عَلَى عَيْنِ مِنَ الْمَاءِ ، فَأَكَلَا مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ ، وَشَرَبَا مِنْ مَاءِ الْعَيْنِ ؛
وَقَعْدَ بِهِمَا التَّعَبُ فِي ضِيَاقِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَتَرَوْدَا بِقَلِيلٍ مِنَ الرَّاحَةِ ، قَطْعًا

به الجبلَ عَرَضًا ؛ ولاحقتهما من الوادى مدينة « تَسْمَى » بِهَرُوزَ ،
فانحدرا إليها .

ولما كانا فى سفح الجبل ، قال الأجدد لأخيه : إِنَّكَ مُتَعَبٌ ، ويزيدُكَ
الجَوْلَانُ فى المدينةَ تَعَبًا ، فامكث هنا حتى أرجعَ إليك بما أحضرُه من
زادٍ ، وما أعرفه من أبناء هذه المدينة وأهلها ، لتكونَ على علم بدار مُقامنا .
فقال الأسعد : لا أستطيع صبراً على غيابك ، وخير لراحتي أن تمكثَ
أنت هنا ، حتى أعود من المدينة ، حاملاً ما تَبَغَّى من قوت ومعرفة .

وبعد أن مشى الأسعد فى المدينة قليلاً التَقَى بِشَيْخٍ مُعَمَّرٍ ، يمشى على
ثلاث : رجله وعُكَّازَتِهِ ، ذى لَحْيَةٍ تُغَطِّي صدره ، فسأله :
أين سوقُ المدينة أيُّها الوالد ؟ .

فقال : لعلك غريب عن الديار ! قال : نعم ؛ ولى أخ ينتظرنى فى سفح
الجبل ، وينتظر ما أحمله من طعام تنبلُغُ به .

فقال الشيخ : اشكرُ ربَّكَ يا ولدى الذى سَخَّرَنى لك ، ونَجَّاك من
أهل المدينة ، وإِنِّى أحبُّ الغريبَ وإكرامَه ، وعندى الليلةَ وليمةٌ ،
أعدَدْتُ لها صنوفاً من الطعام والحلوى ، فلو أَكْرَمْتَنِي بأن تذهب
مَعى إلى دارى ، فتأخذ حاجتك وحاجة أخيك من طعامٍ شهىٍّ ،
دونَ أَنْ تَنقُذَ له ثمننا كان لك الشكر الجزيل ، إذ مكثتَنِي من إكرام
غريب تنقل به موازيتى ، ويكون لى شفيعاً يوم الدين .

فقال الأسعد : أَكْرَمَكَ اللهُ وأَسْعَدَكَ .

ومشى معه حتى دخل به داره ، فوجد فيها ساحةً فسيحةً ، بها حَلَقَةٌ
من أناسٍ حافئين من حولِ نارٍ مُوقَدَةٍ ، يسجدون لها ويعبدونها من
دون الله ، فأصابه الفزع ، وارتقبُ شرًّا ، وأيقن من خديعةِ الشيخ ومكره
وهناك نادى الشيخُ على رجلٍ فارِع ، وأمره أن يأخذ الأسمد إلى
القاعة التي تحت الأرض ، ويتولَّى تعذيبه ، حتى يأتى يومُ عيد النار ،
فيذبحوه على الجبل ، قُربانا لها وزُلْفى .

وسيق إلى القاعة مكتئبًا حزينًا ، ولقى فيها من ألوان التعذيب .
ما تقشعرُّ له الأبدان ، وتتشقُّ المرائر .

ولما طال بالأجد الانتظار ، وثقلت عليه غيبةُ أخيه دخل المدينة
يترصُّده في كل مكان ، ويرتقبه في كل مُرتَقَب ؛ وهو مديد البصر ،
مرهف السمع ، متوقِّدُ الحسِّ ؛ فلم يقف له على أثر ، فاتتجى ناحيةً من
شارع ، أمام دكان خياط ، وجلس جلسةً ضارعةً أسيفةً كثيفة حزينة ،
وكان الخياط رطبةً كبدُه ، بما آمن بالله ورسوله ، مشرقًا بنور الإيمان
قلبه ، فحنَّ إليه لما رآه ، وظنَّ أنه أَلَمَّتْ به كُرْبَةٌ ، وهو في حاجة إلى
من يُنقِّسُها عنه ؛ ولعلَّ غُرْبَتَه ، وجهلَ الرُحماء به سَدَّتَا منافذَ المعونةِ
دونه ، فانطوى مُسْتَيْئِسًا على نفسه ؛ فذهب إليه ودعاه إلى دكانه ،
يجلس معه ، وهناك سأله عن حاجته ، فمرَّفه بنفسه وأخيه ، وقصَّ
عليه ما أصابهما ، وأنه الآن يبحث عنه ، ليلتقَ به ، ويطمئنَّ عليه .

فقال الخياط : إنَّ كان يا ولدى قد وقع في يد مجوسٍ فلقاؤك به

عسير ، وإن احتضنه مُسلم فلا خوف عليه ، واجتماعك به قريب يسير ؛
وخيرُ الأمور أن تبقى لَدَيَّ ؟ تتعلمُ الحياطة ، وتعيش معنا في صُحبة
أولادى ، فَتَظْمَ مما نَظْمَ ، وتَشْرَب مما نَشْرَب ، وتلبس مما نلبس ،
بمقدار ما تُهيئه بسطةُ الرزق ، حتى يُقَيِّضَ اللهُ لأخيك ظهوراً قريباً ،
ونُهيّاً لكما لقاءً حميداً . فشكر له مروءته وكرمه ، وعاش معه ، كأنه
أحدُ أفرادِ أسرته .

وبينما هو يسير في إحدى طرق المدينة ، لبعض شئونه التقت نظراته
بنظرات امرأة ، تلتفتُ هنا وهناك ، كأنها تبحث عن ضالّة ، فظنّها غريبةً
مثله ، وللغريب إلى الغريب حنينٌ ؛ فرقَّ لحالها وسألها : أَلَاكِ حاجةٌ
أُرَجِّي لها ؟ .

فقالت : حاجتى لدى ذوى المروءة والنخوة .

فقال : عسى أن أكون منهم ، أو أقومَ بما يقومون به .

فقالت : خذنى إلى دارك ، أجد فيها بعض الراحة ، وأطعم ما تفضل به
علَيَّ ، فقد التهبّت قدماي من المشى أكثر النهار ، واحترقت أحشائى
جوعاً وعطشاً ، وليس لى فى هذه المدينة إلّا قلوبُ الرُثَماء ، ونعمة
الكرماء .

فعرّز عليه أن يتضاءلَ أمامَ سيّدةٍ ، تنشدُ فيه فضلاً وعوناً ؛ فقال :
اتبِعْنى ، وجعل يسير بها فى شوارع المدينة ، ويلجُ فى نواحيها ، عسى أن
تُرهبُ ، وتتمبَ فتُصرف عن متابعته ، ولكنها عكفتُ على متابعته ، حتى

دخل بها زقافاً . وطفق يسير فيه ، حتى انتهى إلى آخره ، فوجده مُقفلًا ،
ووجد في نهايته باباً كبيراً ، لبيتٍ تبدو عليه آثارُ النعمة ، فلم يَرِ مَقَرًّا من
الجلوس على مصطبة أمامه ، وجلست هي على مصطبة أخرى تقابلها
منتظرة أن يفتح الباب لهما .

ولما رأت أنه ساكتاً مُطرقاً ، غير عابٍ بالباب وفتحِهِ ، قالت : أليس هذا
البيتُ يبتك ؟

فقال : بلى : ولكن المالك في السوق ، ومعه المفتاح : ولَمَّا يحضر .
فقامت إلى قفله ، وكسرتَه ، فانفتح الباب . ودخلا وقد بدت على وجهه
أماراتُ الاضطراب والخوف مما يرتقبه من سوء المصير ، وضمتُّهما حجرةً
فسبحة الأرجاء ، بها أرائكُ مصفوفة ، وزرابيُ مبثوثة ، يتوسطها مائدة ،
جمعت من صنوف الطعام والحلوى ما تشتهيه الأنفس ، فجلست أمامها ،
ودعته إلى الجلوس ، ولكن اضطرابه جعله يُقدِّم رجلاً ويؤخرُ أخرى .
وأخيراً استسلم للقضاء وجلس ، وكانت تأكلُ كُلَّ كَأَنها في بيتها ،
وجمل هو يتجرَّعُ اللقمة في إثر اللقمة ، كأنه يتناول دواءً مُراً بقَدَر .

حضر صاحبُ الدار «بهادر» وهو من أعيان المدينة وكبرائها . فرآهما
على هذه الحال . فأشار إلى الأبعد ألا يتكلم ، وأن يحضر إليه على غير علم
منها ، فهمَّ وذهب إليه ، وقصَّ عليه ما كان منها ومنه . حتى وجدهما على
هذه الحالة ، فقال له :

سأعمل على تحقيق مروءتك ورجولتك ، وبرِّك بالغباء كرجل ذى

شَمَم وكرم، وذلك بأن تجلس معها، وتأكل مطمئنًا، وسأدخل عليكما في زِيٍّ مملوك، فإذا رأيته زجرته، وأنبتني على تأخيرى، وأوعدتني إن عدتُ إلى مثل هذا فسألني شرًّا وبيلًا؛ فقال: سمعًا وطاعة .

ولما رآته يزجر المملوك ويؤنبه قامت هي إليه، وأمسكت العصا، وأوسعته ضربًا مبرحًا موجعًا، والمملوك يصرخ ويستغيث، والأعجد يحول بينها وبين قتلها، ذاكراً لها أنه لم يُعَوِّده هذا الضرب الأليم، ولكنها لم تهدأ ثورتها، ولحمت سيفاً مُعلّقاً في الحجرة، فأخذته، وأقدمت على المملوك تبني ضرب عُنقه، فنعها الأعجد قائلاً: إنَّ هذا الجرم لا يستحقُّ قتلاً، وسنَجَرَحُ به خطيئةً في الدين، جزاؤنا عليها جهنمُ خالدٍ فيها .

ولما وجدها مُصِرَّةً على قتله، قال لها: مادمتِ مصرَّةً على قتله فأنا أولى به منك، وأخذ منها السيفَ، ورفعَه وضرب به عنقهما ضربةً أطلحت برأسها، وخلص منها، ونجا ذلك الرجل الكريم .

فقال صاحب البيت: حسناً فعلتَ، فإنها امرأةٌ مجوسيةٌ، أرادت أن تتخلص مني، لتأخذك إلى رجالها فيذبحك قرباناً لما يعبدون من النار؛ وهذه علامة دينها، لمحتها في ذراعها، وكانت نقشاً من الوشم يختصُّ به طائفةُ المجوس .

ثم قال: وإنك غريب لا تعرف المدينة ولا مسالكها كما أعرف، فانتظرنى هنا حتى أذهب بجثتها وألقيها في البحر، وبذلك نذراً عن

أنفسنا تبةً قُتِلَها ، وإن لم أحضر إليك عقب شروق الشمس فاعلم أن العسس أمسكوني بها ، وقتلني الوالى فيها ، ولك بعد هذا البيت وما فيه من مال ورياش .

لفها « بهادر » فى عباءة ، وحملها على ظهره ، وذهب إلى البحر ، وشاء القدر أن يلتقى العسس به ، فوجدوه يحمل جثة قتيل ، فساقوه إلى الوالى الذى حكم بإعدامه ، على أن ينفذ ظهر الغد ، وأن ينبثق المنادون فى المدينة يدعون الناس إلى مشاهدة إعدام بهادر .

ولما كان الأجد فى متوع النهار ، ولم يحضر إليه صاحب الدار ، خرج ليطمئن عليه ، فسمع المتادى يدعو الناس إلى الساحة أمام قصر الوالى ، لمشاهدة مقتل الشيخ بهادر .

أسرع الأجد إلى الساحة ، فوجدها حافلة بالناس ، والشيخ بهادر أمام السياف ينتظر تنفيذ الحكم عليه ؛ فتقدم إلى رئيس العسكر ، وقال : لا تقتلوه ظاماً ، فأنا الذى قتلت المرأة بيدي ، فأخذه إلى الوالى وهناك قص عليه قصته ، فوجد فى قوله صدقاً ، وبياناً حسناً ، وحجةً بالغة ؛ تنبهم عن ذكاء وفطنة ، وعلم وخبرة ؛ كما وجد فى عمله هذا مروءةً ووفاءً ، ونبلاً وإخاءً ، فعفا عنهما ، واستبقى الأجد عنده ، وجعله من وزرائه .

قبض الأجد على زمام وزارته ، فصرفه على خير وجه ، وبعث المتادين والباحثين فى المدينة ، ليأتوه بالأسعد أينما يكن ، فكان انبثاقهم فى المدينة على غير جدوى ، وكيف يصل البحث إلى تلك القاعة ، التى هى فى زاوية

من زوايا المدينة؟ فأمرهم أن يستمروا في بحثهم دائبين، وأصرَّ على أن يقوم هو نفسه، بالسعى ليلاً ونهاراً وراء أخيه، حتى يلقاه، أو يعرف نهايته.

وقرب عيد المجوس، فأعدَّ بهرام المجوسى صندوقاً خشبياً، وأقله على الأسد، ونقله مع أمتعته ليلاً، إلى المركب الذى أُعدَّ له ولأصحابه، ليحملهم إلى جبل النار، حيث يذبحون الأسد قرباناً، ويقضون أيام العيد هناك وكان الوزير الأجد يطوف بالمدينة وحواليها، فرأى مركباً على أبهة الإقلاع والسفر، فذهب ومن حوله رجاله وعساكره، وقتشه فلم يجد أخاه، ثم عاد إلى منزله؛ ولكن بهرام المجوسى أسرع بالمركب، وغادر المدينة إلى جبل النار قبل أن يفتضح أمره، وشاء القدر أن يغبرَّ الجو، وتشور عواصفه، ويشتدَّ ظلامه، وأن يغضبَ البحرُ، قهَبَ أعاصيره، وتلاطم أمواجه، وأن يضلَّ بهم المركبُ، فيُشرفَ بهم على مدينة الملكة مرجانة، ويُضطروا إلى أن يرسوا عليها، حتى تسكنَ ثورهُ الطبيعة، ثم يستأنفوا السفر إلى جبل النار الذى يقصدون.

وكان بهرام قد أخرج الأسد من الصندوق، وألبسه ثياب المالك، حتى إذا ما سألته الملكة عن مقصده. أجابها أنه يتجبر في المالك، وقد باع منَّ جلبهم، ولم يبق معه إلا هذا المملوك.

ورأت الملكة المركبَ راسياً. فذهبت في حاشية من رجالها وجنودها إليه، وسألت بهرام عن عمله، فأجابها بما كان قد أعدَّه، فالتفتت إلى

الأسعد ، فوجدت أن مخايلَ النعمة ، ومظاهرَ العزة ، ومجاليَ العلم والمعرفة لا تزال تبرق في عينه ، وتنطقُ بها أساريرُ وجهه ، مُتَسَرِّبَةً من ثنابا البؤس والضنك والتعذيب التي أصابته ، فقالت له :

أتعرف القراءة والكتابة ؟

فأجاب : نعم

وكانت تحمل في يدها مصحفاً فتأولته إيّاه ، وقالت : افتح هذا المصحف ، واقرأ ، ففتحه وقرأ .

« والصابرين في البأساء ، والضراء ، وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون »

فقالت : أفضله وافتحه ثانية ثم اقرأ ، فقرأ :

« أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَتَقَصَّ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ؟ فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا »
فأمرته أن يفتح للمرة الثالثة ويقرأ ، فقرأ :

« ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا »

فعمدت عزمها على شرائه ، وقالت لبهرام : بُعِثَ هذا المملوك ، فاعتذر ، وقال :

لا أستطيع ذلك ، لأنه لاخير من الأحرار ، وقد وعدته به ، ووقفتُ ثمنه ، فأمرت رجالها أن يحملوه إلى قصرها ، وأمرت بهرام أن يُقْلَعَ

الليلة بمركبه ، وإلا حطَّمته وأغرقتَه ، ومن معه ، فأذعن لأمرها ، وهو في غيظ عظيم .

ورجعت الملكةُ إلى قصرها ، فأُنزلت الأسعد منزلاً مباركاً ، وأطعمته ، وكشفت ما به من خُرٍّ ؛ وكان القمر قد كسا الوجودَ بتوره ، وهدأت الطيعةُ ، فرغب أن يذهب إلى بُستان الملكة الذي يحيط بقصرها ، ينشقُ نسيم الحرية ، ويناجي فيه القمر ، ذا كراً أخاه ، ضارعاً إلى الله أن يلقاه .

جلس يجوار فسقية تحت ضوء القمر ، شاخصاً إليه بصره ، غارقاً في تفكيره ، حتى غلبه النوم ، فأسلم نفسه إليه .

أما بهرامُ المجوسىُّ فقد أمر رجاله أن يرتحلوا من فورهم راجعين إلى ديارهم ، خوفاً من الملكة وشرها ، فقالوا : حتى نأتى بالماء الذى نحتاج إليه وخرجوا يقرَّبهم إلى المدينة يبحثون عن ماء ، فدخلوا بستان الملكة خفيةً ، فألقوا الأسعد نائماً يجوار السقيفة ، فلنوا قرَّبهم ، وحملوه إلى مركبهم ، وأقلعوا به إلى وجهتهم ، فى سرور عظيم بالعثور عليه ورده إليهم . وتقدَّت الملكة الأسعد فلم تجدْهُ ، فطلبت المركبَ فوجدته قد أقلع ، فأمرت فى الحال أن يلحقَ به ثلَّةٌ من الجنود البحارة ، يأتونها به إن كان فيه .

وما هى إلا ساعةٌ ، حتى بان للجنود مركبُ بهرام ، فظن أنهم أقبلوا

مسرعين من أجل الأسد، وخشي الضر بسببه، فأمر رجاله أن يلقوه في البحر، لينجو من بلواه .

وأحاط الجنودُ بِمركب بهرام وفتشوه، فلم يجدوا للأسعد أثراً، نخلوا سبيله ورجعوا، أما الأسد فإنه جعل يطفو ولفطس ساجماً نحو البر حتى أنجاه الله، فخرج ومشى حتى دخل مقبرة، فوجد فيها قبراً جديداً مفتوحاً، فكمن فيه إلى أن يأتي الصباح .

وكان المركب قد رسا على ذلك البر، وخرج إليه بهرام، ليقضى بعض شئونه، وبينما هو يحتاز المقبرة، عثر بهذا القبر الحديث، فنظر فيه فوجد الأسد راقداً، فغذبه إليه، وساقه إلى مركبه، ورجع به إلى داره فرحاً مسروراً، مُرجئاً الذهاب به إلى جبل النار إلى العام المقبل، خشية أن يُعثر عليه وهو في حوزته .

وهناك أودعه حجرة تحت الأرض، وأمر ابنته بستان أن تكتم أمره، وتتولى تعذيبه، وما رأتَه بستان حتى أحست من نفسها حُباً له، وعطفاً عليه، وكانت مُنكرةً فعالاً أبيها، ناقمةً منه ومن قومه عبادة النار التي يُورون . وكانت في قلبي نفسي من دينهم، ولكنها لم تُبدِهِ لهم . وفي جلسة وادعة سألت بستان الأسد عن دينه، فقال :

إِنَّا نؤمن بالله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وخلق الظلَّ والحرَّور، ونؤمن برسوله الأُمِّي العربي، الذي جاءنا بكتاب من عند الله، فيه آيات بينات، وهُدًى للعالمين؛ وجعل يتلو عليهما ما تنسّر

من آياته ، حتى شَرَحَ الله صدرها للإسلام ، وآمَنتُ بالله ورسوله ، وأحاطتْه برعايتها وإكرامها ، على غير علمٍ من أبيها الذي كُلِّمَها سألها عنه أجاوبته أنه في العذاب المهين ، وكان الأسعد بعد إسلامها ، واطمئنانه إليها قد قصَّ عليها قصته .

وفي فجر يوم سمعتُ بستان المنادى ينادى ويقول : إن مَنْ كان عنده شابٌ يُسمَّى الأسعد ، فليحضُرْهُ إلى الوزير الأُمجد ، ومَنْ أخفاه ووجده عنده ، حلَّ عليه غضبُهُ ، وكان من الهالكين .

فذهبتُ إلى الأسعد وأخبرته ، واتفقا على أن يَفرَّا سراً إلى الوزير ، لينجوا من هذه الدار النجسة ، الظالم أهلها .

وفي رَأْدِ الضُّحَى كانا بين يدي الوزير ، وأخبراه بكل ما فعلا ، ففرح ببقاء أخيه ، وأمر بإحضار بهرام المجوسى ، ولما مَلَّ بين يديه . أصدر الحكم بإعدامه ، جزاء ما قدمت يداه ، فقال بهرام : وإن آمَنت بالله ورسوله .

فقال الأُمجد : إن الإسلام يَحِبُّ ما قبله .

فقال بهرام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأشهدكم أنى سأقيم مسجداً بجوار دارى يُذكرُ فيه اسمُ الله ، ويُسَبِّحُ له فيه بالغُدُوِّ والآصال ، وأرجو أن تُزوِّجَ ابنتى بستان من الأسعد ، حتى تَطْهَرَ ذرىتى . ويكتبنا الله وإياكم فى الصادقين . وأقيمت الأفراس ، وتمَّ الزواج ، ورفُعَ بيتُ الله ، وعاش الجميع فى عِزِّ الإسلام آمنين هانئين .

وبينا الملكُ ووزيرُهُ الأُمجدُ وأخوه الأُسعدُ جُلوسٌ صباحَ يومٍ ،
إذ جاءهم نذيرٌ من رجال الملك . وقال : لقد غشيتنا يا مولانا غاشيةٌ ، من
جيوشٍ مُغيرةٍ ، قادمةٍ إلى المدينة ، كأنها جرادٌ مُنتشر .

فقال الأُمجدُ : مُرّني يا مولاي أن أخرجَ إلى قائدِها ، وأُطلعَ على
مَقصِدِهِ وأُعالِجَ الأمرَ على ما تقتضيه المصلحة .

فقال : حسنًا أردت ، ونرجو لك سدادًا ورشدًا .

وهناك أوصَلَتْهُ طليعةُ الجيشِ إلى القائد . وكانت الملكةُ مرجانةُ ؛
فقاتلتُ للأُمجدُ : مالنا في امتلاكِ مُدُنٍ حاجَةٍ ، ولا في إزعاجِ آمِنٍ مَأْرَبٍ ،
ولم تُحْفَظْنا قوةُ السلطانِ وغرورُهُ ، إلى البطشِ بالشعوبِ الوديعَةِ المُسالِمةِ ،
وإنما نحنُ نُفْتَشُ عن فتى يسمي الأُسعدُ ، نَجِيَّتُهُ من بهرامِ الجوسِيِّ ثم سرقه
منى ، ولن يسكتَ عني الغضبُ حتى أجدَهُ ، أو أَقْتُلَ به بهرامَ وذَرِيَّتَهُ .
فقال مبتسمًا : إني أنا أخوه الأُمجدُ ، وهو عندي ، وقصَّ عليها نبأه
بعد أن سرقه بهرام . وسأحضره إليك الآن في صحبةِ ملكِ المدينة .

وجاء الملكُ وفي حاشيته الأُسعدُ ، فشكرَ الملكةَ نبيلَ عطفِها ، وأدّى
ما يَنْبَغِي لِمِثْلِها من الإكرامِ في مثل هذا الموقفِ العظيمِ .

وبينا كان الأُسعدُ يحكي ما جرى ، إذا بَغَبَرَةِ بسدِّ الأفقِ ظلالُها ،
وما زالت تدنو ، حتى انجَلَّتْ عن جيشِ ضربِ خيامِهِ على مقربةٍ من
المدينة ، ثم أُرْسِلَ قائِدُهُ إلى ملكِها رسولًا يبلِّغه .

لقد جئتُ في طلبِ ابنتي (بدور) فإن وجدناها ، أو وجدنا نبأَ يَقِينًا

عنها ، وإلا فلا تظنوا أنكم ما نعتسكم حصونكم وكثر ثركم منا . إن كان لكم يدٌ في إخفاءها .

فلما بلغ الملك ذلك على ملأ من الجالسين ، قال الأُمجد : إنها أمي وقال الأسعد ، وهذا الملكُ جدُّنا . فلوأمرت أن نذهب جميعنا مع رسوله فللقاه ونحييه . ثم ندعوه إلى دار ضيافتك . كان ذلك أليقَ بنا وأكرم . وجاء الملكُ المغيرُ إلى القصر صديقاً حميماً ، وعرف من الأُمجد وأخيه ، ما كان من أيهما لهما ، وما أصابهما ، حتى جمعتهما الأيامُ ، فبات جميعهم تفترُّ نفورُهم سروراً وبهجة . وتلهجُ ألسنتهم حمداً لله وشكراً .

ولما انكشف وجه النهار . أنبأتُ طلائعُ الجيشين المستكرين أن جيشاً آخر سائرٌ إلى المدينة من الناحية الأخرى ، فقال المملوكُ : خذوا منه جذرَكم ثم ارتقبوا ، فعمسى أن يكونَ قد خرج لمثل ما خرجنا له . ولقد صدق تقديرُهم فلم يكن هذا الجيشُ إلا لقمر الزمان ، جاء به باحثاً عن ابنيه الأُمجد والأسعد .

ولملك في عَجَب من قر الزمان ، فكيف يَنشُدُ ابنيه في الأحياء ، وقد قتلها سيافُه ، وأتاه بثيابهما ودمهما ؟ ! .

لقد أيقنَ قرُ الزمان أنه حَكَمَ بقتلها ظالماً ، فظن أن قد نظر الله إليهما بعدله ورحمته ، فقيضَ لهما مَنْ نجاها ، وقد أخذ هذا الظنُّ يقوى ويخرج من وهنِ الرِّعْمِ ، إلى قوة الحقيقة ، وزاده قوة أن أحضر بنت مملوكه السيِّف وسالها :

ماذا قال والدك عند وفاته ؟

فقلت : رحم الله والدي ، لقد كان يُرَدِّدُ هذا القول عقب صلاته
وعند القيام من النوم ، وعند الذهاب إليه .

« اللهم كما أطلقتُ من القتلِ الآثمِ بريئين ، فاحفظ أولادي من
ظلمِ عبادك ، يا أرحم الراحمين » وهو الذي كان يردده وهو مُقبلٌ
على آخرته .

وعسى أن تكون قد أعذرت قمر الزمان ، إذ عبأ الجيوش وجعل يبحث
عن ولديه ، وكأتهما لم يجزِ عليهما حكمه بالإعدام .
ذهبَ الأجدد والأسعد فقابلا والدهما ، فكانا برّداً وسلاماً عليه وإن
تضاءل أمام القدر العادل ، فاستغفر ربه ، وخَرَ راكعاً وأُتاب .

وكان شهرمان لا يزال قلبه هائماً خلف ابنه قمر الزمان ، وزاده وضوحاً
في نفسه ، أن أخبار وجوده لا تنفك آتية إليه تتزى ، ولما علم أنه قصد
مدينة « بهروز » خَفَّ مسرعاً إليها ، وهناك نظمت الملوك ، والأجدد
والأسعد ، وبهرام وبنته ، ليلة ساهرة ، تفيض بشراً ، وتشعُّ هناة وأنساً ،
وتزوج الأجدد من الملكة مرجانة ، وسافر جميعهم إلى قصر الملك
قمر الزمان ، فعاد إلى الوالدين قلباهما ، وتولى الأجدد الملك بدلا من
مرجانة وزوجه ، والأسعد بدلا من قمر الزمان والده . وعاش الجميع يتقبلون
في النعماء ما امتدت حياتهم ، وكان الله على كلِّ شيء مُقتدرا .

١٩٩١ / ٣٤٤٤	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3236-X	الترقيم الدولي

١ / ٩٠ / ١٧٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

الف ليلة وليلة

هذه طبعة جديدة من هذه المجموعة التي تنتمي إلى التراث الشعبي.. والتي نالت إهتماماً عالمياً في الشرق والغرب.. وترجمت إلى كل لغات العالم..

وتمتاز هذه الطبعة بحسن الصياغة التي تناسب عقول الشباب والناشئة.. وتخلو من الشوائب التي توجد في طبعات كثيرة..

إنها واحدة من عيون التراث الذي نحرص دار المعارف على تقديمه إلى القارئ العزيز..

صدر منها:

- | | |
|-----------------------|-----------------------------------|
| ١ - شهر زاد ودنيا زاد | ٧ - عبدالله البري وعبدالله البحري |
| ٢ - السندباد البحري | ٨ - أبو الحسن وجاريته تودد |
| ٣ - قمر الزمان | ٩ - الحصان المسحور |
| ٤ - الصياد والعفريت | ١٠ - علي بن بكار وشمس النهار |
| ٥ - معروف الإسكافي | ١١ - علي الزئبق ودليلة المحتالة |
| ٦ - الأحذب والخياط | ١٢ - علاء الدين والمصباح العجيب |
| | ١٣ - علي بابا |



دارالمعارف

قرش جنية ٢.٥٠
سرس ٢.٥٠